

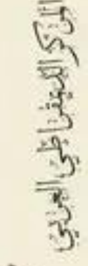
المركز الديمقراطي العربي برلين - ألمانيا

"الفايسبوك من فضاء للتواصل إلى مجال للتغيير الاجتماعي"
ازدواجية التأثير



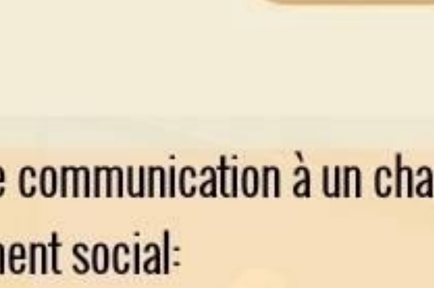
تأليف :د.عمار رجاء

2023



"الفايسبوك من فضاء للتواصل إلى مجال للتغيير الاجتماعي" ازدواجية التأثير





" Le Facebook d'un espace de communication à un champ de changement social: Dualité d'influence"



VR . 3383 - 6839 B



DEMOCRATIC ARABIC CENTER
Germany: Berlin 10315 Gensinger- Str: 112
http://democraticac.de
TEL: 0049-CODE
030-89005468/030-898999419/030-57348845
MOBILTELEFON: 00491742742787177



2023

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

ألمانيا/برلين

Democratic Arab Center

For Strategic, Political & Economic Studies

Berlin / Germany

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسيةوالاقتصاديةألمانيا/برلين

البريدالإلكتروني book@democraticac.d



كتاب : الفايسبوك من فضاء للتواصل إلى مجال للتغيير الاجتماعي: ازدواجيّة التأثير

(تحليل مضمون صفحات فايسبوك تونسيّة وأجنبيّة في الفترة التي تلت "الثورات" العربيّة)

تأليف : د.رجاء عمار   إشراف : د. يوسف بن رمضان

رئيس المركز الديمقراطي العربي: أ. عمارشرعان

مديرة النشر: د. احمد بوهكو

رقم تسجيل الكتاب:VR .3383 - 6839 B

الطبعة الأولى2023 م



المحتويات

1- مدخل إلى البحث

2- مساهمة استخدام الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية





3- مساهمة الأساليب التفاعلية للفايسبوك في إحداث خلل اتصالي





4- مساهمة منشورات مستخدمي الفايسبوك في تفقير العملية الاتصالية الأسباب والنتائج



5- خاتمة عامة



6- تلاخيص البحث

7- هوامش البحث



1- مدخل إلى البحث

1. 0- تمهيد:

نشأت العوالم الافتراضية تلبية لحاجة الإنسان إلى توسيع رقعة الاتصال وإزاحة كل ما من شأنه عرقلةالتفاعل.أصبحالمجال الافتراضي بعد ذلك مرتبطا بالحاجة إلى تحقيق غايات استوجبها السياق الاجتماعي الذي يدفع الفرد إلى العمل على تطويع الأساليب التقنية وفق مآربه والظروف المحيطة به, وخاصة حسب الإشكاليات التي تطرح نفسها بإلحاح، وتنتظر تقديم إجابات واقتراح حلول.

اكتسب مفهوم التفاعل أبعادا جديدة عبر توفير الفضاء الافتراضي أشكالا وطرقا تعبيرية متعددة،يتم من خلالها تلقي الرسائل الاتصالية والتواصل مع الآخر، وتقديم واستعراض الآراءوالمواقف ووجهات النظر المتباينة التي تؤثر وتتأثر بكل ما يحدث وما يستجد على كافة المستويات وفي جميع الميادين،**"فمن خلال الشبكة العنكبوتية والهواتف النقالة، ولاحقا مواقع التواصل الاجتماعي، ذهب الشباب العربي إلى بناء عالمه الافتراضي الحر، متجاوزا أنظمة الستار الحديدي وسياسات الأبواب المغلقة"**[1].

لئن أكد العديد من الدارسين دعم المجال الافتراضي لمبادئ الاتصال الأساسية لضمان سلامة العلاقات الاجتماعية،فإن هناك من يرى في هذا الانفتاح على العالم، الذي وفرته الشبكات الاجتماعية الافتراضية، تهديدا حقيقيا لبنية المجتمع، معتبرا**"أن زوال الحدود، من كل نوع، يجرإلى تفتيتما كان يسمى مجتمعا"**[2].

إن الاستقلالية التامة التي تستند على الفردانية قد تتعارضمع القيم المجتمعية التي يجبعلى الأفراد الالتزام بها واحترامها خدمة لمصلحة المجتمع، فقد ينجر عن الحرية التي وفرتها مواقع التواصل الاجتماعي التشتت والتشرذم، إذا ما تشبث كل فرد برأيه معتبرا إياه الأصوب ما دام يخدم مصلحته الشخصية، متغافلا عن حاجة البنية الاجتماعية إلى القيام على جملة من الاتفاقات.

في هذا الإطار، نبه بعض الباحثين إلى ضرورة التمييز بين ما حققه الاتصال على مستواه التقني من تطوروبين ما يشهده التواصل والتفاعل على المستوى الاجتماعي خاصة والإنساني عامة،فالتطور التقني للاتصال من حيث وسائله وأساليبه وشبكاته لا يرادف بالضرورة تجاوز المجتمعاتما تعانيه من خلل على

[1]توفيق شومان، "الربيع العربي: جدل التقليد والتغيير"، ثورات قلقة، مقاربات سوسيو-استراتيجية للحراك العربي، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2012، شئص.195.

[2]محمود عودة، أسس علم الاجتماع، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1995، ص.349.



مستوى العلاقات أو الممارسات أو التمثلات، سواء ارتبط الأمر بالمفاهيم والتصورات الشخصية أو المشتركة التي قد تكون رهينة لقيم رجعية، أو تتبنى مبادئ من شأنها عرقلة التحول نحو الأفضل، باعتبار ما يشوب الأدوار الاجتماعية من نقص في سياق التفاعل.
أفسح المجال الافتراضي المجال للاطلاع والتواصل عبر تمتين الأواصر الإنسانية ومحاولة تغيير عقلية الإقصاء بالرفع من درجة الوعي بإلزامية احترام الاختلاف، رغم ذلك تشهد الأوضاع في المجتمعات المختلفة تدهورا من خلال تقهقر السلم المجتمعي الذي يعتبر رمزا لقبول الآخر ونتيجة لعملية اتصالية سليمة، مقابل زيادة في مظاهر العنف بمختلف أنواعه وعلى كافة الأصعدة.

بالتالي، يمكن القول، خاصة في هذه الظرفية، أن حقل الاتصال يشهد تطورات متلاحقة وحركة تغير مستمرة, وهو ما يولد قضايا تحتاجإلى الفحص والتدقيق والفهم، ويطرح احتمالات كثيرة تفرضها العملية الاتصالية بإشكالياتها الجديدة وأسئلتها المحرجة لليقين العلمي.

1.1-الموضوع:

يسعى البحث إلى التعمق في ازدواجية تأثير الأساليب التفاعلية التي يقترحها الفايسبوك وما ينشره مستخدموه من مضامين، لنستشف خصائص هذا التأثير ومظاهره ومستوياته، وما أحدثه في العملية الاتصالية والواقع الاجتماعي في الفترة التي تلت الثورات العربية المتزامنة مع تسجيل جملة من العمليات الإرهابية،للإجابةعن أسئلة محوريةمرتبطةبالدور الذي اضطلعت به استخدامات الشبكة الاجتماعية الافتراضية،من خلال الاعتماد على ما توصلت إليه البحوث في كل من علم الاتصال وعلم الاجتماعمن نظريات وتكاملهما إلى درجة تقديم حقل علمي قائم الذات، وهو علم اجتماع الاتصال.

1.1.1- مبررات الاختيار:

1. 1. 1. 1- مبررات موضوعية:

تتبلور الحاجة إلى فسح المجال لبحوث علمية تتمحور حول خصوصيات الميديا الاجتماعيةلفهم طبيعة المكانة التي احتلتها في ممارسات الأفراد وتأثيرهافي العملية الاتصالية والتحويرات التي أحدثتهافي الواقع الاجتماعي، في مرحلة فرضت فيها مواقع التواصل الافتراضي وجودها أكثر فأكثر، والإقناع بخصائصها والإمكانيات الكبيرة التي تتيحها.



تم اتخاذ الفايسبوك كمثال باعتباره أفسح المجال لمستخدميه للنشربحرية،والتعبير بطرق فريدة عن آرائهم، ونقد الرموز القديمة المتداولة، محاولين التوفيق بين الوظيفة الاتصالية والدور الاجتماعي،معولين على ما توفره لهم هذهالشبكة من أشكال تفاعلية متعددة والتي فرضت نظاما رمزيا خاصا, مولدة بذلك تأثيرات في العملية الاتصالية،عبر الاستخدامات المختلفة.

1. 1 .1 . 2- مبررات نفسية:

تم اختيار موضوع الأطروحة كحلقة ثالثة، سبقتها رسالة الماجستير التي حملت عنوان: "الفضاء الافتراضي وبروز ملامح اتصال جديدة خلال الثورة التونسية وبعدها".وفي نفس الإطار، تنزل الموضوعالذي طرح في شهادة الأستاذية المتمثلفي "تأثير الشبكات الافتراضية في العلاقات الاجتماعية (الفايسبوك مثالا)".

يتموقع هذا الموضوع في نسق بحثي مترابط وشامل إلى حدّ ما لمختلف الزوايا التي تتعلق بشبكة الفايسبوك التي ما تنفك استخداماتها تطرح تساؤلات جديدة، وذلك في ظرفيات زمنية مختلفة ووقائع اجتماعية مغايرة.

يمكن تبرير اختيار الموضوع بالرغبة في تقديم إضافة نوعية، باعتبار أن الشبكات الاجتماعية الافتراضية احتلت وما تزال مكانة مميزة في بحوث الإعلام والاتصال وفي مجالات بحثية أخرى،وهو ما ولد وفرة كمية مع تشابه نتائجها أحيانا، ما يدفع إلى الحرص على بذل جهد أكبر في التحليل والاستنتاج لتقديم رؤية مختلفة تبتعد عن الثنائيات (وجهة نظر متفائلة تقابلها أخرى متشائمة،عرض الإيجابيات والسلبيات) وتجاوز الحتميات (حتمية تقنية، حتمية اجتماعية).

1.1. 2- حدود الموضوع:

1.1.2. 1- حدود المكان:

إن اختيار الفايسبوك كمثال على الشبكات الاجتماعية الافتراضية يجعل الحدود المكانية، بما في ذلك الجغرافية والبشرية والثقافية غير قابلة للتحديد بيسر، نظراللعولمة التي تشمل جميع المجالات،بالتالي، سيتم الانطلاق من حيز مكاني ضيقإلى مجال جغرافي لا يعترف افتراضيا بالحدود.



في هذا الإطار، وحتى يكون البحث صورة مصغرة عن عملية اتصالية عالمية في مجتمع تجاوز نسبياالفروق ليتحد ضمن شبكة اجتماعية افتراضية، معتمدا أساليبها التفاعلية، سنختار صفحات من أمثلة مختلفة من حيث المكان ومتشابهة من حيث المضمون.

1.1. 2 .2- حدود الزمان:

يرتبط الموضوع بظرفية زمنية حساسة نظرا لأهمية الوقائع والمستجداتعلى الساحة الوطنية والعالمية، وهي الفترة التي تلت قيام الثورات العربية، التي وإن حالف التوفيق النسبي بعضها من خلال تحقيق جزئي لبعض الأهداف،فالمجتمعات العربية وحتى الغربية وجدت نفسهافي مواجهة ظاهرة العنف الاجتماعي الذي ولده التطرف الديني والإرهاب،وهو ما تسبب في تسجيل حالات الاغتيالثم عمليات التفجير التي شملت أماكن تتميز برمزيتها.

من ناحية أخرى، نحتاج إلى الوقوف عند حقيقة التغييرات الطارئة، في الظرفية الزمنية الراهنة،على التمثلات والممارسات التي تشهد عمليات هدم وبناء متواصلة، ورصد الخلل الوظيفي الذي ينجم عنه التنميط والقولبة، وهو ما يشكل خطرا على ضرورة الاختلاف، ويتسبب في تشرذم الفاعل الاجتماعيين الواقعي والافتراضي.

1.1. 2 .3- الإطار النظري:

يعتبر من الضروري تحديد الإطار النظري للدراسة،فهو بمثابة العُدّة التي يجب التسلح بها،قبل الانطلاق في عملية تحليل العناصر التي يتضمنها البحث، بما أن**"النموذج قالب يحدد وجهة نظر الباحث"**[3].

يساعد النموذج على إرساء قواعد المنطق التحليلي وبلورة الجهاز المفاهيمي, ويتم الاعتماد عليه لتوضيح مجموعة من الفرضيات الممكنة،وإدراك العلاقات بين العناصر الأساسية في الظاهرة محل الدراسة، وتحديد التوجه النظري للأطروحة.

بالتالي، هو أرضية معرفية يحتاجها الباحث لضمان تموقعه **أولا** في الحقل العلمي الذي ينتسب إليه، ولفهم الظواهر التي تحتاج إلى دراسة وتفكيك إشكالياتها

[3] Serge Paugam, *les 100 mots de la sociologie*, Paris, PUF, Que sais-je ?, 2010, p.21.



ثانيا، مع إمكانية تقديم إضافة لإثراء النموذج، وجعله أكثر نجاعة وإلماما بالمستجدات وقدرة على الإحاطة بها**ثالثا**.

1. 1. 2. 3 . 1- تحديد وتعريف البراديغم المعتمد:

تتمثل النماذج المرتبطة بالواقع الاجتماعي في البنائية الوظيفية والتفاعلية الرمزية والتبادل الاجتماعي والصراع الاجتماعي والمثالية النقدية والبنيوية الماركسية، وانطلاقا من الحاجة إلى إطار نظري يتمتع بصفة النجاعة التي تخدم عملية التحليلمن زواياه المختلفة، فإن موضوع الدراسة يحتاج بالأساسإلى **براديغم التفاعلي الرمزي.**

انطلقهربرتبلومر(**Herbert Blumer**) باستخدام مصطلح "التفاعلية الرمزية" في بحوثه سنة **1937**، وأصبح إيراده متداولا من طرف العديد من الباحثينالذين ساهموافي تطويره ومنحه أبعادا جديدة،وهو ما أكسبه عمقا ومتانة، حيث تم إلقاء الضوء على الوظيفية الجديدة مع تشارلز هورتن كولي(CharlesHorton Cooley)، ليحلل جورجهربرت ميد(George Herbert Mead) نظرية التبادل، وهوما أضفى تنوعا على الجهاز المفاهيمي للمنظور التفاعلي.

تحدث تشارلز هورتن كولي عن **الانطباعات وقاعدة التنبؤ بسلوك الآخر**ومساهمتهافي البناء الاجتماعي. بالتالي، لا يتوقف الأمر عند الحاجة إلى دراسة الظواهر الاجتماعية في كليتها،إنما منح الفاعل الاجتماعي أهمية كبرى، للتأكيد على العلاقة التكاملية بين الفاعل والمجتمع على كافة المستويات، فالمجتمع بضوابطه وما يفرضه من ممارسات يؤثر في الفاعل الاجتماعي بأشكال عدة،وكل فرد يحمل جملةمن التصورات والقناعات، ويتبنى أنماطا سلوكية من منطلق الحاجةإلى الاعتراف بفردانيته والتعبير عن ذاتيته في المجتمع بطريقة أو بأخرى.

ركز جورج هربرت ميد على ضرورة **توقع** تصرفات الآخرين لإنجاح عملية الاتصال من خلال معرفة السلوك المقبول اجتماعيا و**النجاح في لعب أدوار الآخرين**، وهو ما عبر عنه بمصطلح**التكيف الاجتماعي**، ويتم الاعتماد على منظومة رمزية واللجوء إلى شبكةمن المعاني.

يمكن أن نستشف من خلال التعريفات السابقة محورية التفاعل والرموز **أولا**، والانطباعات والأدوار **ثانيا**،والذات والمجتمع **ثالثا**، كمصطلحات مفاتيح لبراديغم التفاعلية الرمزية الذي ما فتئ الباحثون يسعونإلى توسيع دائرة استخداماته المعرفية،وهو ما جعل العديد من النظريات تنبثق من براديغم التفاعلية الرمزية، والهدف في كل مرة مزيدا من التعمقفي الذات الاجتماعية وتحليل تمثلاتها وممارساتها.



في هذا السياق، اقترح**أرفنججوفمان**(Erving Goffman)**مقاربة المدخل المسرحي**،حيث**"يشبه الحياة اليومية بالمسرح وخشبته، ومثلما يقوم الممثلون بإبراز صور معينة، نسعى جميعاإلى تقديم ملامح معينة لشخصياتنا ونخفي صفات أخرى"[4].**

من النظريات المنبثقة أيضا عن براديغم التفاعلية الرمزية، يمكن أن نذكر **نظرية بناء المعنى** التي تولدت عنها **نظرية الغرس** واقترحها جورج جربنر(**George Gerbner**)،وتتمحور بالأساس حول الأنماط التي يعتمدها الفاعلون الاجتماعيون لتطوير معارفهم وما يحيط بهم في واقعهم الاجتماعي المحلي والعالمي.

1. 1. 2. 3 . 2- أسباب وأهداف الاختيار النظري:

لا يتم اختيار إطار نظري لموضوع الأطروحة بصفة عشوائية، إنما على الباحث الاطلاع على جميع النماذج العلمية المرتبطة بصفة مباشرة أو غير مباشرة بالحقل الذي يتنزل فيه بحثه، ليستطيع في مرحلة لاحقة اتخاذ الاختيار الأنسب للبراديغم الذي يتفق إلى أكبر مدى ممكن مع التمشي المنهجي ويتلاءم مع الرؤى التحليلية ويخدم الغايات المرسومة للفهم والضبط.

أ- أسباب الاختيار النظري:

***ثراء الجهاز المفاهيمي:**

يتسم براديغم التفاعلية الرمزية بثراء جهازه المفاهيمي،ف**"هو يستند إلى مجموعة من المفاهيم الأساسية وهي الرموز والمعنى والتوقعات والسلوك والأدوار والتفاعل"[5]**،وهي تقريبا المفاهيم التي ستوظف من خلال عناصر البحث المتمحورة حول العملية الاتصالية المرتكزة على منظومة رمزية تحتاج استقراء مظاهرها ومساءلة تصوراتها أسلوبيا ودلاليا، وكيفية إنتاجها واستقبالها، ورصد تأثيراتها التي قد تبلغ درجة الازدواجية على مستوى التمثلات والممارسات وتحليل الأدوار التي يضطلع بها الأفراد.

***شمولية الرؤية التحليلية:**

يتمثل السبب الثاني لاختيار براديغم التفاعلية الرمزية دون غيره من النماذج، في تمتعه برؤية تحليلية أكثر شمولا من بقية الأطر النظرية التي تقتصر على تفسير الظواهر من زاوية معينة وإهمال زوايا أخرى

[4]مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، جامعة القاهرة، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2002، ص.241.
[5]محمودعودة، أسس علم الاجتماع، مصدر سابق،ص.96.



على ما تكتسيه من أهمية، ف**"إذا كان منظرو الوظيفية والصراع يقومون بتحليل أنماط السلوك في المجتمع على نطاق واسع،فإن المنظور التفاعلي يستقرئ الصور اليومية للتفاعل الاجتماعي من أجل فهم المجتمع ككل"**[6].

إذن، هذه الرؤية التفصيلية التي يتمتع بها المنظور التفاعلي تأخذ بعين الاعتبار الأجزاء التي تكون الكلّ، وتمنحه دلالاته، وعدم الاكتفاء بدراسة الكلّ وتعميم النتائج على الأجزاء، وهو ما يمنح فرصة التعمقفي الاختلافات التي تتسم بها الأبعاد البحثية.

ب- أهداف الاختيار النظري:

تتمثل أساسا في:

أولا، رصد ملامح الاتصال الافتراضي عبر شبكة الفايسبوك للوقوف عند سمات منظومتها التفاعلية،إضافة إلى دراسة الفرد وتمثلاته والمجتمع وديناميكيته من منطلق تأثير الأساليب والمضامين الفايسبوكية في العملية الاتصالية واستعراض أشكالها المختلفة وتحديد مستوياتها.

ثانيا،تفسير الوضعية القائمة بين الواقع الاجتماعي والمجال الافتراضي من خلال محاولة تحليل عملية البناء التفاعلي وأدوار الفاعلين الاجتماعيين،مع إعطاء قيمة كبيرة للهوية المشتركة, للتعرف على مدى صحة الإقرار بأن الهوية تبنى بصفة مستمرة ودائمة بواسطة التفاعلات الرمزية باعتبار أن الرموز ضرورية وتشهد تحويرات وتعديلات وبعضها يتطور وبعضها الآخر يُلغى.

بالتالي، سيمكن هذا البراديغم من تحقيق غاية بحثية أساسية تتمثل في توضيح مدى قدرة الفضاء الافتراضي على إرساء منظومته التفاعلية الخاصة وتمرير أساليبها وقواعدها الاتصالية بطريقة سلسة إلى أكبر عدد ممكن من الأفراد، حتى يتاح لهم المجال لبناء واقعهم الرمزي,وذلك عبر عملية استقصاء ومراقبة مستمرة لمحتوى المنظومة التفاعلية التي سنّ الفايسبوك قواعدها,وهو ما كان له تأثيرات في العملية الاتصالية من جهة والواقع الاجتماعي من جهة أخرى.

1 .2- أهداف البحث:

تكمن أهمية كل أطروحة في الأهداف التي يسعى الباحث إلى تحقيقها, لذلك فهو ملزم بتحديدها قبل الانطلاق، لأنها وثيقة الارتباط بالتمشي المنهجي الذي سيعتمده, كما أن الأهداف هي الحافز الذي سيدفع

[6] مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مصدر سابق، ص.236



إلى مواصلة التحليل والفهم والاستنتاج لبلوغ الغاية الأساسية التي رسمها لبحثه ولنفسه كباحث مبتدئ في طريقه لاكتساب خبرة علمية.

بالتالي،ترتبط الأهداف بصفة مباشرة بموضوع البحث لتقترن بإشكاليته، وتتماشى مع متطلبات الفرضيات، لتقديم إضافة نوعية قادرة على التأثير إيجابا في الواقع الاجتماعي.

1 .2 .1- أهداف علمية معرفية:

أولا, اكتشاف معالم الظاهرة في حد ذاتها والإحاطة بمختلف جوانبها، خاصة وأنها أثارت جدلا علميا كبيرا، وتعددت وتباينت حولها الآراء ووجهات النظر، للتمكن من إبراز خصوصية الفايسبوك كفضاء للتواصل باستعراض وتحليل الأشكال التفاعلية التي وفرها للفاعل الاجتماعي، ولنستشف تأثير ذلك في العملية الاتصالية.

ثانيا, إيجاد إجابة أو إجابات ممكنة حول طبيعة الأدوار التي يلعبها الفرد في الفايسبوك ودوافعه وغاياته، حيث لا يجب تجاهل كون الأفراد يعيشون في كنف العصر الرقمي الذي أثر بطريقة أو بأخرى في الواقع الاجتماعي، لرصد مظاهر ومستويات التغيير، باعتبار أن **"كل دراسة تجدد للباحث التحدي لدفع عجلة تقدم المعارف"**[7].

ثالثا,التطرق إلى مدى صحة بعض المفاهيم والاستنتاجات والنظريات, باعتبار أنها بحاجة دائمة للمساءلة وإعادة النظر حتى تتلاءم مع الوضع الراهن، لتترجم الواقع بما يشهده من تغيرات مستمرة وظواهر جديدة مثيرة للجدل العلمي.

1 .2 .2- أهداف أخرى:

تتمثل في السعي أن يكون البحث مرجعا، لا ليستفيد منه الباحثون في علوم الإعلام والاتصال فحسب، إنما ليستغله علماء الاجتماع مثلا لتحديد قرارات تطبيقية واستراتيجيات عمل لتثمين الجوانب الإيجابية التي يقدمها الفايسبوك لمستخدميه من خلال تطبيقاته المختلفة**أولا**، ووضع خطة لمعالجة الاختلالات التي قد تعاني منها العملية الاتصالية، والتي يكون لها تأثير في العلاقات الاجتماعية وفي عملية التغيير الاجتماعي

[7]BenoîtGauthier, Recherchesociale. De la problématique à la collecte des données, Québec, Canada, Presses de l'université,2009, p.54.



البنّاءثانيا،بما **"أن البحث العلمي لمجرد البحث لم يكن في يوم من الأيام المبتغى،بل تتمثل الغاية في تطوير العلم للارتقاء بالمجتمع والإسهام في حل مشكلاته"**[8].

1 .3- موقع البحث من البحوث السابقة:

وجب الاطلاع بشكل موسع على أبرز الدراسات والبحوث والمقالات العلمية التي ترتبط بصفة مباشرة أو غير مباشرة بموضوع الأطروحة، ف**"من المهم تحديد موقع البحث بالنسبة للمعرفة المشتركة"**[9]،للتمكن من اكتشاف المخزون المعرفي والنظري الذي سيتم الانطلاق منه لتجاوزه عبر تسليط الضوء على جوانب لم تدرس.

تم التأكيد على دور تكنولوجيات المعلومات والاتصال في إحداث نقلة كمية ونوعية على مستوى البحوث، حيث شهدت علوم الاتصال كثافة في الدراسات والمقالات العلمية خاصة في حقل علم اجتماع الاتصال، لتحليل ما ولدته هذه التكنولوجيات بشبكاتها ومواقعها على مستويات عدة.

نجد الدراسات التي اقتصر أصحابها على استعراض الخصائص، وهناك من توسع ليدرس الإمكانيات التي أتاحتها هذه الشبكات الافتراضية للفاعل الاجتماعي وتأثيرها في علاقاته وممارساته، ولعل أهم مرجع، من هذه الزاوية البحثية، ثلاثية مانيوالكاستلز(ManualCastells)،حيث أكد في كتابه **مجتمع الشبكات.عصر المعلومات** أن**"الشبكات تشكل الكيان الاجتماعي الجديد لمجتمعاتنا"**[10].

تعددت وجهات النظر إلى حد التناقض فيما يتعلقبالدور الذي اضطلعت به الشبكات الافتراضية،خاصة على مستوى العلاقات الاجتماعية، فلئن تم تثمين ما توفره من إمكانيات، عن طريق أساليبها التفاعلية الافتراضية،من شأنها تقوية الروابط وتوسيع رقعة العلاقات الاجتماعية، والإقرار بأنها**"أدت دورا رئيسيا في تمتين الوحدة المجتمعية، إذ أمكنها أن تصنع في المجتمع مساحة شبكية واسعة، للتواصل والتفاعل بين الأفراد والجماعات"**[11]،هناك من حمّل الفايسبوك، مسؤولية تفكيك العلاقات الاجتماعية، معتبرا أنها"

---

[8] عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، الكويت، المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب،1981،ص167.

[9] Benoît Gauthier, Recherchesociale. De la problématique à la collecte des données, ibid, p.56.

[10] Nicolas Curianet Pierre-Alain Muet, La société de l'information, Paris, La documentation française, 2004, p.17.

[11] خليل(فؤاد)،" الثورة" محادثة مجتمعية كبرى،ثورات قلقة، مقاربات سوسيو-استراتيجية للحراك العربي،مصدر سابق، ص.78.



تساهم في تشظي المجتمع التونسي إلى جماعات صغيرة منغلقة على نفسها ومتصارعة ومجتمعة حول أنساق سياسية وفكرية وإيديولوجية متنافرة"[12].

بالتالي، تولي الرؤية الأولى هذه الشبكات أهمية، مؤكدة اضطلاعها بأدوار حساسة في العملية الاتصالية تحويرا وتطويرا وتجديدا، وتستعرض الرؤية ثانية التأثيرات السلبية لمواقع التواصل الاجتماعي،وتنسب لها التسبب في إحداث هوة بين الواقعي والافتراضي، مما ينعكس سلبا على العلاقات والممارسات الاجتماعية، ما يهدد المجتمع بالتفكك والانهيار.

تم تنزيل هاتين الرؤيتين في سياق حتميتين إحداهما تقنية والأخرى اجتماعية، وهو ما يجب تجاوزه كي لا تكون النظرة أحادية، وللأخذ بعين الاعتبار أهمية التزاوج بين التقني والاجتماعي، وإيلاء جميع العناصر ما تستحقه من تحليل وتفسير يبوئها ما تستحقه من مكانة.

اهتمت العديد من الدراسات بإشكالية المجال الافتراضي في علاقته بالمجال العمومي على مستوى جدلية التأثير والتغيير. في هذا السياق, نجد ثلاث وجهات نظر متباينة، ففي الوقت الذي تم فيه طرح سؤالغايته التأكيد وتمثل في:**"هل يمكن اعتبار الفايسبوك الفضاء العمومي العابر للأوطان الذي تحدثت عنه نانسي فرايزر(Nancy Fraser)التي طرحت مجموعة من الاقتراحات:"تشجيع المساواة عوض تجاهل اللامساواة الاجتماعية والسماح لمختلف الجماهير بالتعبيرعن اختلافاتها ومطالبها عن طريق مختلف فضاءات النقاش؟".[13]**

لتأتي الإجابة المرتبطة بسياق اجتماعي وسياسي معين, وهو الثورة التونسية وما تولد عنها من تمثلات وسلوكيات, وما شهدته العلاقات الاتصالية من تغيرات، معلنة نفي إمكانية اعتبار الفضاء الافتراضي، وشبكة الفايسبوك تحديدا، فضاء عموميا، حيث تم الإقرار أن**"شبكة الفايسبوك ليست إلى حد الآن الساحة العامة (agora) التي نطمح لتأسيسها، تلك الساحة التي يلتقي التونسيون في إطارها لتشريع القوانين التي يجب أن تنظم مدينتهم بواسطة النقاش"**.[14]

---

[12] صادق الحمامي ، "المجال العمومي والفايسبوك وحرية الصحافة"، http://www.essahafa.info.tn/index.php?id=76&tx_ttnews[tt_news]=15027&tx_ttnews[backPid]=37&cHash=3Quijano(Yves bb0ed75b8

[13]نور الدين علوش، "تحولات الفضاء العمومي في الفلسفة السياسية المعاصرة: من هابرماس إلى نانسي فرايزر"، مجلة إضافات، العددان 26-27، ربيع-صيف 2014، بيروت، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، ص.90.

[14]صادق الحمامي، "المجال العمومي والفايسبوك وجريدة الصحافة"، مصدر سابق.



تم رصد المظاهر التي حالت دون ارتقاءموقع التواصل الاجتماعي إلى مستوى الفضاء العمومي، ونلاحظ اعتماد المرجع الاصطلاحي الهابرماسي في تعريف المجال العمومي وفي تقييم الافتراضي.

في حين تجاوزت وجهة النظر الثالثة عملية البحث عن أوجه التماثل والاختلاف، ليتم السعي إلى المزاوجة بين المجالين والتعبير عنهمامن خلال مصطلح "الواقع المتضخم"،و**"هو بكل بساطة ارتباط الواقعي بالافتراضي،حيث نستطيع استعمال تقنيات التمثل الافتراضي لتقوم بتركيب ومطابقة صور أو معلومات افتراضية على العالم الواقعي (...)، بالتالي، لم يعد ممكنا إيجاد تقابل بين التمثل الافتراضي والفعل الواقعي".**[15]

تعددت الدراسات التي تناولت بالبحث دور مواقع التواصل الاجتماعي في قيام الثورات العربية والمساهمة في عملية التغيير الاجتماعي،وتوزعت الاستنتاجات بين مؤيد للدور الكبيركمساهم أساسي بفسح المجال للتعبيرعن الرأي والتشجيع على الرفض والاحتجاج، سعيا لكشف الحقائق عن طريق النشر على نطاق واسع،وبين رافض لمنح هذه الشبكات الافتراضيةوعلى رأسها الفايسبوك دورا في إحداث التغيير.

في نفس السياق، نجد من اعتبر مواقع التواصل الاجتماعي مجرد أداة، ويرى البعض الآخر أنها كانت سببا من بين أسباب أخرى أهمها رفض أفراد المجتمع لواقع سياسي واجتماعي واقتصادي معين والحاجةإلى التغييرالتي غدت ملحة.

في هذا الإطار، يتموقع البحث للتساؤل عن المرحلة التي تلت الثورات العربية، والتي تميزت بحصول جملةمن الأحداث، سواء كانت سياسية أو اجتماعية، لعل أبرزها اكتساح مصطلح الإرهاب، لرصد ممارسات الفاعلين الاجتماعيين الذين استغلوا شبكة الفايسبوك لتمرير رسائلهم الاتصالية.

من هذا المنطلق،من الضروري الاستفهام:هل يمكن الحديث عن مساهمة استخدام الفايسبوك عبر أساليبه التفاعلية في نشر ثقافة"عابرة للقوميات"ودمقرطة الاتصال أم على العكس هناك سعي للتنميط والقولبة؟إلى أي حد يمكن القول أن ثورة الاتصال قد ولدت اتصال الثورة؟ هل يمكن اعتبار الفايسبوك مجالا للتغيير الاجتماعي أم أنه لا يستطيع أن يلعب هذا الدور، ويبقى مجرد موقع للتواصل فحسب؟

[15]Philippe Quéau, "Le virtuel :uneutopieréalisée", Quaderni, N.28, Hiver 1996, France, La maison des sciences de l’homme, p.119.



من جهة أخرى، تطرح إشكالية "رأس المال الرمزي" الذي ما انفك "يتضخم" في الفايسبوك، فهل يعتبر ذلك إثراء للمخزونالرمزي للمستخدمين أم سعيا للتفقير؟ما هيانعكاساتهعلى العملية الاتصالية في المجال الافتراضي والواقع الاجتماعي؟

سيتم طرح سؤال تأثير الشبكات الاجتماعية الافتراضية في السلوك الاجتماعي للحصول على إجابةأو إجابات ممكنة دون الجزم بأن طبيعة التأثير إما أن تكون إيجابية خالصةبتوفيرها للتحرير والتدعيم أو سلبية قاطعة من خلال سعيها للتقييد والتقنين.

نشير إلى ما بلوره الباحثون من مصطلحات، حيث تحدث دومينيك كردون(Dominique Cardon) عن قوة التعاضدات الضعيفة (Faiblescoopérationsla force des) واكتشاف ماهو مشترك وجماعي[16] (la découverte du commun)، وأكد بيار بورديو(Pierre Bourdieu) على التكامل بين الفينومينولوجيا الاجتماعية والفيزياء الاجتماعية، كما أشارإلى الهيمنة الاتصالية، محللارأس المال الاجتماعي ورأس المال الرمزي، نجد أيضا فلسفة هابرماس (Habermas) بما تتضمنه من"فعل تواصلي" و"عقلانية" و"أخلاقيات النقاش"، وغيرهامن المصطلحات التي تحيل إلى مقاربات كلاسيكية،لعل أبرزها نظرية مدرسة فرنكفورت(Ecole de Francfort) التي تحدثتعن "سلعنة المضامين"و"تغليب العقل الوسائلي على العقل الإيجابي"و "الفاشية العادية" و "المجتمع أحادي البعد".

وهو ما يدفع إلى التساؤل: هل ما اقترحه الباحثون لا يعدو أن يكون إلا تسميات جديدة للظواهرمع الإبقاء على نفس التمشي التحليلي أم هناك عملية تزاوج بين العدة النظرية الكلاسيكية والقضايا المعاصرة، كشفتأن النظريةما زالت صالحة للاستخدام والتطبيق وإن اختلفت السياقات والتسميات؟

يحتاج حقل الاتصال إلى دراسة مستمرة وإلى أبحاث جادة إن كان ذلك على مستوى المفاهيم المبتكرةالتي يتم تداولها في الواقع الافتراضي أو الممارسات الجديدة التي نسجلها في إطار السياق الاجتماعي على المدى القريب والبعيد.

[16]DominiqueCardon, "Vertusdémocratiques de l'Internet", *La Vie des idées*, 10 novembre 2009. URL: http://www.laviedesidees.fr/Vertus-democratiques-de-l-Internet.html



1 . 4- الإشكالية:

1. 4. 0- تمهيد:

من المهم الإشارة إلى أنه كلما زادت الإشكاليات المرتبطة بحقل من الحقول العلمية، كلما زادت أهميته، باعتباره مجالا خصبا يستدعي بذل جهود تحليلية وتجاوز البداهة المعرفية واستخلاص الاستنتاجات التي لا تتوقف عند حد معين، وإنما تترك الأفق مفتوحا لمزيد التعديل والتطوير.

يمكن ملاحظة تفاوت درجة أهمية الإشكاليات المطروحة، وهنا يتجلى دور الباحث في اختيار أكثرها إثارة للجدل، ومنح إحداها الأولوية لما تتمتع به من آنية، وارتباطها بشكل مباشر بالفرد والمجتمع وتأثيراتها المتسمة بالعمق والاستمرارية.

تجدر الإجابة عن سؤالين قبل اختيار قضية أو ظاهرة أو وضعية وتناولها بالتحليل، يتعلق السؤال الأول بمدى الحاجة إلى الاكتشاف،لأنهمن الضروري توفر دافع معرفي لإزاحة الغموض لجعل القضايا المرتبطة بالموضوع واضحة، وهنا يتنزل الاستفهام الثاني الذي يتكامل مع الأول ويتمثل بالأساس في ملاحظة وجود نقص أو خلل ما وضرورة العمل لتجاوزه، حيث **"يمكن أن نعتبر أن هناك إشكالا عندما نشعر بالحاجة إلى تجاوز المسافة الموجودة بين وضعية البداية الغير مرضية ووضعية الوصول المرجوة".**[17]

تتضمن الإشكالية العنصر التساؤلي وعنصر الفرضيات الذي تُدرج فيه الإجابات الممكنة في صياغة أولية، باعتبار أنه سيتم التثبت، في مرحلة لاحقة، من مدى صحتها، فقد تكون كافية أو تحتاج تعديلا أو الإبقاء عليها مع إضافة إجابات أخرى ولدتها عملية التحليل،ومن المحتمل أن ننفيها ونحصل على أخرى.

1 . 4. 1- العنصر التساؤلي:

في البداية، ومن منطلق أن**"البحث هو تقصي أو فحص دقيق لاكتشاف معلومات أو علاقات جديدة ونمو المعرفة الحالية والتحقق منها"**[18]، فإن طرح التساؤلات يعتبر أمرا هاما, وذلك مهما كان مجال البحث الذي سنخوض غماره،إضافة إلى التحديد الدقيق إلى ما نطمح لمعرفته،لنصل إلى إجابات أقرب إلى الدقّة منها إلى الغموض, وإلى تفسيرات تلتزم الموضوعية وتنأى عن الأحكام الذاتية،وهو ما دفع إلى طرح الإشكالية التالية:

[17]Benoît Gauthier, *Recherche sociale. De la problématique à la collecte des données*, ibid, p.54.

[19]J.FrancisRummel, *Introduction to reserch procedure*, New york, Harper and Row, 1964, p.9.



*** إلى أي مدى ساهم الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية ومساندة التغيير الاجتماعيفي المجالين الافتراضي والعمومي؟:**

- إلى أي حد تدعمت دمقرطة الاتصال من خلال الأساليب التفاعلية للفايسبوك والمضامين التي ينشرها مستخدموه؟إلى أي حد تمكن مستخدمو هذه الشبكة الافتراضية من عولمة القضايا الاجتماعية عبر تبني رأي موحد تجاه قضية معينة وتدويل الأحداث والتعبئة الاجتماعية الافتراضية؟إلى أي حد اضطلعت المضامين الفايسبوكية بدور عقلنة الاتصال: ماهي الأساليب المعتمدة؟ ماهي أهم سمات هذه المضامين؟

*** إلى أي مدى أحدثت استخدامات الفايسبوك خللا اتصاليا؟:**

- إلى أي حد انجرّ عن تراكم أساليب التفاعل سلعنة الاتصال ومحاصرة المستخدم إلى درجة استعباده؟إلى أي حد نجم عن هذا التراكم تغليب العقل الوسائلي على العقل الإيجابي والإدمان وعدم التحكم في اتخاذ القرار؟إلى أي حد تسبّب استخدام الأساليب التفاعلية الافتراضية في اختلال موازين التواصلعلى مستوى الممارسات والعلاقات وتقييم المكانة الاجتماعية؟

*** إلى أي مدى يمكن تحميل مستخدمي الفايسبوك مسؤولية تفقير العملية الاتصالية؟:**

- إلى أي حد يمكن القول أن بعض المنشورات قد تساهم في قولبة الاتصال، وإفراغ الرسالة الاتصالية من الجدوى، وتكريس الابتزاز والاستغلال التفاعلي؟إلى أي حد قد تؤدي هذه المنشورات إلى تواصل سلبي وعشوائي وتنفير من المشاركة في العملية الاتصالية؟

1 .4 .2- الفرضيات:

تكتسي مسألة تحديد الفرضيات أهمية كبرى في مسار البحث، باعتبار أنها جملةمن الاقتراحات المترابطة والمتلائمة بشكل منطقي وموضوعي مع الإشكالية المطروحة، قصد الإجابة عما تتضمنه من تساؤلات من جهة، ولبلورة محاور الدراسة من جهة أخرى, و**"يجب على الفرضيات أن تكون عملية سواء كانت حقيقية لتفسيرها أو مفترضة لإثباتها أو نفيها"[19]**،وهو ما تطلب اقتراح الفرضيات التالية:

أولا، ينجم عن استغلال الأساليب التفاعلية للفايسبوك إثراء العملية الاتصالية في المجال الافتراضي وفي الواقع الاجتماعي من خلال دمقرطة الاتصال وعولمة القضايا الاجتماعية والسعي لعقلنة الممارسة الاتصالية.

[19]Serge Paugam, les 100 mots de la sociologie, ibid, p.15.



ثانيا، تحدث استخدامات الفايسبوك خللا اتصاليا نتيجة تراكم أساليب التفاعل واختلال موازين التواصل.

ثالثا، تتسبب بعض المنشورات الفايسبوكية في تفقير العملية الاتصالية، وهو ما قد ينجرّ عنه عرقلة عملية التغيير الاجتماعي على مستوى الممارسات والأدوار وتقييم المكانة الاجتماعية.

1 .5- تحديد المصطلحات-المفاتيح:

تعتبر مرحلة تعريف المصطلحات - المفاتيح خطوة هامة تسبق عملية الانطلاق في التحليل، حيث سيتم تحديدها حسب ما يعلن عنه الموضوع بصفة مباشرة أو غير مباشرة، للتطرق إلى كل مصطلح بالتفصيل، بالوقوف عند خلفيات نشأته التاريخية **أولا**، واستعراض التعريف أو التعريفات المقدمة له من طرف الباحثين **ثانيا**، مرورا بمراحل تطوره حسب السياق المجتمعي **ثالثا**.

1 .5 .1- الشبكات الاجتماعية الافتراضية/مواقع التواصل الاجتماعي:

لا يعتبر مصطلح الشبكات الاجتماعية حديثا، حيث**"يجب التذكير بأن استخداماته هي في الواقع قديمة جدافي مجال العلوم الاجتماعية،جون بارن(John Barnes)هو أولمن استخدم هذا المفهوم بشكل منتظم لوصف الأشكال الخاصة للتراتبية الاجتماعية في الجزيرة النرويجية الصغيرة التي قام بدراستها سنة 1950".**[20]

تم اعتماده لقيس العلاقات الاجتماعية في إطار نظرية الذرة الاجتماعية،وهي أصغر وحدة في قياس العلاقات، وتتصل كل ذرة اجتماعية بغيرها من الذرات الأخرى مكونة الشبكة الاجتماعية التي تتمحور بالأساس في جملة الروابط ذات الخصائص المختلفة، وكلما كانت متآلفة وقوية ساهمت في دعم البناء الاجتماعي، أما إذا ضعفت أواصرها ساعدت على تنافر الذرات، بالتالي، تفكيك الشبكة.

يدفع التعريف اللغوي للمصطلح إلى منحه دورا فاعلا في نسج العلاقات ومحاولة دمجها رغم اختلافات الأفراد وخصوصياتهم لتكوين كل غير متجانس، لكنه،يتكامل وظيفيا في إطار بناء اجتماعي متناسق.

تطور استخدام المصطلح بتطور تكنولوجيات المعلومات والاتصال،مع تواتر الحديث عن الفضاء الافتراضي، ليكتسي مصطلح الشبكات الاجتماعية مفاهيم جديدة تتماشى والتحولات الحاصلة، ويحتل

[20]Idem.



مكانة بارزة، إلى درجة الإقرار أن **"الشبكات تشكل الكيان الاجتماعي الجديد لمجتمعاتنا"**[21]، واعتبارها وليدة تزاوج التقني والعلائقي، وتتميز بمنح الفاعل الاجتماعي إمكانيات لم تكن متاحة له من قبل.

ساهمت الشبكات الاجتماعية الافتراضية من خلال أساليبها التفاعلية وتطبيقاتها في تحوير جملة من الدلالات وقلب الموازين الاعتيادية لنشأة العلاقات الاجتماعية، وإن كانت تحافظ على الغايات الجوهرية للشبكة الاجتماعية بأساليب متعدّدة، وهي تشكيل ودعم الروابط وتقريب الفاعلين الاجتماعيين، إلا أنها غيرت شيئا فشيئا من مرتكزات البنى الاجتماعية التقليديةومظاهرها الأساسية.

تنوعت التسميات التي أطلقت على هذه الشبكات، فالبعض اكتفى بإضافة عبارة "افتراضية"أو "رقمية"، والبعض الآخر خيّر استخدام مصطلح"مواقع التواصل الاجتماعي"،في حين نجد من جمع بين التسميتين ليستعمل في بحوثه مصطلح "مواقع الشبكات الاجتماعية"أو "شبكات التواصل الاجتماعي".

اتفق أغلب الباحثين، سواء في مجال الإعلام والاتصال أو في السوسيولوجيا، على تقديم الشبكات الاجتماعية الرقمية نوعا جديدا من الاتصال، وهو الاتصال الافتراضي، وما يتمتع به من خصوصية، كحرصهعلى توفير حيز أوسع لحرية الاختيار مقارنة بالشبكات التقليدية، إضافة إلى منح العلاقات الاجتماعية مظاهر جديدة تحددها ممارسات الأفراد التي**"تندرج في إطار ما يسمى نموذج "الحداثة السائلة" والمتحركةالتي تحيل على مجتمعات الفردانية والاستقلالية".**[22]

لئن تم التأكيد في العديد من البحوث أنالشبكات الاجتماعية الافتراضية منحت المستخدم الفرصة لتعزيزفردانيته وتدعيمها من خلال اختيارهللممارسات التي تشبع متطلباته الاجتماعية والنفسية، بحثا عناثبات الذات، فمن الملاحظ، من زاوية نظر أخرى، أن مواقع التواصل الاجتماعي ترسّخ تنميطا للتمثلات وقولبة لطرق التعبير.

في هذا الإطار، تتجلى أهمية البحث الذي تتلخص الغاية منهفي الكشف عن ازدواجية تأثير الشبكات الاجتماعية الافتراضية، في العملية الاتصالية بمختلف عناصرها وفي عملية التغيير الاجتماعي.

ما فتئ موقع الفايسبوك يفرض وجوده أكثر فأكثر من خلال الإمكانيات التفاعلية التي يتيحها، وهو ما دفع لاختياره مثالا عن مواقع التواصل الاجتماعي، نظرا للمكانة التي احتلها واكتسبها بفضل الاستخدام

---

[21]Nicolas Curianet Pierre-Alain Muet, La société de l'information, ibid, p.17.

[22] الصادق الحمامي، "كيف نفكر في مواقع الشبكات الاجتماعية؟ إحدى عشرة مسألة أساسية"، مجلة *أكاديميا*، السنة الأولى، العدد السادس، جوان 2012، منوبة، المنشورات الجامعية، ص .18.



المكثف له، حيث يبقى عدد المستخدمين لهذه الشبكة مرتفعا مقارنة بغيرها،ولا يقتصر الاستخدام على فئة معينة، وإنما هي محل إقبال من طرف الفئات المختلفة.

سيتم الإجابة بالأساس عن سؤال:**هل ساهم استخدام الفايسبوك في تحسين وتطوير العملية الاتصاليةأم تسببفي قولبة أساليبها ومضامينها؟ وهل يشكل عاملا لإثراء التغيير الاجتماعي أم لتفقيره؟**

1 .5 .2- الاتصال/ العملية الاتصالية:

ما فتئ مصطلح الاتصال يكتسي أهمية بالغة، وتتشعب إشكالياته المرتبطة بدرجات متفاوتةبحقول علمية أخرى، خاصة منها تلك التي تتمحور مواضيع بحثها حول الإنسان عامة وتمثلاته لذاته ولواقعه.

تختلف التعريفات المقترحة لمصطلح الاتصال حسب النظريات، وهو ما جعله يشهد تطورا ملحوظا حيث تم الانتقال من الاتصال المباشر إلى الاتصال الجماهيري إلى الاتصال التفاعلي.تم الاكتفاءفي النظريات الأولى، كنظرية المعلومات، بتحليل الاتصال على أساس نموذج خطيدون التطرق إلى أهمية مسألة التأثير التي أشار اليها هارولد لاسويل(Harold Lasswell):**"من يقول ماذاعن طريق أية قناةلمن وبأي تأثير؟"**،أو كما سماه ولبر شرام (WilburSchramm) رجع الصدى،إضافةإلى أهمية السياق النفسي والعوامل الاجتماعية.

إذن، العملية الاتصالية هي**"عملية تنتقل من خلالها "الرسائل" أيا كانت طبيعتها والركائز المستخدمة فيها، من فرد إلى آخر، بحيث تجعل التفاعل الاجتماعي ممكنا"**[23]، حيث يرتبط الاتصال بمسألة الهوية والإدراك الاجتماعي، وينبع من وجود جدلية بين الأنا والآخر، وينطلق من أرضية مشتركة ومن ذاكرة جمعية ومن شبكة من الرموز والمعاني المتداولة والمتفق عليها.

انتقل الاتصال من عمليات تبادل إلى عمليات اجتماعية، وما انفك يتطور حسب ما تشهده المجتمعات من تحولات على المستوى التكنولوجي، وما رافقه من تمثلات للذات وللآخر وللعالم حتى أن جيرار لوكلارك(Gérard Leclerc)اقترح مفهوم **"مجتمع الاتصال"**[24]، في إشارة واضحة للمكانةالتي احتلتها العملية الاتصالية التي رسختها الانترنت، ودعمت مبادئها وقوانينها مواقع التواصل الاجتماعي.

---

[23]جيل فيريول،معجم مصطلحات علم الاجتماع(Vocabulaire de la sociologie)،ترجمة أنسام محمد الأسعد، بيروت، دار ومكتبة الهلال،2011، ص.53.

[24]Gérard Leclerc, Société de la communication, Uneapprochesociologique et critique, Paris, P.U.F,1999.



لا يجب استخلاص أن المسألة تقتصر على التطور الحاصل على مستوى الوسائل المعتمدة، فالاتصال الافتراضي تجاوز نظريةمارشال ماكلوهان(Marshall McLuhan)الذي اعتبر "الرسالة هي الوسيلة"، ليتبنى إلى حد ما نظرية مانيوالكاستيلز(ManualCastells)الذي يرى أن "الرسالة هي نفسها الشبكة"كما تحدث عن "الاتصال الجماهيري-الآلي" (l'auto communication de masse).

شهدتالعملية الاتصالية نقلة كمية ونوعية من حيث وفرة الأساليب واختلاف التقنيات والتطبيقات،ولم يحل ذلك دون التنبيه إلى ما غدا يشكله من مخاطر تهدد علاقة الفرد بذاته وعلاقاته مع الآخرينمن جهة، والبنى الاجتماعية ووظيفيتها من جهة أخرى، فالاتصال الذي كان وسيلة يستخدمها الأفراد حسب ما يختارونه من قنوات لتمرير رسائلهم، "غزا" حياتهم الاجتماعية إلى درجة التحكم فيها.

فهل يمكن الحديث عن "لوثة" اتصالية نتيجة الاتصال المفرط والجامح، خاصةوأن هناكمنأكد أن العولمة الاتصالية **"تنمط السلوك وتساعد على إلغاء التنوع الثقافيوالذهني والإبداعي."**[25]؟

1 .5 .3- التفاعلية:

يمكن القول أن التفاعلية كمصطلح **"ظهر سنة 1964،إبان صياغة اللغة الرقمية، وهو يسم إمكانيات التفاعل بين الآلة والمستخدم عن طريق إجراءات تستدعي الصيغة التحاورية"**[26]،وهو ما يشيرإلى ارتباطه، عند نشأته، بحقل العلوم التقنية، حيث يقوم بالأساسعلى النموذج الحسابي المنطقيالذي يعتمد على التحديد،منذ البداية، لكيفية اشتغال آلة، لتبلغ جملة من الغايات المطلوبة منها حسب الإمكانيات المهيأة لها للاستجابة لأهداف مستخدميها.

في هذا السياق، ساهمت التفاعلية في تسهيل تمرير الرسائل بين الأطراف المختلفة مع ضمان التفاعل الاجتماعي، وهو ما دفع بعض الباحثين إلى التأكيد على كفاءة مصطلح التفاعلية في دراسة الظواهر الاجتماعية.

غدتالتفاعلية محل جدل، منذ التحولات التي تشهدها تكنولوجيات الاتصال بشكل متواصل، و"تغلغل" أساليبها وتقنياتها وتمثلاتها في جل مظاهر الحياة الاجتماعية، ولعل من أبرز التساؤلات التي أثارتها:**"عما نتحدث عندما نطرح إشكالية "تفاعلية تكنولوجيات الإعلام والاتصال"؟:عن استثمار**

---

[25] المنصف وناس، "عناصر أساسية لبناء علم اجتماع الاتصال(محاولة فهم في ثنائية الاتصال والهيمنة)"، المجلة التونسية لعلوم الاتصال، عدد 47/ 48، جويلية 2006/ جوان 2007، تونس، جامعة منوبة، تونس، ص.31.

[26]Joëlle Le Marec,"Dialogue interdisciplinaire sur l'interactivité",*Communication et langages*,n°128, 2ème trimestre 2001, p.106.
http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/colan_0336-1500_2001_num_128_1_3079



تكنولوجيات الإعلام والاتصال من طرف مستخدميها؟ عن مهارة المبرمجين والمصممين في جعلهذه التقنيات مألوفة حتى الحميمية؟ أليست التفاعلية سوى إثارة للاهتمام إلى درجة الصدمة، أم أنـهاعلى العكس تمثل مرجعية وضمانةجديدة لشرعية الممارسات الاجتماعية والعادات الجماعية؟"[27].

وهو ما سيتم الإجابة عنه للوقوف عند خصائص التأثير المزدوج للأساليب التفاعلية الافتراضية.

1 .5 4- التفاعل الاجتماعي:

يتمثل في مجموعة العمليات الاجتماعية المتسلسلة غير المتجانسة والمتحولة والمتطورة،في هذا الإطار، تحدث بيار بورديو(Pierre Bourdieu)عن أهمية تجديد الممارسة الاجتماعية، التي تسعى لتحقيق هدف مشترك عن طريق توزيع الأدوار، والالتزام بجملة من المعايير(التطبيع المعياري - التعلم الاجتماعي– المحاكاة- آلية العدوى الانفعالية - التحكم من خلال الترويض والترغيب- الذكاء الانفعالي/ العاطفي...)، التي تتشكل على أساسها جملة العلاقات، التي تشمل العلاقة بين الفرد وذاته وبين الفرد والمجموعة من ناحية،والعلاقة بين الفرد ومحيطه، من ناحية أخرى، أي كيفية تشكل صورة الآخر وتمثله من خلال الضمير الجمعي، عبر جملة الرموز الاجتماعية.

تعددت الدراسات حول مصطلح التفاعل الاجتماعي بمفهومه الكلاسيكي، قبل ظهور تكنولوجيات الاتصال الحديثة، فقد أكد ماكس فيبر (Max Weber)على أهمية دراسة تأويل معنى الفعل الاجتماعي، واهتم جورج هربرت ميد(George Herbert Mead) بخصوصية التفاعل الاجتماعي في تعزيز العلاقات الاجتماعية، وذلك لإثبات الكفاءة الاتصالية لكل فاعل وأهمية الدور الاجتماعي الذي يضطلع بهفي إنجاح عملية التفاعل الرمزي.

اكتسب مفهوم التفاعل الاجتماعي أبعادا مختلفة بتوفير المجال الافتراضي لأساليب متعددة منحت المستخدمين إمكانية اختيار الدور الاجتماعي وتوسيع دائرة العلاقات. يمكن القول أن استخدام الفايسبوك ساهم في بلورة أنماط جديدة من التفاعل الاجتماعي،وهو ما يدفع إلى التساؤل عن تأثيرها المزدوج في المنظومة الرمزية التي تقوم عليها العملية الاتصالية.

[27]ChristinPapilloud, "Interactivité et lien social. L’interactivité", volume 4, n°1, 2010, https://ticetsociete.revues.org/769



1. 5 .5- التأثير:

شغلت مسألة التأثير حيزا هاما من الإشكاليات المطروحة، ويتجدد حضورها بصفة أكثر إلحاحا في كل مرحلة يشهد فيها الاتصال جملة من التحولات التي تدفع إلى إعادة التساؤل،للكشف عن الخصائص واستقراء المظاهر، وتحليل أساليب ومضامين العملية الاتصالية التي تتغير خصوصياتها حسب القناة التي ترتكز عليها أولا وحسب استخدام الأفراد لهذه القناة ثانيا.

في هذا السياق، تتنزل مسألة تأثير الشبكات الاجتماعية الافتراضية عامة والفايسبوك بصفة خاصة التي تعددت حولها وجهات النظر حسب زاوية البحث المعتمدة، واختلفت فيها الاستنتاجات،سواء كان على مستوى التلقي أو الاستخدام، التمثل أو الممارسة، التطويع والقبض أو الانقياد وإفلات زمام التحكم.

إن مسألة التأثير ليست محسومة ولا تحمل بعدا واحدا، فهي مثيرة لجملة من التساؤلات التي تحتاج الوقوف عندها لمحاولة الإجابة عنها، وبما أن التأثير مرتبط بالقائم بالاتصال الذي يلعب فيه دور المنتج والمرسل والمتلقي، فذاك يجعل التأثير متعدد الأبعاد ومختلف الخصوصيات.

لم يعد بالإمكان الاكتفاء بالقول أن التأثير قوي أو ضعيف، مباشر أو على مرحلتين، ولا يمكن في سياق خول للجميع تقريبا نفس الإمكانيات للتواصل والتفاعل عن الدور الذي يضطلع به قادة الرأي، ففي مرحلة الاتصال التفاعلي وفيما يرتبط بالفايسبوك، هناك رؤية تشاركية تستبعد المقاربات العموديةوحتى الأفقية والهرمية.

نجد إجابات عدة حول طبيعة التأثير، فمنها ما يميل إلى اعتبار الشبكات الاجتماعية الافتراضية مساحة غير محدودة للتحرر، مانحة فرصة لتشكيل علاقة جديدة مع الذات ومع الآخر،من شأنها تغيير طبيعة التعامل مع الواقع الاجتماعي وعدم الاكتفاء بالقبول السلبي والتكيف القسري، إنما تفعيل المشاركة في العملية الاتصالية والنقد والاقتراح وغير ذلك من خصوصيات الديمقراطية.

أكد باحثون آخرون أن مواقع التواصل الاجتماعي قد تساهم في إحداث خلل على مستوى العملية الاتصالية، وتهديدا لسلامة البناء الاجتماعي، حيث تم استخدامها لنشر الفوضى أو خلق أزمة أو عدم التعامل العقلاني مع مشكلة من مشاكل المجتمع والانحياز عن الموضوعية اللازمة، سواء كان ذلك قصدا



أو دون قصد، معتبرين أن **"الشبكة الاجتماعية هي غالبا ما تكون مختبرا من أين تنطلق حملات التضليل يخدمها غياب عادة القراءة النقدية للمضامين الإعلامية"**[28].

بالتالي، سنحاول الوقوف عند تأثير الفايسبوك في العملية الاتصالية في المجال الافتراضي وفي الواقع الاجتماعي ومحاولة التوفيق بينهما بإرساء علاقات من شأنها تدارك الخلل، الذي وإن ولده الاتصال، فهو الذي يمكن من تجاوزه.

إن الخلل، في هذا الإطار، ليس بالضرورة تهديدا للبناء الاجتماعي ونسقيته، وإنما هو هام لتعديل الوظائف وجعل بعض القيم الاجتماعية محل نقاش لترسيخها أو تعديلها أو تقويضها، وتبني أخرى أكثر تلاؤما مع السياق المجتمعي المتغير.

1. 5 .6- التغيير الاجتماعي:

إذا تمت العودة إلى الجذور التاريخية،**"يعزى الفضل إلى وليم أوغبرن (w.ogburn) في انتشار مصطلح التغيير الاجتماعي، وتخليصه من المصطلحات الغامضة التي أطلقت عليه ك"التقدم" والتطور وغيرهما، عندما نشر كتابه "التغير الاجتماعي""**[29]،كما سجل المصطلح حضورا مكثفا في أعمال كارل ماركس(Karl Marx)،فمن خلال نظرية "المادية التاريخية والمادية الجدلية"، أكد على أهمية التغير كمحرك للمجتمعات، وليد صراع مستمر بين قديم سيهزم وجديد سينتصر.

تعددت الدراسات حول إشكالية التغيير الاجتماعي، وتجاوزت المقاربة الحتمية الماركسية، لتجعل من التغيير عملية غير ثابتة النتائج، باعتبار أنها لا ترتبط دائما بأهداف محددة مضبوطة سلفا، حيث **"قد تكون حركة التغير إلى الأمام أو إلى الخلف، إلى أعلى أو إلى أسفل. ارتقاء وتقدما، أو نكوصا وتخلفا، (...)،وقد يكون هذا التغير تلقائيا وقد يكون مخططا، بطيئافي سرعته، أو ثوريا جذريا وسريعا".**[30]

إن التغيير سيرورة تتميز بالدينامية والبحث عن الوضعيات الأكثر ملاءمة لتطلعات الفرد، مستبطنة غايات تسعى لتحقيقها، وتوقفها يعني فناء مجتمع ما،إذن، يمكن القول أن التغيير الاجتماعي هو أشبه

[28]RiadhFerjani, "la révolution Facebook n'a pas eu lieu", Akademia, n.1, Janvier 2012, Tunis, Université Manouba, p.12.

[29]جيل فريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، مصدر سابق،ص.126.
[30]أحمد عبد الجواد رأفت، مبادئ علم الاجتماع، جامعة القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، 1983، ص.126.



بحتمية تحتاجها المجتمعات كركيزة للتجدد وربما للهدم وإعادة البناء،أو قلب الموازين، أو اندثار خصائص اجتماعية وثقافية وأطر مرجعية، لتحتل أخرى مكانها.

تدعم حضور المصطلح مع انتشار تكنولوجيات الاتصال الحديثة، إلى درجة التأكيد**"أنه فعلا عصر التغيرات والتحولات اللامتناهية، والتي لا يمكن توقع آثارها وانعكاساتها المستقبلية، والتي لم تترك أي مجال دون أن تخترقه وتحدث فيه تطبيقات حديثة واستخدامات جديدة، ملغية بذلك نظيراتها التقليدية أو على الأقل تقليص أهميتها ومعدل استعمالها"**[31].

شمل التغيير الاجتماعي الذي رافق الاستخدام المتنامي للفايسبوك جميع المستويات، لذلك سيتم تحليل مظاهره ومستوياته لاستجلاء التأثير المزدوج:هل ستدفع الأساليب التفاعلية والمضامين المنشورة نحو إثراء عملية التغيير الاجتماعي، بدعم غايات الفاعلين الاجتماعيين أم ستتسبب في التفقير عاجزة عن الاستجابة لانتظارات الأفراد إلى مجتمع يؤمن بالحاجة إلى التغيير للمحافظة على حيويته بما يتماشى مع متطلبات العصر وتحولاته؟

1. 6-الاعتبارات المنهجية:

1 0.6- تعريفات ممهدة لمصطلحات منهجية:

1 . 6. 0. 1- المنهجية:

تعتبر الإطار والمحرك، في نفس الوقت، للعملية التحليلية في جميع مراحلها، حيث" **يمكن تعريف المنهجية على أنها القدرة على التوظيف الجيد للمناهج والتقنيات التي لا يكتفي الباحث بمعرفتها، بل من الضروري أيضا إتقان استخدامها أي تكييفها بدقة شديدة فيما يتعلق بالموضوع المحدد للبحث أو الدراسة من ناحية والأهداف من ناحية أخرى"**[32].

تشتمل المنهجية على **ثلاثة** مستويات أساسية، وتتمثل في مستوى المقاربات واالتمشيات والمبادئ العامة أي العدة النظرية ذات البعد الفلسفي والإبستمولوجي**أولا**، ومستوى المناهج التي تفسح المجال لاعتماد طريق علمي له قوانينه الخاصة التي تسمح بتحديد كيفية التعامل مع موضوع البحث، مع مراعاة الظروف

---

[31]إبراهيم بعزيز، "دور وسائل الإعلام الجديدة في تحول المتلقي إلى مرسل وظهور صحافة المواطن"، مجلة *الإذاعات العربية*، العدد 3، 2011م، تونس، اتحاد إذاعات الدول العربية، ص45.

[32]Omar Aktouf, Méthodologie des sciences sociales et approche qualitative des organisations : Une introduction à la démarche classique et une critique, Montréal, Les presses de l’Université du Québec, 1987, p.29.



الملائمة لحل المشكل المطروح **ثانيا**، ومستوى التقنيات والأدوات **ثالثا**.بالتالي،تتضمن المنهجية بعدان: البعد النظري والبعد التطبيقي وهما متكاملان ومترابطان عضويا.

6.1. 1. 2- المقاربات المنهجية:

تمثل المقاربة المنهجية طريقا معرفيا يتيح الاكتشاف الذي سيؤدي إلى الاستفادة عبر استخدام منهج معين يتماشى وطبيعة القضية المطروحة، كما أنه سيسمح بالسعي قدما في هذا الطريق الممهد ليضيف بصمته الخاصة،لذلك **"يمكن اعتبار المقاربة المنهجية سيرورة فكرية لا تنطوي على مراحل أو تمشي نسقي أو صرامة معينة، ولكنها نوع من حالة الفكر وضرب من التنظيم العام الذي يموقع الخلفية الفلسفية أو النظرية للباحث أو الدراسة".**[33]

هناك طريقان رئيسيان لمحاولة الاقتراب من "الحقيقة" العلمية، ويتمثلان في طريق الوثائق بمختلف أصنافها سواء على مستوى المصادر المعتمدة أو المستوى التحليلي، وهوما يعرف **بالمقاربة الوثائقية** وطريق الميدان الاجتماعي الذي يندرج في صلب **المقاربة الإمبيريقية** التي تعتمد لبلوغ الغايات البحثية على الملاحظة والتجربة المخبرية والتحقيقات السوسيولوجية الكمية والنوعية بواسطة الاستبيان والمقابلة.

1. 6. 1. 3- المقاربة الوثائقية:

تمكن هذه المقاربة عبر خصائصها الاستطلاعية من التعرف على الظاهرة عن قرب وملامسة الواقع،وهو ما يسمح بتحليل وفهم دقيقين للقضايا المرتبطة بموضوع البحث، وتقوم على ثلاثة أصناف من المناهج، وهي التحاليل الوثائقية الكلاسيكية **أولا** وتحاليل المضمون **ثانيا** وتحاليل الخطاب **ثالثا**، لذلك من المهم الاطلاع على خصائص هذه المناهج لمعرفة أيها الأنسب للخطة البحثية، والذي يضمن،بما يشتمل عليه من تقنيات نظرية وتحليلية،الاستجابة لمتطلبات الموضوع.

1. 6. 0. 4- المناهج:

تعتبر عملية اختيار المنهج الملائم للأطروحة من المسائل الجوهرية التي يجب إيلائها درجة كبيرة من الاهتمام والدقة, ف**"ليس هناك بحث علمي دون منهج واضح، يتم وفقا لقواعده دراسة المشكلة محور**

[33]Omar Aktouf, Méthodologie des sciences sociales et approche qualitative des organisations : Une introduction à la démarche classique et une critique, Montréal, Les presses de l’Université du Québec, 1987, p.27.



البحث وتحليل أبعادها ومسبباتها ومعرفة جوانبها وتأثيرها وتأثرها بالظواهر المحيطة، ووفقا لأدواته يتم قياسها والتنبؤ بحركتها والوصول إلى معالجات ونتائج محددة"[34].

إذن،كلما كان الاختيار المنهجي مناسبا لموضوع البحث ولإشكاليته وفرضياته, تم التوصل إلى نتائج تتسم بالموضوعية, فالمنهج هو بمثابة الطريق الذي سننتهجه لبلوغ الأهداف المرجوة من البحث **أولا** وللاقتراب من "اليقين" المعرفي **ثانيا**, وإن كان ذلك يتسم بالنسبية باعتبار أن الجدل العلمي يبقى قائما.

1. 6. 0. 5- تحاليل المضمون:

1. 6. 0. 5. 1- تحاليل المضمون البسيطة:

لا تعتبر تحاليل المضمون حديثة العهد، فقد اعتمدها الباحثون في عدة حقول علمية، وإن انطلق استخدام المصطلح باقتراح تسمية التشفير/فك التشفير،أو الترميز/فك الترميز من طرف المختصين في علم اللغة بفروعه المختلفة، ولعل أهمها السيميولوجيا، وتطور استخدامه ب**"صرف الانتباه إلى ما يتعدى مجرد مستوى دلالة المطابقة أو الظاهر في المعلومات التي يراد نقلها في رسالة ما،نحو مستويات المعنى الإيحائي(الضمني أو الافتراضي أو الكامن) التي تحمل في العادة على "ظهر"ما يبدو وحدات بسيطة من المعلومات الصريحة التي يمكن أن تنقلها الرسالة"**[35].

يقوم هذا المنهج على جملة من المبادئ المترابطة، وذلك لبلوغ المآرب بطريقة سلسة تخول تفكيك المنظومة الرمزية **أولا** بشكل تفصيلي،لرصد دلالاتها**ثانيا**،وإعادة تشكيل الصورة واضحة **ثالثا**.

1. 6. 0. 5. 2- تحاليل المضمون المقارنة:

تم اقتراح تحاليل المضمون المقارنة، من طرف عالم الأحياء التطوري والإحصاء الانجليزي رونالد فيتشر(Ronald Ficher) الذي تمحورت بحوثه حول تقدير الاحتمال وتحليل التباين.

يجب أن تتوفر شروط تسمح باستخدام هذا المنهج، لعل أهمها طرح نفس القضية أو الحادثة وتأثيراتها، التي قد تكون هي ذاتها أو متناقضة في صلب المجتمع الواحد أو بين المجتمعات، بما أن**"المنهج المقارن**

---

[34] محمد عبد الغني مسعوديومحسن أحمد الخضيري، الأسس العلمية لكتابة رسائل الماجستير والدكتوراه، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1992، ص41.

[35] بينيت(طوني) وغروسبيرغ(لورانس) وموريس(ميغان)، مفاتيح اصطلاحية جديدة. معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع

(New keywords. A RevisedVocabulary of Culture and Society)، ترجمة سعيد الغانمي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، سبتمبر 2010،2010، ص50.



يقتضي إجراء مقارنة منطقية بين الظواهر الاجتماعية المتشابهة بوضوح في سياقات اجتماعية مختلفة"[36].

1 .6 .0 .6- التقنيات المنهجية:

تعرف التقنية بأنها**"مهارة تقليدية مرتكزة على تجربة شبه مقننة ومتنقلة من جيل إلى آخر"**[37]، وتخول اختبار الفرضيات وتحليل عناصر الموضوع، وتتماشى مع خصوصية العينة.

إذن، هي وسيلة نظرية لما تتضمنه من مبادئ وقواعد وقوانين تم التوصل إليها بعد الاختبار، لتكون في خدمة الباحثين عند الحاجة، وتطبيقية لما توفره من آليات عمل تجعل المهمة التحليلية أكثر يسرا،فمن خلال التقنيات،يمكن فهم الظواهر وتفسير القضايا استنادا على المنطق العلمي، وهو ما يجعل الاستنتاجات تبتعد عن الذاتية والأحكام المسبقة، وهو ما يكسب البحث قيمة معرفية باعتبار أن ما تم التوصل إليه هو مجهود قائم على البرهنة.

لا يتوقف الأمر عند هذا الحد، فتقنيات البحث تساعد على توصيف الواقع وتحليله،مانحة الفرصة لمساءلة المقاربات، ولفت الانتباه إلى حدودها، وإلزامية بلورة نظريات جديدة لمعالجة الإشكاليات التي ما فتئت تكثر وتتشعب فيما يتعلق بالعملية الاتصالية.

1. 6. 0. 7- شبكة تحليل المعطيات:

يمكن تعريفها بأنها **"إحدى أدوات جمع البيانات الرئيسية المرتبطة بأسلوب البحث في تحاليل المحتوى، حيث تجمع هذه الأداة بين فئات التحليل ووحدات المعنى المرتبطة به لتحليل العناصر الكمية والنوعية"**[38].

تتطلب جمع المعلومات وتبويبها وتصنيفها، للتمكن من تأويلها من خلال تفكيك رمزيتها واستعراض دلالات مضامينها حسب ما يتم ضبطه من فئات تحليلية، و**"كل فئةهي بناء اجتماعي وتاريخي نشأ،في لحظة زمنية معينة، تلبية لجملة من المتطلبات المحددة والمفصلة. بالتالي، توفر الفئة تصورا للظاهرة المعروضة، دائما ما يكون جزئيا وقابلا للنقاش"**[39].

---

[36]مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مصدر سابق، ص.86.

[37]جيل فيريول، معجم *مصطلحات علم الاجتماع*،ترجمة أنسام محمد الأسعد،مصدر سابق، ص.169.

[38]Corno(Christian), Une approche multidisciplinaire de la recherche en sciences humaines, Montréal, Chenelière Education, 2010,p.133.

[39]Serge Paugam, les 100 mots de la sociologie, ibid, p.33.



1. 6. 0. 8- العينة:

إن العينة في معناها البسيط جزء من كل، ولا يتم الانتقاء بشكل عشوائي أو حسب الرغبة الذاتية، بل يجب التحلي بالموضوعية لاختيار جزء يمتلك من الخصائص القادرة على إعطاء فكرة يمكن تعميمها على الكل.

إذن، يمكن القول أن العينة قد تمثل المجتمع في كليته،كما قد يقتصر الأمر على فئة منه حسب الزاوية التحليلية.قد يكون اختيار مفردات العينة عشوائيا / احتماليا أو قصديا مع البرهنة على قدرة المجتمع المستهدف على تمثيل المجتمع المتاح.

مهما كان نوع العينة المختارة،فهي تلتزم بشرط أساسي وهو الشمولية، ف**"إذا كان المطلوب تحليل المواقف المختلفة أو تقلب السلوك، يجب على العينة أن تمكن،قبل كل شيء، من تحديد قدر الإمكان الوضعيات الأكثر تناقضا واختلافا"**[40].

1 .6. 2- المنهجية المعتمدة في أبعادها النظرية:

تم اللجوء إلى منهج **تحليل المضمون** وذلك لدراسة مختلف أشكال التفاعل التي وفرها الفايسبوك لمستخدميه،للتعرف على مدى إقبال الأفراد على استغلال هذه الأساليب من ناحية، وكيفية استغلالهم لها من ناحية أخرى،كما سيسمح هذا المنهج بمعرفة آثار الأساليب التفاعلية الخاصة بشبكة الفايسبوك والمضامين التي ينشرها المستخدمون، في العملية الاتصالية وفي عملية التغيير الاجتماعي.

تتطلب عمليتي التفسير والفهم تحليلاللرموز ورصد ديناميتها وتنزيلها ضمن الواقع الاجتماعي الذي يؤثر فيها وتؤثر بدورها فيه، باعتبار أن**"الطموح يتجاوز ما يقف عنده السيميولوجي الذي ينحصر عمله في أفق العلامة وأنساقها، ليبني نسيجها ضمن واقع اجتماعي متغير، مما قد يسمح بالحديث عن سيميولوجيا الفعل أو الظاهرة الاجتماعية"**[41].

تجدر الإشارة إلى أن الاعتماد على تحليل المضمون يمكن من تأويل الرموز واستعراض دلالاتها التي قد تكون دلالة مباشرة، أي ذلك المعنى الأولي للرمز، مع التعمق في مدلوله الإيحائي،أي القصد الكامن الذي يكتسي أهمية بالغة قد تفوق الدلالة الواضحة ذات المعنى المتعارف عليه.

---

[40]Serge Paugam, les 100 mots de la sociologie, ibid, p.33.

[41]محسن بوعزيزي، "السيميولوجيا الاجتماعية"، مجلة إضافات، العدد التاسع، شتاء 2010، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، ص.73.



يعد التقيد بدراسة مجتمع ما والأخذ بعين الاعتبار لقضاياه التي يتم فهمها من خلال تنزيلها في سياقها أمرا كافيا، لكن، عندما يغدو هذا السياق عالميا، فإنه لا يمكن تفسير ما يجري في مجتمع ما، إلا إذا تم توسيع دائرة التحليل لإدراج مقارنة من شأنها التوضيح،وهو ما يستدعي استخدام منهج تحليل المضمون المقارن، حيث **"يتعلق الأمر(...) برصد حركة العلامة وهي تتجول في عوالم مختلفة سوسيوثقافية وتاريخية"**[42].

بالتالي،هناك حاجة إلى جمع المضامين المتعلقة بظاهرة ما في سياقات مختلفة والتي مُنحت رموزها نفس المدلولات في الواقع الاجتماعي العالمي، باعتبار أن توحيد المنظومة الرمزية للعالم لا يخفي ازدواجية تأثيره في الهوية الخاصة بكل مجتمع، في هذا السياق، دعا البعض إلى تبني هوية عالمية لمجابهة الاضطرابات التي تشهدها المجتمعات، وهو إن كان اقتراحا لحل، قد يتحول إلى مولّد لمشكلات فيما يتعلق بالقولبة والتنميط.

من الضروري، في هذا السياق، الاقتراب من عينة البحث ومحاولة استقصاء تمثلاتها ومراقبة ممارساتها والأخذ بعين الاعتبار لفردانية الفاعل الاجتماعي،الذي وإن التزم بالضوابط،فإن له تصوراته الخاصة التي يجب فهم رمزيتها لتفسير الأسس التي تحدد سلوكه ودوره وعلاقاته، **"فإدراك هذا الواقعلا يتم دون وجهات نظر الأشخاص الفاعلين، لذا لابد من استجلاء تأويلهم لأوضاعهم وللظواهر الاجتماعية"**[43].

1. 6. 3- المنهجية المعتمدة في أبعادها التطبيقية:

تستوجب هذه المرحلة تحديد عينة البحث وأداة التحليل اللازمة التي ستعتمد لتحقيق الأهداف.

1. 6. 3. 1- تحديد عينة البحث:

تم ترجيح أن تكون العينة غير الاحتمالية هي الأكثر استجابة لمتطلبات الموضوع وتماشيا مع أهداف الخطة البحثية. في هذا الإطار، نشير إلى أن لهذه العينة تسميات مختلفة، لعل أهمها العينة القصدية والعينة التحكمية، وهو ما يدفع إلى القول أنها تعتمد بشكل كامل على ما يحدده الباحث، دون إهمال الشرط الأساسي، وهو كفاءة العينة في الإحاطة بمختلف زوايا موضوع البحث وتضمنها للعناصر التي تشكل أبعاده المتعددة.

[42] نفس المصدر، ص.73.

[43] نصر الدين العياضي، "الرهانات الابستمولوجية والفلسفية للبحث الكيفي: نحو آفاق جديدة لبحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية"، مجلة شؤون اجتماعية، الإمارات،الجامعة الأمريكية بالشارقة وجمعية الاجتماعيين والاقتصاديين، عدد 107، 2010، ص.7.



يتمثل المضمون المستهدف في صفحات الفايسبوك, وبحكم أنه يعسر دراستها كلها في إطار مجهود بحثي واحد, تمال اكتفاء بمضمون بعض الصفحات التي تكون أكثر تلاؤما مع الموضوع،وتخدم بصفة مباشرة الأطروحة، للتمكن من التحكم في مفرداتها حسب ما تتطلبه مستويات التأثير التي سنقوم برصدها، والتي لا تتبنى اتجاها واحدا، ولا تقتصر على زاوية تحليلية معينة، بما أن الموضوع المطروح متشعب الرؤى، ومن المستحسن دراسته من زواياه المختلفة، لبلوغ نتائج من شأنها تحقيق الأهداف والالتزام بالموضوعية التي تستوجب فحصا يشمل جميع الخصوصيات.

إن اختيار عينة البحث أبعد ما يكون عن الذاتية،حيث تم الاعتماد على ثلاثة مرتكزات، وتتمثل:

أولا، مدى خدمتها لموضوع البحث وارتباطها به، مع عدم الاقتصار على مضامين الصفحات التي تتمتع بنسب انضمام مرتفعة، إنما اختيار مفردات بحث من صفحات تنخفض فيها أعداد المنضمين،وذلك لاستعراض جميع مظاهر التفاعل والوقوف عند مختلف التمثلات والممارسات الاتصالية الافتراضية، والأخذ بعين الاعتبار الآراء المتباينة التي يتم على أساسها لعب دور اجتماعي دون آخر.

ثانيا، توضيح مختلف الأدوار التي اضطلع بها مستخدمو الفايسبوك، من خلال توظيفهم للأساليب التفاعلية الخاصة التي وفرتها هذه الشبكة الاجتماعية الرقمية، التي أثرت بدورها في تمثلاتهم وممارساتهم الاتصالية الافتراضية من جهة، وعلاقتهم بواقعهم الاجتماعي وتعاملهم مع القضايا المطروحة في المجال العمومي من جهة أخرى.

ثالثا، ارتكاز العينة على الصورة نظرا لما تتمتع به من أهمية ومكانة اتصالية، وباعتبار أنها أكثر المضامين حضورا واستعمالا في شبكة الفايسبوك على مستوى النشر والتقاسم والتفاعل، وإحداثا لتأثيرات مختلفة في شتى المواضيع المرتبطة بعلاقة الإنسان بذاته وبالآخر. بالتالي، مثلت وفرتها وتباين فحواها نوعا من الثراء الرمزي والدلالي الذي سيخدم البحث، الذي ينطلق بتحليل مضمون صفحة الفايسبوك بصفة عامة، وما توفره لمستخدميها من أساليب تفاعلية.

1. 6. 3. 2- نموذج شبكة تحليل المعطيات:

فئات الشكل	فئات المضمون



- القائم بالاتصال: * الفايسبوك: (لقطة شاشة) المضامين المتعلقة بأساليب الفايسبوك لعرض الاستراتيجيات التفاعلية. * مستخدمو الفايسبوك.	- في أي سياق نشر؟: *السياق التاريخي *مدى تواتر حضور المنشور
- نوع الصورة وعناصرها : صورة فوتوغرافية- رسم – خطاب لفظي- منشور يتضمن صورة مع خطاب لفظي.	- ما الذي تطرق إليه المنشور: *الموضوع : مدى ارتباطه بالشأن الخاص للفرد/مدى انفتاحه على الشأن المجتمعي المحلي والعالمي. * المجال السياسي/الاجتماعي/الاتصالي...
- الإخراج الفني: الألوان- التقنية المستخدمة- الخلفية- الخط المعتمد وحجمه –اللغة.	- لماذا نشر؟: الغاية/الغايات
- طريقة صياغة الرسالة: *طريقة التعبير: مباشر - غير مباشر *الأساليب المعتمدة (التأكيد- الاستفهام- التعجب...)	- مدى النجاح في تحقيق الأهداف: * الكفاءة الاتصالية *القدرة على التأثير والتغيير على المدى القريب والبعيد.

1. 6. 4- الصعوبات:

يمكن حصر الصعوبات في أمرين أساسيين:

أولا، صعوبة دراسة كافة الصفحات وتحليل مضمونها، وهو ما سنحاول تجاوزه باختيار عينة غير احتمالية،أي الاقتصار على المضامين التي تخدم موضوع البحث من حيث إشكاليته وفرضياته والمحاولة قدر الإمكان التحلي بالموضوعية.

ثانيا، صعوبة منح الرمز في شبكة الفايسبوك دلالة معينة وموحدة، لذلك من المهم الإشارة إلى أن ما سيتم تقديمه خلال عملية تحليل المضمون هو قراءة علمية، لكنها، لا تبلغ حد اليقين على مستوى الدلالات الممنوحة، وإنما هي رؤية من وجهة نظر محددة حسب خطة البحث ومتطلباته، تلتزم بالمنطق



العلمي قدر المستطاع، وهذا لا يعني إلغاء احتمالاتقراءات أخرى ممكنة،بما أن **"الفعل الاجتماعي هو نتاج تناقضات سوسيولوجية، وهو قابل للقراءة المتنوعة بتنوع القراء وأنواعهم"**[44].

في هذا السياق، لا ننسى أن هناك من بين مستخدمي الفايسبوك من لا يعلن عن تمثلاته، ولا يعبر من خلال ممارساته عن الدور الذي يريد الاضطلاع به، أي يكتفي بالتصفح والاطلاع دون مشاركة، ولا يمكن أن نعتبر هذا القرار سلبيا، إنما هو وجه من أوجه التفاعل الذي لا يمكن ضبط غاياته بصفة دقيقة.

تتنزل، في هذا الإطار، أهمية الاعتراف بمحدودية أي بحث يرتبط بالإنسان الذي يعسر تقنين ردود فعله وتصوراته ورؤاه، فحتى تلك التي يتم التعبير عنها لا تكون ثابتة على الدوام، بل هي في أغلبها متغيرة، وهو ما يتطلب، في حقل علوم الاتصال خاصة والعلوم الإنسانية والاجتماعية عامة، محاولة فهم الأسباب والأهداف والغايات، وربط المظاهر والخصوصيات بسياق معين،مع التزام الحياد.

[44]محمود أحمد عبد الله، "تأويل الفعل الاجتماعي عند بول ريكور. قراءة نقدية"، مجلة إضافات، العدد الثامن خريف 2009، بيروت، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية ص.34.



2- مساهمة استخدام الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية

2. 0- تمهيد:

شهد الاتصال الافتراضي تبلور العديد من الأساليب من خلال البرمجيات والتطبيقات التي خولت للفرد إنتاج المضامين التي تمثله، مع إمكانية عرض ما تحمله من رسائل، وبذلك لم يعد مجرد متلق مستهلك، إنما أصبح منتجا فاعلا وذلك في إطار رؤية تشاركية تسمح له بالتعبير.

في نفس السياق، نلاحظ أن شبكة الفايسبوك ركزت خاصة على التفاعل كأولوية وغاية، نظرا لأهمية هذه العملية على مستوى العلاقات الاجتماعية، التي يسعى كل فرد إلى ربطها مع الآخرين لتقاسم الأفكار والآراء، مع ما يستوجبه ذلك من التزامات معنوية، ليس مفادها تقييد الحرية وفرض تمثلات معينة دون أخرى أو الإقصاء من المشاركة أو التهميش، إنما احترام الاختلافات التي لا تشكل تهديدا للمجتمع، إنما تهدف إلى تحقيق التكامل الوظيفي.

ساهمت الأساليب التفاعلية للفايسبوك في إلغاء الحدود افتراضيا بين المجتمعات، و**"غدت الثقافة والمواطنة مفتوحتان على الصعيد العالمي"**[45]،وهو ما ولد ما يمكن تسميته ب"تدفق الثقافات المختلفة"،وهو ما يعطي دفعا للإبحار أكثر للتعرف على قضايا المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد، لكن أيضافي المجتمعات الأخرى، ليدمجها ضمن محاور اهتمامه، فتخرج اهتمامات كل مجتمع من إطارها المحلي الضيق لتغدو مشاغل عالمية.

تحتاج العملية الاتصالية لضمان استمراريتها، بشكل يتلاءم مع المتطلبات المجتمعية وسلامة العلاقات بين الأفراد،إلى احترام جملة من القواعد التي تهدف إلى حسن استغلال الأساليب التفاعلية التي يوفرها الفايسبوك، كي لا يتحول الحق في حرية التعبير إلى فوضى تواصلية، ولا يتمسك كل مستخدم لهذه الشبكة بفردانيته حد التطرف، حيث يجب أن **"يكون كل فاعل في حالة من الاعتماد المتبادل ويسعى إلى إعطاء الأولوية لمصلحته الشخصية. وذلك بإدخال توقعات الآخرين ضمن استراتيجيته"**[46].

---

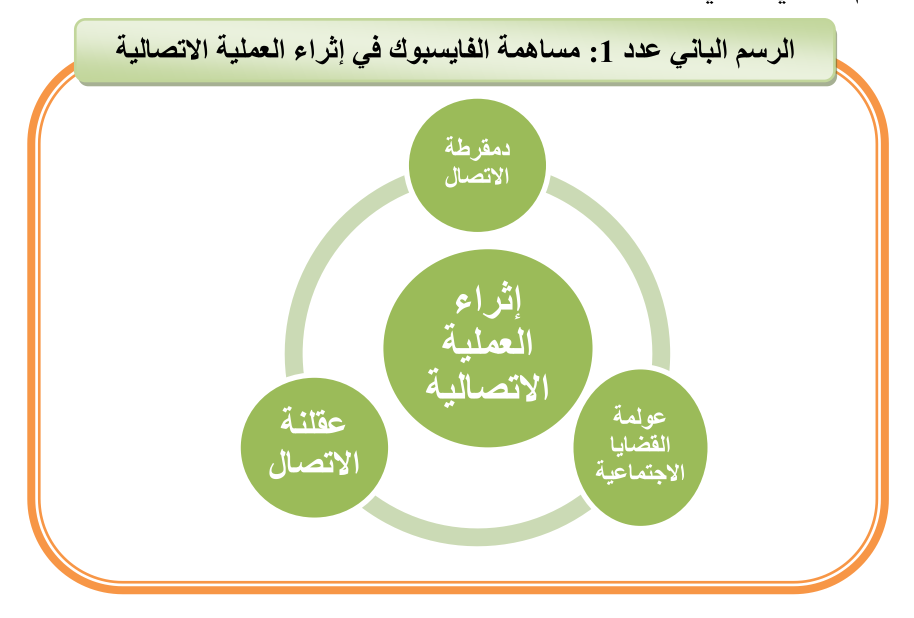
[45]Alain Bouldoires,"Du monde virtuel au monde réel", Communication et langages,n°123, 1er trimestre 2000. p. 115.

[46]جيل فيريول،معجم *مصطلحات علم الاجتماع*،مصدر سابق، ص.120.



انطلاقا مما ذكر، يمكن تحديد مساهمة الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية من خلال العناصر الثلاثة التي يبرزها الرسم البياني التالي:

الرسم الباني عدد 1: مساهمة الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية



يستدعي كل عنصر من هذه العناصر تحليلا عبر رصد المظاهر والوقوف عند الخصوصيات، اعتمادا على استقراء الأساليب التفاعلية للفايسبوك، وتفكيك رمزية المضامين التي نشرها مستخدموه لأغراض اتصالية، وإن اختلفت، فإنها تشترك في الأهداف الثلاثة المتمثلة في توسيع الدائرة الاتصالية وتفعيل الأدوار المجتمعية مع احترام جملة من المبادئ التي تضمن للاتصال نجاعته.

2. 1- دمقرطة الاتصال:

لعل من بين أكثر الآراء التي نالت تقريبا إجماعا، واتفقت حولها وجهات نظر الباحثين الذين خاضوا إشكالية المجال الافتراضي بصفة عامة ومواقع التواصل الاجتماعي على وجه الخصوص،هي التي أكدت أن هذا المجال، سمح لأغلبية الأفراد، على اختلاف مستوياتهم وانتماءاتهم واتجاهاتهم، المشاركة في عملية الاتصال.

تم منح فرصة التعبير من خلال هذا المنبر للإفصاح عن وجهة النظر التي كان يُحبّذ الاحتفاظ بها،إما خوفا من ردود الفعل أو عدم امتلاك الشجاعة الاتصالية الكافية لتقاسم التصورات مع الآخر، وعدم إيجاد الصيغ المناسبة لترجمتها بالشكل المطلوب،أو لعدم التمتع بالحرية التي تخول الإدلاء بالرأي، خاصة



إذا تعلق الأمر بأنظمة سياسية استبدادية لا تؤمن بالتعددية، وهو ما مكنت الشبكات الاجتماعية الافتراضية من تجاوزه عبر ما أرسته من أساليب تفاعلية، وفرت خصوصيات جديدة للعملية الاتصالية.

شهد مصطلح الديمقراطية بدوره انفتاحا على العديد من الميادين بعد أن كان مرتبطا بصفة رئيسية بالمجال السياسي وركيزة من ركائز المجال العمومي "الهابرماسي"، ليشمل الميادين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في إطار الدفاع عن الحقوق المجتمعية، والسعي إلى إلغاء الحدود أمام المبادلات التجارية، وتشجيع التلاقح الثقافي بين الحضارات،"فإن **مبدأ العلمنة(...) يشكل امتدادا للاعتراف بالحقوق الشخصية اعترافا يشكل ركيزة الديمقراطية في المجتمع الحديث"**[47]،

كشف الحديث عن دمقرطة الاتصال في المجال الافتراضي حقيقة الفرق بين التصورات الكلاسيكية للديمقراطية في المجال العمومي التي هيمنت وما تزال، وقادها كل من هابرماس(Habermas) وحنهارندت(Hannah Arendt)، وما أنتجته، في مرحلة لاحقة في إطار سياق تاريخي مخصوص، الدراسات الناقدة لكل من نانسي فرايزر(Nancy Fraser) وألان توران(Alain Touraine) وسوزان جورج(Susan George) ونعوم تشومسكي(Noam Chomsky).

غدت "الديمقراطية العمومية" محل مساءلة، فهي الديمقراطية التي لا تتمتع بها سوى الفئة المثقفة المالكة الوحيدة لحق النقاش حول قضايا المجتمع، وإنتاج "الآراء الرشيدة" التي يتم تبنيها كرأي عام تلتزم به بقية الفئات المكونة للمجتمع، في حين ساهمتالشبكات الاجتماعية الرقمية في تكريس أنماط جديدة لتجسيد الديمقراطية، التي تسمح للجميع بالمشاركة في العملية الاتصالية، وتمنح فرصة لإثبات الذات أولا، وتدعيم الحضور عبر تطويع الأساليب التفاعلية ثانيا بجعلها متاحة للجميع في إطار تكافؤ الفرص.

سنسعى لتحليل مساهمة الفايسبوك في دمقرطة الاتصال باستعراض السمات الأساسية للأساليب التفاعلية المتمثلة في وفرة الآساليب وتنوع الخدمات وتعدد الوظائف في مرحلة أولى، ثم ننتقل في مرحلة ثانية إلى التركيز على خاصيتين من خصائص المضامين المنشورة على الفايسبوك، ألا وهما تنوع المواضيع وتعدد الأدوار.

[47]محمود عودة، أسس علم الاجتماع، مصدر سابق، ص.275.



2. 1 .1- خصوصيات الأساليب التفاعلية في شبكة الفايسبوك:

2. 1 .1 .1- وفرة الأساليب وتنوع الخدمات:

أرسى الفايسبوك أساليبا تفاعلية تمكن الفرد من الاستخدام حسب ما يشبع حاجته الاتصالية ويرضي متطلباته، مع إحداث نقلة على مستوى نظرية الاستخدامات والإشباعات ذاتها، باعتبار أن المستخدم لا يتمتع بحق الاختيار بين المضامين المعروضة لإشباع رغبته الاتصالية فحسب،إنما أُفسح له المجال لإنتاج المضمون، ليغدو فاعلا في عملية اتصالية ما عادت تقتصر على الإرسال من أطراف معينة لتستقبلها الجماهير أو ترفضها، إنما كل فاعل اجتماعي يدخل طواعية للدائرة الاتصالية لينتج مضامينه الخاصة.

يتضمن الرسم البياني التالي أبرز الأساليب التفاعلية الخاصة بالفايسبوك:

الرسم البياني عدد 2: وفرة أساليب التفاعل وتنوع الخدمات

أساليب التفاعل في شبكة الفايسبوك

إزاحة حاجز اللغة و ترجمة المضمون traduire/ voir la traduction

محاورة فورية discussion instantanée

التفاعل الإيجابي بالقبول j'aime

التراجع و تغيير الموقف je n'aime plus

المشاركة بالنشر و المقاسمة partager

الاعتراض و الحذف و الرفض bloquer/ supprimer/ ne plus suivre/ je ne veux pas voir ça

اقتراح حدث و الدعوة إليه أو الاستجابة لدعوة للمشاركة بالقبول أو الرفض créer un événement/ participez à cet événement

المشاركة في دراسة لتحسين طريقة عرض المستجدات participez à une enquête pour améliorer le fil d'actualité

الدعوة إلى الاطلاع على التعليقات و إلى المشاركة أو التفاعل مع تعليق معين afficher les commentaires/ Meilleurs commentaires/ Ecrire un commentaire/ répondre

التعليق و الإدلاء بالرأي commenter

تحميل المضمون télécharger

التعبير الحر exprimez-vous

إنشاء صفحة خاصة أو الدعوة إلى إعجاب بصفحة معينة créer une page/ aimer cette page

القيام بسبر آراء أو المشاركة في استطلاع رأي questions



تعبر الأساليب التفاعلية بصورة جلية على نوع الخيارات التي توفرها هذه الشبكة الافتراضية واضعة إياها في متناول مستخدميها، ولا يتطلب الأمر سوى ضغطة بسيطة للانتفاع بها، مع إمكانية التراجع عن الخيار بصفة نهائية أو استبداله وتعديله، فصيغ التفاعل ليست حتمية، إنما تتماشى مع طبيعة الكائن البشري ومزاجية تمثلاته وتباين ردود فعله، مانحة إياه الفرصة للتعبير عن ذاته في مختلف حالاتها

تنقسم صفحة الفايسبوك إلى عدة أعمدة،تتوسطها المضامين المعروضة والتي تحتل المساحة الأكبر، مع رصف العديد من الأساليب التفاعلية، ليتعرف المستخدم بمجرد دخوله إلى حسابه على عدد المعجبين بمنشور من المنشورات، وأسماء من قاموا بالتعليق، وعدد الدعوات التي أرسلها أشخاص يودون الالتحاق بقائمة أصدقائه، ويكتشف الدعوات التي بلغته للمشاركة في أحداث سيتم تنظيمها ليعلن اهتمامه أو مشاركته، وليرسل بدوره الدعوة إلى الحدث -إذا أراد ذلك- لأصدقائه، إلى جانب الإشعار بعدد الرسائل التي تصل أثناء الإبحار فيالشبكةأو تلكالتي وصلت بعد إغلاقالحساب.

قد يكون المستخدم هو قائد "الجوقة" التفاعلية من خلال إنتاجه للمضامين، وقد ينضم إلى "مجموعة افتراضية" تعرض مضامينا تتماشى مع اهتماماته، وقد يختار عدم القيادة وعدم الانضمام، ويتنقل بين هذا وذاك أو يلعب الدورين معا، ونستعرض بعض الأمثلة عن أساليب التفاعل في شبكة الفايسبوك، مع محاولة الوقوف عند خصوصيتها وتوضيح رمزيتها بشكل تفصيلي.

2. 1 . 1 .1 .1- التعبير عن الإعجاب:

تستقبل شبكة الفايسبوك الأفراد الذين يودون الانضمام إليها بصورة من الحجم الكبير لهذا الأسلوب، وهو ما يمكن تفسيره باستغلال رمزيته واعتماده شعارا مع إضافة قلب أحمر دليلا على الترحاب،سواء كان ذلك عند الالتحاق أو التعبير عن انتظار تجدد التواصل عبر الشبكة، فمصممو هذا الشعار يعملون على زيادة ترسيخ استخدامه كأسلوب تفاعلي تعبيري من شأنه توسيع الحلقة الاتصالية.

يُعد هذا الأسلوب من أبرز الأساليب التفاعلية التي ميزت وما تزال شبكة الفايسبوك،وهو طريقة سهلة وبسيطة للتفاعل مع المنشورات ومنح دلالات المضامين قيمة، كتعبير عن الاطلاع عليها والإفصاح عن ذلك.

قد لا يعني الإعجاب بالضرورة الرضى والقبول التامين، باعتبار أن ردود الفعل البشرية غير محددة التأويل بصفة نهائية، فالإعجاب كأسلوب تفاعل يحتمل العديد من التأويلات الممكنة إلى جانب التأكيد



على الحضور التفاعلي، والاهتمام بالمضمون المنشور، فهو قد يتسع دلاليا لترجيحات ذهنية وشعورية عديدة.

قام الفايسبوك باقتراح جملة من التعابير التي تندرج في صلب هذا الأسلوب، حيث تم عرض أمثلة عن الانفعالات التي يمكن أن تنتج عند تلقي المستخدم لمضمون منشور معين، يمكنه الاقتصار على الأسلوب المعهود الذي يعتبر محطة انفعالية أولى ليتجاوز الإعجاب إلى التعبير أن قلبه مال إيجابا لما شمله مضمون ما من رموز فيضغط زر القلب، وقد يثير المنشور ضحكه أو دهشته أو استغرابه أو حزنه أو غضبه أو تعاطفه.

تم رصف هذه الاحتمالات التفاعلية في هيئة وجوه تحمل تعابيرا واضحة وبسيطة قادرة على تبليغ نوع الانفعال الذي انتاب المستخدم، وهي أساليب تبلغ رسالة مباشرة، قد يتم الاكتفاء بها دون الحاجة إلى رقن الإحساس في صيغة كلمات قد تعجز، في بعض الأحيان، عن ترجمة الأحاسيس.

إن هذا الأسلوب، بقدر الحاجة إلى إرساله، ينتظر المستخدم بدوره تلقيه من طرف بقية المستخدمين كرجع صدى على ما ينشره، فهو يمنح للمضمون قيمة اتصالية مضافة، ونوعا من النجاح التفاعلي لرسالة القائم بالاتصال، **"ويمكن ملاحظة سلوكات المستخدمين لشبكات التواصل الاجتماعي، لتبصر مدى حرصهم على جلب اهتمام أكبر عدد ممكن من المتابعين، والحصول على أعلى نسب الإعجاب (like)لما ينشرونهويبثونه من مضامين"**[48]،وهو ما يجعل "رأس مالهم الرمزي"،حسب عبارة بيار بورديو(Pierre Bourdieu)،يتدعم ويكبر.

2. 1 . 1 .1. 2- التعليق:

يتيح هذا الأسلوب للمستخدم الحق في التعبير عن رأيه بشأن المضامين التي يتم نشرها في الشبكة الافتراضية، وله الحرية من خلال تعليقه أن يؤيد أو يعارض وهو ما يدعم "دمقرطة" الاتصال، كما قد يدفع الفرد إلى التخلي عن حياديته وتشجيعه على المشاركة.

قد لا تكون ردود الفعل حول رأي تضمنه التعليق هي الأكثر أهمية مقارنة باتخاذ قرار التعبير عن الرأي والإدلاء به دون خوف والتخلص من التردد، ليمتلك الفرد نوعا من "الشجاعة" الاتصالية

---

[48] عبد الله الزين الحيدري، "الميديا الاجتماعية : المصانع الجديدة للرأي العام، مركز *الجزيرة للدراسات*"، دراسات إعلامية، 25 جانفي 2017، ص6.http://studies.aljazeera.net/ar/mediastudies/2017/01/170125101407970.html



التي تخول له استعراض وجهة نظره، وقد يتضمن التعليق طلب المستخدم من صاحب المنشور مزيدا من التوضيح والاستفسار، ليستجلي ما بقي غامضا بالنسبة إليه،كما قد يتم الاعتماد على أسلوب **"التعليق"** لفتح نقاش بين المتفاعلين حول موضوع المنشور،وقد تتوسع حلقة النقاش لتتجاوزه إلى قضية أخرى.

إن الفكرة التييتم التعبير عنها بصفة عامة من خلال مضمون هذا المنشور أو ذاك, تبقى منقوصة ومجرد وجهة نظر، تعرض الواقع من زاوية معينة، وفي ذلك اعتراف جريء إلى الحاجة إلى مستخدمي الفايسبوك، ودعوة كي يتفاعلوا مع هذه المضامين ووضعها محل نقاش وجدل للتمكن من بلوغ مرحلة التعاضد الذي يفسح المجال للاختلاف حتى تكون النظرة أكثر شمولية.

2. 1 . 1 .1. 3- المشاركة:

نجد في نفس الصف التفاعلي، إلى جانب أسلوبي الإعجاب والتعليق، زر المشاركة (partager) كخيار ثالث، قد يتم الاكتفاء به وتقاسم مضمون مع الأصدقاء في القائمة فقط، أو بشكل أكثر اتساعا مع كل من يزور الحساب الشخصي.

توفر "المشاركة" الفرصة للمضمون أن يصل إلى أكبر عدد ممكن من المستخدمين ومنحه انتشارا قد يبلغ درجة الاكتساح، ولا تعني المشاركة بالضرورة التماثل في الرؤى،فقد يتم تقاسم وجهات النظر المختلفة عن الرؤية الذاتية لمستخدم الفايسبوك.

قد يهدف المستخدم إلىإبراز ما يتبناه الآخرون من أفكار،عبر نشره لمضمون لا تتفق رمزية دلالاته مع وجهة نظره،وهذا التباين يصب في عمق دمقرطة الاتصال التي ترتكز على **"تكوين ماهو مشترك انطلاقا من الارتباطات الغير متجانسة"**[49].

2. 1 . 1 .1. 4-المحاورة الفورية:

يسمح هذا الأسلوب للمستخدم بالتواصل مع من يريد، سواء كان أو لم يكن في قائمة أصدقائه، وتوجيه رسائله إليه، ويتم توضيح إذا كان الشخص المراد إبلاغه الرسالة مبحرا في ذلك الحين عبر الشبكة، أو أنه ليس في وضعية تفاعلية مع تحديد المدة الزمنية بكل دقة انطلاقا من لحظة خروجه من شبكة

[49]Dominique Cardon, « Vertus démocratiques de l'Internet » ,ibid. http://www.laviedesidees.fr/Vertus-democratiques-de-l-Internet.html



الفايسبوك. يمكن التحكم في هذا الأسلوب واختيار بقاء التفاعل مخفيا، أو إبقاء المحادثة الفورية ممكنة وفعالة لأشخاص دون غيرهم.

مهما كان اختيار الفرد وتوجهاته التعبيرية، نلاحظ إرساء شبكة تفاعلية تستجيب **أولا** لحاجة الفرد للتعبير عن أفكاره في أي موضوع يحدده،**ثانيا** إفساح المجال للتواصل مع الآخر،**ثالثا**، إكساب ردود الفعل المراد إبلاغها صيغا عملية من خلال توفير عدد كبير من الأساليب التفاعلية التي تتميز بتقديمها لخدمات مختلفة، ومن ذلك تنظيم حدث ودعوة الآخرين للانضمام، وهو ما يسمح بتيسير الترتيبات التنظيمية لمرحلة التطبيق على أرض الواقع، وذلك من خلال عملية اتصالية يسهل فيها التفاعل مع أعداد كبيرة من المستخدمين في نفس الوقت.

يمكن أن نستخلص في هذا السياق، أن الفايسبوك منح لكل مستخدم فرصة اتخاذ القرار وتفعيله، إضافة إلى ذلك، إمكانية إنشاء صفحته الخاصة التي يستعرض فيها تمثلاته، ويحاول جلب أكبر عدد ممكن من المستخدمين للانضمام والتفاعل، سواء قاسموه نفس التصورات أو عارضوه، فكلما كانت الصفحة آهلة وقادرة على الاستقطاب، اكتسب صاحبها سلطة رمزية،مع إمكانية الحذف (supprimer) أو التعديل (modifier)، أي أنه يتحكم في مضامينه بالطريقة التي يشاء، وليس هناك تفاعل بصفة نهائية، إنما هو دائما محل مراجعة.

2. 1 .1 .3- تعدد الوظائف:

تشترك هذه الوظائف في الأهداف، وهي الدعم والتحفيز وتوفير الأرضية التفاعلية المناسبة التي تكسب العملية الاتصالية ديناميةً مستمرة.

2. 1 .1. 2 .1- التشجيع على حرية الاختيار واتخاذ القرار:

أ- تفعيل دور الفرد في مرحلة الانضمام:

وضع الفايسبوك استراتيجية تشجع على الدخول في صلب العملية الاتصالية الافتراضية، و ذلك من خلال سهولة الانضمام وعدم تعقد التسجيل، يكفي تعمير قائمة البيانات الشخصية بمعطيات حقيقية أو اختيار أخرى إذا كانت هناك رغبة في التستر وعدم الكشف عن ملامح الهوية، فمن حق المستخدم، في هذا العالم الافتراضي، تقديم نفسه بالطريقة التي يشاء، فقد يكون هو ذاته، وقد يعمد إلى خلق شخصية مغايرة،



ويتقمص الدور الذي يريد، ويعبر عن تمثلاته حسب المنظومة الرمزية المتداولة أو تشكيل شبكته الخاصة ومحاولة الإقناع بعالمه الدلالي.

بالتالي، يتمتع مستخدم الفايسبوك منذ الخطوة الأولى بالحرية في تقديم شخصه مع الإبقاء على صفاتها الواقعية أو إكسابها ملامح مغايرة، فتولد ذات افتراضية موازية لذاته الملموسة على أرض الواقع، وقد تتزاوج الذاتان وتتداخلان.

بعد ذكر البيانات الشخصية، نجد المرحلة المتمثلة في البحث عن الأصدقاء ودعوتهم، وذلك عبر ثلاث عمليات تضم خيارات، ما يمكن ملاحظته في هذا السياق، أهمية هذه المرحلة نظرا للتركيز عليها، وفي ذلك تكريس لأهمية العلاقات على مستوى التفاعل.

لا يكتفي الفايسبوك بالإرشاد، وإنما يقرن ذلك بالثناء على المستخدم لنجاحه في عملية التسجيل، وتحديد اختياراته، على مستوى الظهور والنشر وغير ذلك فيما يتعلق بالخصوصية، باستخدام عبارات مثل "أحسنت" و "ممتاز"، لتأتي بعد وقت وجيز رسالة تتصدر الشاشة تبلغ الفاعل الاجتماعي أنه غدا عنصرا من عناصر العملية الاتصالية الافتراضية، مع التذكير أن البيانات، سواء كانت الشخصية أو المتعلقة بالخصوصية أو تلك المحددة للخيارات التفاعلية مع المضامين ليست نهائية، ويمكن تعديلها متى أراد المستخدم ذلك بالطريقة التي يراها الأنسب لمتطلباته الاتصالية.[50]

ب- تفعيل دور المستخدم في اختيار المضامين وكيفية التواصل:

يبحث المستخدم عن الصفحات وينضم إليها، ويمكنه أن يشترك فيها (s'abonner)، فتصله المضامين التي تنشرها دون الحاجة إلى إعادة كتابة اسم تلك الصفحة التي يود زيارتها للاطلاع على آخر ما نشرته، ويكفي أن يضغط على زر الإعجاب، ثم قبول تلقي مضامينها، كما يمكنه أن ينضم إليها والاقتصار على ذلك دون أن ترده منشوراتها في صفحته الخاصة، ويبقى تلقي الرسالة رهين إرادته في زيارة الصفحة.

يغدو الحساب الشخصي ثريا بالمنشورات، كلما ارتفع عدد الصفحات التي يتم الانضمام إليها، ويمكن التحكم في طرق استقبال المضامين وتراتبية عرضها (الأحداث المميزة أم الحديثة أولا)، كما يمكن حجب أو حتى حذف أي منشور من جدار حسابه الفايسبوكي، أو التعبير عن رفض مضمون معين بالإشارة إليه

[50] انظر الوثيقة عدد 1 في الملاحق صفحة 201.



(signaler)، وفي اختيار هذا الأسلوب التفاعلي إعلام لصاحب الصفحة بشكل خاص وللمنضمين عامة، للفت الانتباه لوجهة نظر القائم بهذا التفاعل الذي يعتبر اشتمال المضمون على خلل أو نوع من التهديد.

إذن، يشبه الفايسبوك، بهذه الطريقة، البرلمان حيث يعرض كل مبحر في الشبكة الافتراضية وجهة نظره، وتدار النقاشات التي قد تبلغ درجة التصادم، وإن كان هناك نوع من التقاسم، فهناك المحتفظ وهناك الرافض أيضا، وهي حيوية تفاعلية ترسخ الديمقراطية التي تشجع الإدلاء بكل الآراء مع التأكيد على احترام سلامة العملية الاتصالية، وتجنب ما يهددها كالانسياق إلى نشر المضامين التي تدعو للكراهية، وتمس من كرامة وحرمة الآخرين، وهو ما يجعل هذا الأسلوب من التفاعل شبيها بناقوس الخطر الذي يتم الضغط عليه كي تستنفر المجموعة، أو المطالبة بنقطة نظام.

يختار المستخدم جمهوره المستهدف الذي يسمح له بالاطلاع على منشوراته، ويحدد جمهوره المستبعد الذي لا تظهر له كل أو بعض مضامين الصفحة باعتبارها مخفية، حيث يتجه نحو خانة الخصوصية، ويدخل البيانات التي تتماشى مع سياسته التفاعلية، ويتثبت منها عبر جملة من الخطوات التفصيلية،وترد في الوثيقة التالية مضامين لتوضيح ما أسلف تحليله:



الوثيقة عدد 3: تفعيل دور المستخدم من خلال حرية الاختيار واتخاذ القرار

قد يتم إدراج اسم مستخدم عند نشر مضمون ما، سواء من طرف أحد الموجودين في قائمة الأصدقاء أو غيرهم إذا كان الحساب الفايسبوكي قابلا للتصفح من طرف العموم، فذلك إخبار بالصلة التي تربط الشخص أو الأشخاص المدرجة أسماؤهم بالمنشور، ويمكن للمستخدم القبول بهذه العلاقةالتي تم اعتباره طرفا من أطرافها كما يمكنه الرفض وسحب اسمه.

في هذا الإطار، يتوجه الفايسبوك بعدة رسائل في شكل أسئلة مرفقة باحتمالات تظهر على الشاشة بصفة متلاحقة، تنطلق ب (ماذا تريد أن تفعل؟كيف تريد أن تتصرف؟). يلي ذلك توضيح الوضعية وتحديد المضمون (صورة. مقطع فيديو. خطاب لفظي).

قد يكتفي المستخدم باختيار سحب ظهوره دون تبرير، لكن،تخول له الشبكة الافتراضية ذكر الأسباب، سواء تعلق الأمر بتعدي مضمون المنشور على المستخدم أو على صديق من أصدقائه. يستجيب الفايسبوك



لطلب مستخدميه في سحب تعيين هويتهم الافتراضية في مضمون من المضامين، مع التأكيد أن هذا المضمون ما زال موجودا، لكنه لا يظهر في صفحة المنسحب أو المطالب بالحجب.

يوفر موقع الفايسبوك احتمالا ثان وهو الحظر (bloquer)، ولا يعود بإمكان القائم بإدراج اسم المستخدم في أحد منشوراته أن يفعل ذلك مرة أخرى، ولا يستطيع تنزيل منشور في صفحة هذا المستخدم أو حتى الاطلاع على مضامينها أو التعليق عليها، وذلك بفضل أساليب التحكم في أنماط التلقي والاستقبال والعرض وتحديد الخصوصية.

ج- تفعيل دور المستخدم للتحكم في المضمون الإشهاري:

يخصص الفايسبوك أعمدة للإشهار، وهو أمر يتعلق بالشبكة بشكل رئيسي، لكنها ارتأت أن تشرك فيه المستخدم بطرح سؤال للاستفسار عن مدى تفاعله مع العروض الإشهارية التي تظهر على صفحته، فهي خاصة به ولا يجب إرغامه على تلقي مضامين إشهارية أو استقبالها، وهي لا تشبع حاجاته الاتصالية ولا يتفاعل معها، لذلك يتم استشارته وأخذ وجهة نظره بعين الاعتبار لمعرفة مدى اهتمامه.

يكفي أن يضغط المستخدم على زر يمثل وجها ضاحكا للتعبير على إقباله، أو اختيار الوجه العابس، إذا لم يلق هذا النوع من التسوق إعجابه، كما يمكن التصرف في تراتبية عرض المواد الإشهارية، ومنح الأولوية لتلك التي تعنيه على مستوى العرض، لتليها تلك التي تحظى باهتمام أقل أو حذف الإشهار،حيث يوجد في أعلى كل عرض من الجانب الأيمن علامة قاطع ومقطوع التي بمجرد الضغط عليها يغدو مخفيا. إذن، يملك المستخدم أساليب التحكم في المضامين المختلفة، أي المنشورات الذي قد يتم إدراج اسمه فيها وأيضا تلكالتي ينشرها الآخرون في صفحته وحتى المضمون الإشهاري.[51]

د- منح الفايسبوك مكانة هامة للمستخدم في إدارة العملية الاتصالية:

يلجأ الفايسبوك إلى عرض رسائله ذات الصيغة التحفيزية التي تخلو من أمر وإجبار، إنما تؤكد للمستخدم أنه طرف أساسي في اتخاذ القرار، حيث يمكنه الرفض كما يمكنه قبول التجربة، وهي تجربة لا تتطلب الكثير من الوقت، بالتالي، فلن يكلف الاطلاع إلا ضغطة زر للانطلاق في كشف ملامح الأسلوب التفاعلي، وقد يستعمله إذا استدعت حاجته الاتصالية ذلك.

[51]انظر الوثيقة 3عدد في الملاحق صفحة202.



في نفس السياق، يقوم الفايسبوك، من حين لآخر، بسبر آراء يتضمن في الغالب سؤالا واحدا مرفقا بالإجابات الممكنة المتراوحة بين الإيجاب التام والنسبي والنفي القاطع،وتتوسطهما الإجابة التي لا تميل إلى أي اتجاه، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال المضمونين الذين تستعرضهما الوثيقة التالي:



الوثيقة عدد 4: قيام الفايسبوك باستبيان وتشريك المستخدمين في تقييم الشبكة

نستشف التصريح بأهمية رأي كل مستخدم في تقييم الشبكة ونجاعة وظائفها، وكل الآراء ستؤخذ بعين الاعتبار، فإذا تمثل الرأي في الإيجاب والتأييد فسيقع الحفاظ على التمشي مع المضي قدما نحو تطويره، وإذا تم إبداء عدم الموافقة والرفض سيبحث القائمون على الشبكة عن الأسباب والقيام بدراسة الوضع من زواياه المختلفة، وإذا تم التعبير عن الحياد ستتكثف المحاولات الاتصالية والاقتراحات التفاعلية لإثارة الاهتمام لتفعيل دور المستخدم في العملية الاتصالية الافتراضية، فمن حقه المشاركة في تحديد ملامحها وطرق تقديمها.

2. 1 . 1. 3 .2- استراتيجيات المحافظة على ديناميّة العملية الاتصالية:

أ- حث المستخدم على توسيع دائرة التفاعل العلائقية:

قد تكون الغاية الأساسية للجوء الفرد للتسجيل في هذه الشبكة وامتلاك حساب فيها، هي التواصل مع الأشخاص الذين تربطه بهم علاقات في الواقع الاجتماعي، سواء تجمعه بهم صلة صداقة أو زمالة أو قرابة،ليسمح الاتصال الافتراضي بتوثيق الروابط الاتصالية المباشرة وتدعيم حيويتها بمنح أشكال أخرى للتعبير تتميز بالتنوع، وإتاحة الفرصة حتى لتلك الانفعالات التي يسعى الأفراد إلى السيطرة عليها أو تجنب إظهارها في الاتصال المباشر.



إذن، يغدو الفايسبوك فضاء يسمح باستمرارية العملية الاتصالية التي يديرها الفاعلون الاجتماعيون فيما بينهم حسب سياقاتهم المحددة، ولتسهيل البحث، يدرج المستخدم عنوانه الالكتروني مع التشجيع الذي تورده هذه الشبكة الافتراضية مؤكدة أن القيام بذلك يسمح بإيجاد عشرين شخصا منضمين إلى الشبكة كمعدل.

لا يقتصر الأمر على العلاقات التي تربط المستخدم بمن يعرفهم، حيث يمكنه إرسال دعوات لأشخاص لا صلة له بهم، وقد يوغل المستخدم في بحثه، ليربط علاقات مع مستخدمين ينتمون إلى مختلف القارات متخطيا بذلك الحدود المكانية والزمنية والعراقيل اللغوية.

تطول قائمة الأصدقاء إلى أن تصل إلى خمسة ألاف شخص، وعند ذلك لا يستطيع إضافة صديق آخر، لكن، ذلك لا يمنع أن يشترك في صفحته (s'abonner)، لتصله المضامين التي يتم نشرها في الصفحة أي أن الشخص، وإن لم يكن ضمن قائمة الأصدقاء، إلا أن العلاقة موجودة والتلقي والإرسال دائبين والتفاعل الافتراضي متاح.

ب- تطوير الأساليب التفاعلية واقتراح أخرى جديدة:

هناكعمل علىالتطوير والتجديد،بتطويع بعض الأساليب التفاعلية لجعلها أكثر كفاءة في الاضطلاع بالوظيفة الاتصالية، إضافة إلى "التوليد التفاعلي الوظيفي"، أي العمل المتواصل على ابتكار أساليب تفاعلية قد تحلّ محل أخرى على مستوى الوظيفة، لكنها تتميز عنها بتأديتها بأكثر دقة وحسب التمثل المطلوب والممارسة المنشودة من طرف المستخدم، أو تتمخض عن الحاجة إلى أسلوب يتكفل بتعبئة فراغ تفاعلي في العملية الاتصالية الافتراضية.

لا يتم ذلك عن طريق مقاربة كلية، وإنما يتم دراسة الأفراد والأخذ بعين الاعتبار لاحتياجات عينة لها متطلبات معينة، لتأتي بعد ذلك مرحلة التطبيق التي يتكفل بها واضعو البرمجيات ومصممو التطبيقات،حيث**"وضع باحثون من جامعة غرناطة(l'université de Grenade) برنامجا يسمح بتكييف الشبكة الاجتماعية الفايسبوك لتغدو قابلة للاستخدامهن طرف الأشخاص الذين يعانونمن إعاقات بصرية"**[52].

[52]Joel Ignasse, "Un logiciel pour adapter Facebook aux non-voyants", *sciences et avenir*, 23-01- 2013 à 12h26, http://www.sciencesetavenir.fr/high-tech/20130122.OBS6251/un-logiciel-pour-adapter-facebook-aux-non-voyants.html



ج-السعي إلى تخليد الممارسة الاتصالية للمستخدم:

اقترح الفايسبوك الإبقاء على التواصل مستمرا من خلال المحافظة على صفحة كل مستخدم على قيد التفاعل حتى بعد وفاة صاحبها.

بالتالي، هناك سعي لتخليد العملية الاتصالية التي تحافظ على حيويتها عبر عرض المضامين وتفاعل الآخرين معها، ولا يعيق تواصلها حتى الموت، الذي من المتعارف أنه يقطع الصلة الملموسة بين الميت ومعارفه، باعتبار أنه ما عاد بإمكانه تحقيق التبادل القائم على الإرسال والتلقي، إلا أن وجود الحساب الافتراضي الذي سبق ونشر فيه صاحبه، وارتبط بجملة من العلاقات التي تضمها قائمة أصدقائه الذين بإمكانهم زيارة الصفحة متى شاؤوا، للالتقاء به افتراضيا ونشر رسائلهم التي، وإن لن يتلقاها،إلا أنها ستعرض على من تربطهم علاقة به ويعلقون عليها ويتقاسمونها وتعطيهم دفعا تفاعليا.

يتولى موقع الفايسبوك عملية التذكير بما نشره هذا المستخدم على حسابه، في السنة الفارطة مثلا في يوم محدد من شهر معين، من مضامين،ويتم بذلك إنعاش الذاكرة التفاعلية وتأكيد تواصل حضور صاحب الصفحة في العملية الاتصالية، و"فشل" الموت في استبعاده منها باعتبار أن العلاقات ما زالت قائمة، عبر المضامين التي لا يتم إتلافها أو التغاضي عنها، إنما الإبقاء عليها جاهزة لتضطلع بوظائفها المختلفة،**"فالجميع يمكنهم إذا رغبواأن يتحصلوا على نوع من الخلود الرقمي. عندما تموت الأنا الواقعية، تواصل الأنا الرقمية التواجد"**[53].

أرست الشبكة الافتراضية جملة من الأساليب التفاعلية التي أفسحت المجال للمستخدم، من خلال ما تتميز به من خصوصيات، للتواصل بحرية معتمدا على ما تمنحه من خيارات، وهو ما من شأنه دعم سيرورة تتبنى نقلة اتصالية تتميز بالاستمرارية، هذا من جهة ومن جهة أخرى، سنتوقف في المرحلة التحليلية الموالية عند خصوصية المضامين المنشورة على الفايسبوك.

[53]DoanBui, "Sur Facebook, les morts continuent d'exister", *Le nouvel observateur*, publié le 02-11-2013 à 17h21m, http://tempsreel.nouvelobs.com/societe/20131030.OBS3270/sur-facebook-les-morts-continuent-d-exister.html



2. 1. 2- خصوصيات المضامين المنشورة على الفايسبوك:

تتنوع المواضيع المطروحة في المضامين التي ينتجها المستخدمون،وتختلف الأدوار التي تلعبها رسائلها الرامية إلى النجاح في إحداث التأثير حتى تكون العملية الاتصالية الافتراضية ذات جدوى، محققة غاياتهافي إرساء تفاعل تشاركي.

يضطلع المستخدم بدور محوري في العملية الاتصالية الافتراضية عبر اختيار المنظومة الرمزية لإنتاج المضامين التي يحمّلها وظيفة التعبير عن وجهة نظر معينة حول موضوع ما أو رأيه في قضيةمن قضايا واقعه الاجتماعي أو مسائل تتعلق بمجتمعات أخرى.

قد يلجأ الفاعل الاجتماعي إلى الفايسبوك لنشر مضامين تعطي فكرة لبقية المستخدمين عن حالته النفسية سعيا منه لتقاسم ما تولده هذه الحالة، وفي ذلك إقرار علني بالحاجة إلى التفاعل مع الآخر، وإكساب هذه الانفعالات العابرة أهمية بمنحها وزنا تفاعليا.

إن التركيز على الذاتية لإنشاء دعامة عاطفية افتراضية يشجع المستخدم على التوسع شيئا فشيئا، وتحميل مضامينه نبذة عن حياته الشخصية، لتسليط الضوء على بعض الجوانب المرتبطة بماضيه، كنشر صورة له على مقاعد الدراسة أو في رحلة وتذكير أصدقاء طفولته بها، أولئك المنضمين إلى قائمة أصدقائه في الفايسبوك، والكشف للآخرين الذين قد لا تربطه بهم معرفة شخصية عن هذه الجوانب.

قد يستغل الفرد هذا الفضاء الافتراضي المتاح له لتقاسم مضمون يواصل من خلاله حياته الافتراضية اليومية، كأن يرجو لأصدقائه يوما سعيدا مثلا، كما قد يخصص منشوره للإفصاح عما ينتظره من أعمال في ذلك اليوم، وقد يكتفي بنشر مضمون إذا استجد حدث ما أو حصلت له واقعة غير معهودة، كما قد يتخذ هذا المجال الافتراضي للتطرق إلى قضايا ترتبط بالشأن العام.

بالتالي، تتسم المضامين في شبكة الفايسبوك بجملة من الخصوصيات، لعل أهمها حث الفرد على المشاركة في العملية الاتصالية الافتراضية، ليس فقط عن طريق تلقي مضامين الآخرين، إنما توفير الفرصة لتقديم مضمون يحمل بصمة المستخدم الشخصية، حيث بإمكانه الاعتماد على الرموز المتداولة في بلورة رسائله، كما قد يقترح رموزا ذات دلالات مميزة وجديدة، لإثراء المنظومة الرمزية من ناحية، وإكساب دوره ومساهمته في المجال الافتراضي فرادة من ناحية أخرى.



في نفس السياق،تحدثإريك فان هيبال (Eric Von Hippel) عن دمقرطة الابتكار[54]، بالتالي، توسع مفهوم التفاعل، فكل مستخدم لشبكة الفايسبوك هو قائم بالاتصال وله الحق في إنتاج مضامين مبتكرة ونشرها على أوسع نطاق.

2. 1. 2. 1- اختلاف الأساليب المعتمدة في طرح المواضيع:

تتضمن الوثيقة التالية بعض المنشورات التي سيتم تحليلها لتوضيح تنوع الأساليب في المضامين المنشورة في شبكة الفايسبوك:

الوثيقة عدد 5:اختلاف الأساليب المعتمدة فيطرح المواضيع

المضمون الأول

J'aime Ma TUNISIE
Je ne laisserai personne
la détruire
JE PARTAGE

المضمون الثاني

ويني الوطنيّة ؟ a ajouté une photo.
ويني الوطنية

المضمون الثالث

Ignorance
Vengeance
Dégagez

المضمون الرابع

facebook.com/kalimet.7a9

[54]Eric Von Hippel, *Democratising innovation*, Massachusttes, Mitt Press, 2003.



نشير إلى عدم تقيد مستخدمي الفايسبوك في الخطاب اللفظي الذي تضمنته كل صورة من الصور في الوثيقة بلغة واحدة، فقد تم استخدام الفرنسية والعربية والعامية، كما اختلف نوع الخط بينها إضافة إلى حجمه،والتباين على مستوى التصميم.

إذن، يجتهد القائم بالاتصال في إنتاج الرسالة التي تتضمنها الصورة عن طريق اختيار الرموز القادرة على تبليغ المدلول، والتركيز على الإخراج الفني الذي قد لا يحتاج إلى تعقيد، إنما على العكس يميل إلى التبسيط والاختصار، لتصل الرسالة بالسرعة والدقة المطلوبتين، وتنجح في لفت الانتباه أولا، والانتقال إلى التفاعل معها في مرحلة ثانية.

يتم طرح المواضيع اعتمادا على عدة أساليب، وذلك على مستوى الألوان كالأبيض والأحمر، إذا كان المستخدم سيخوض شأنا يتعلق بتونس (**المضمون الأول**)، لأن لهذين اللونين رمزية واضحة، إضافة إلى الهلال والنجمة الموجودين في العلم التونسي كوشم على الكف الذي يرفع إبهامه علامة على شيء إيجابي، لتتخذ بذلك الرسالة اتجاها معينا لدى المتلقي، كما قد تضم الصورة في شبكة الفايسبوك رسوما أو صورا فوتوغرافية، وقد تكتفي أخرى بخطاب لفظي.

تتنوع **أساليب الخطاب اللفظي** في مضامين الصور، فقد يتم اللجوء إلى أسلوب إخباري تقريري مباشر، واستخدام ضمير المتكلم لبيان ما يتبناه من رأي شخصي يحتاج نشره على أوسع نطاق، ليحظى بالتفاف أكبر عدد ممكن من المستخدمين، باعتباره يدعو إلى حب الوطن وضرورة حمايته وعدم السماح بتدميره، وهي رسالة لا تخلو من عمق، كما أن مدلولها لا يختلف فيه أفراد المجتمع منطقيا، بما أنه يؤكد على الوطنية التي من المفترض أن يتمتع بها كل فاعل اجتماعي.

يقوم المستخدم بتحميل الصورة وظيفة الاستفهام، الذي قد يكون بسيطا وقد يكون إنكاريا، مثل "ويني الوطنية؟" (**المضمون الثاني**)، وهو في نفس الوقت اسم لصفحة، ونجد في الخلفية رسما يتضمن أشخاصا يحملون بين أيديهم العلم التونسي وكأنهم محتشدون في مظاهرة أو مجتمعون لتبليغ احتجاجهم،خاصة وأن الاستفهام تكرر مرتين، وهو ما يحصل عادة في مظاهرة تتسم بتكرار الهتافات،وقد يكون ذلك دعوة لمتلقي هذه الرسالة للإجابة عن هذا السؤال وإثبات الاستعداد للتعبير عنها عمليا.

في **المضمون الثالث**، يتخذ مستخدم الفايسبوك من يده وسيلة لتبليغ رسالته معتمدا أسلوبا مميزا، إذ يسخّر باطن كفه للكتابة عليه، ويقتصر على عبارة واحدة تتسم بالتشويق ودفع حب الاطلاع مثل "أريد"،حيث



تفتح هذه الكلمة باب التساؤل إلى ما تطمح إليه هذه الإرادة، ليلعب كل إصبعمن الأصابع دورا يتكفل بالتوضيح.

تتخلّص مطالب المستخدم من التفكير في مصالحها الذاتية الضيقة، لتعبّر عن حاجتها لتحقيق مطالب إنسانية (حرية وعزة وتطوير وإنجاز وعدل)،لتكتمل الرسالة بكتابة (أنا عربي) على الذراع، مع اختيار أن يكون تموقعها في الشريان الرئيسي المرتبط بالقلب لتحميلها دلالة أعمق، قد تتمثل في أن الإنسان العربي، يسعى إلى التحرر من الاستبداد والظلم ليحظى بحياة كريمة، يستطيع فيها أن يبدع ويتجاوز الجمود، ويجسد طموحاته في كنف العدل كقيمة محفزة للأفراد لبناء مجتمع قادر على مجابهة الخلل الوظيفي.

عندما يغدو الفرد فاعلا اجتماعيا، تصبح له القدرة على الأخذ بزمام الأمور، وهو ما يعبر عنه معتمدا أسلوب الأمر (Dégagez) للتأكيد على الرفض القاطع للمظاهر السلبية التي من شأنها تهديد بنى المجتمع والساعية لتفكيك العلاقات، وتضمنت الصورة، في **المضمون الرابع**، خطابا لفظيا مختصرا، مع اختيار اللون الأبيض في الكتابة للترميز إلى ضرورة حماية المجتمع من هاتين الآفتين، واعتماد خلفية سوداء وهو ما منح الخطاب الذي تضمنته وضوحا وجعلته بارزا.

يمكن الإشارة إلى أن المضمون التفاعلي الافتراضي يسعى بدوره إلى إحداث نقلة، تعمل على تكريس مبادئ الديمقراطية عمليا في حياة الفاعلين الاجتماعيين الذين لا يحافظون عليها من أجل تسيير مشاغل حاضرهم فحسب، إنما تبنيها كممارسة لا غنى عنها يتم نقلها للأجيال القادمة، وتنشئتهم تنشئة تؤمن بها كركيزة أساسية لنجاح العملية الاتصالية.



2. 1 . 2 .2- تنوع المواضيع المطروحة:

تتباين مواضيع منشورات مستخدم الفايسبوك، قد يتطرق إلى أوضاع المرأة العربية،وقد تأخذ رسائله وجهة تحاول التشجيع على السياحة الداخلية من خلال التعريف بالمواقع الطبيعية،كما قد يتحول المضمون شبيها بدرس تبسيطي يخلص إلى نتيجة، وهو ما توضحه المضامين في الوثيقة التالية:

الوثيقة عدد 6: تنوع المواضيع في المضامين التفاعلية في شبكة الفايسبوك



تنتمي مضامين هذه الوثيقة إلى نفس الصفحة (صفحة حل مخك. حل عينيك. ومن بعد حل فمك)، وتكمن أهمية هذه الإشارة أن أغلب الصفحات، حتى تلك التي تم إنشاؤها لهدف معين وترتبط بقضية محددة، لا تقتصر على معالجة موضوع دون سواه، إنما يتم التوسع شيئا فشيئا لإثراء الصفحة بمواضيع شتى مع السعي للارتباط بالمشاغل الإنسانية بصفة عامة، والقضايا التي ما تزال عالقة، ولم يتم إيجاد حلول جذرية لها.

يتناول**المضمون الأول** وضعية المرأة، في البلدان العربية، وطرح الموضوع بشكل كاريكاتوري، تطول فيه قائمة المحرمات التي تفرضها القواعد الاجتماعية على المرأة مقارنة بقصر قائمة المحرمات الدينية.



في ذلك نقد مباشر للمجتمع، وما يقوم بتركيزه من ضوابط تمنع المرأة من التمتع بحريتها ككائن يتوق إلى التخلص من قيوده، ومن المفروض تمهيد السبل الكفيلة لبلوغ أهدافها عوض سن العوائق التي تشل حركتها وتعمق حيرتها، وهو ما توضحه ملامح المرأة في الرسم.

تم الاعتماد على أسلوبي النفي والتأكيد في **المضمون الثاني،** للتطرق إلى موضوع آخر يهم هذه المرة ما تتميز به البلاد التونسية من مواقع طبيعية تبلغ ذات مرتبة الجمال التي تتبوؤها المواقع الطبيعية العالمية المعروفة، والتي يطمح التونسي إلى زيارتها.

تسعى الصورة المعروضة إلى الكشف عن مواطن الجمال المجهولة من طرف التونسي ذاته، وعدم علمه بوجودها يدفعه إلى مقارنة لا تقوم على أسس صحيحة، فهو يقارن بين الجمال الذي تتمتع به البلدان الغربية وبين افتقار بلده لهذا الجمال، في حين أنه موجود إلى درجة تتماثل فيها خصائص الموقعين الطبيعيين الغربي والتونسي، وقد لا يجد مشاهد الصورة فرقا يجعله يميز مكانا بعينه،إذا لم يتم إضافة خطاب لفظي يدرج المعلومة حول الموقع الجغرافي.

في هذا السياق أيضا،هناك نقد غير مباشر فيه تأكيد على ضرورة تغيير النظرة إلى الأشياء وعدم الاكتفاء بالأحكام المسبقة، من خلال السعي إلى تكثيف الرحلات لزيارة المدن التونسية لاكتشاف ما تتسم به من خصوصيات، وذلك كفيل بالافتخار بما تزخر به من مشاهد طبيعية قد تغني عن تمني السفر،الذي يكون في بعض الحالات صعب التحقق لما يتطلبه من نفقات وإجراءات معقدة.

في الصورة الثالثة، إلى جانب المضمون المميز للصفحة، وهو إشارة الى ضرورة التحكم في العقل وإعماله، تم إيراد جدول يتضمن عمودين ليدعم بذلك الأسلوب المعتمد في هذه الصورة ألا وهو المقارنةأيضا،وهي مباشرة تفصل بين ما يهدد المجتمع وما يخدم سلامة بنيته،بين ما يعرقل الدمقرطة في مختلف الميادين وبين ما يعطيها دفعا لتترسخ أكثر، وتتغلغل كقيمة ثابتة من قيم المجتمع.

لم يقتصر الأمر عند هذا الحد، إنما تم تقديم نتيجة كل نوع من التمثلات والممارسات التي يتبناها الفاعلون الاجتماعيون مع فسح المجال لكل مستخدم من مستخدمي الفايسبوك للاختيار الحر بين أن تكون غايته من الاختلاف الهدم والتشتيت، باعتبار أنه لا يستند إلى الحجة، وبين أن يكون اختلافه فاعلا لإثراء النقاش وتبادل وجهات النظر في كنف الموضوعية، وهو ما من شأنه دعم الروابط، سواءفي الواقع الاجتماعي أو في المجال الافتراضي.



نشير في سياق تنوع المواضيع، كخصوصية يتسم بها المضمون التفاعلي في الفايسبوك، أن ما تم عرضه ليس سوى جزءا بسيطا من الكل المتميز بالوفرة كما، والاختلاف الشامل في جميع المستويات نوعا.

انطلقت شبكة الفايسبوك من رؤية قاعدية متمثلة في بعث موقع للتواصل الاجتماعي، لضمان استمرارية التبادل العلائقي بشكل افتراضي يكمل العملية الاتصالية القائمة على التفاعل المباشر، لتتحول هذه الشبكة شيئا فشيئا إلى مجال لا يستخدمه الأفراد فحسب، وإنما الحكومات والمنظمات والجمعيات ووسائل الإعلام التقليدية التي وجدت في هذا الفضاء "توأمها" التفاعلي الافتراضي الذي يكملها، ويساعدها في نشر رسائلها وعرض مواضيعها، لتستعيد مضامينها الصدى الذي بدأ يتضاءل، منذ انطلاق تجذر استخدام الفايسبوك في الممارسة الاتصالية والإعلامية على حد سواء.

يستخدم الفاعل الاجتماعي الفايسبوك لإشباع حاجته المعرفية والتعبيرية، حيث يتمكن من الاطلاع على نفس الموضوع من زواياه المختلفة، حسب رؤى قد تبلغ درجة التباين والتناقض، مع إتاحة الفرصة أن يضيف وجهة نظره في الموضوع، ويناقش ويعرب عن موافقته أو رفضه.

من جهة أخرى، يحتل اليومي مكانة هامة في مواضيع المضامين المنشورة، لتكتسب الدمقرطة بعدا جديدا، حيث يعقد الفرد علاقة جديدة مع ذاته بالأساس ومنح تصوراته الأكثر التصاقا بحياته الخاصة حقها في الظهور، بل وقد يذهب إلى أبعد من ذلك عبر السماح للأفكار المتراكمة في لاوعيه بالتجلي، والتعبير عن المطامح التي يسعى الوعي إلى التستر عنها واستبعادها إلى درجة الإقصاء.

تشمل دمقرطة الاتصال مستويات من العلاقات ألا وهي علاقة الفرد بذاته وعلاقته مع الآخر وعلاقته بالمجتمع وعلاقته بالعالم بأسره، إذن، هناك شمولية في الرؤية، وهناك تلك الحيوية التي تتضمن المواجهة بين الأضداد والموافقة النسبية والتصادم والتكامل والتنافر والبحث الدائم، وهو ما يجعل العملية الاتصالية تعيش على وقع نقلات متواصلة.

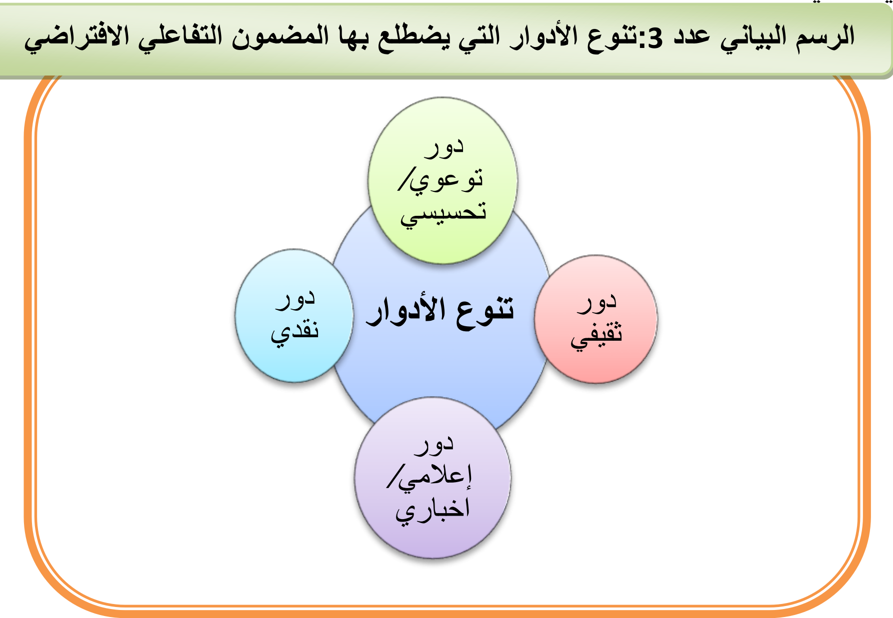
3. 2.1.2- تنوع الأدوار:

استغل الفاعل الاجتماعي الفايسبوك كمجال للتعبير والمناقشة وعرض مستجدات الفضاء العمومي،



وكشف الجوانب المجهولة أو التي يتم السعي لإخفائها، ما يساهم في دمقرطة "الفعل التواصلي"، كما سماه هابرماس(Habermas)، وهو ما جعل المضامين التي يتم إنتاجها تضطلع بأدوار متنوعة، ويستعرض الرسم البياني التالي أبرزها:

الرسم البياني عدد 3:تنوع الأدوار التي يضطلع بها المضمون التفاعلي الافتراضي



2.1.2 .3. 1- دور توعوي / تحسيسي:

تزامن هذا الدور مع ظرفية معينة ألا وهي الانتخابات التونسية، حيث تم اتخاذ الفايسبوك منبرا مفتوحا للتشجيع على التصويت، باعتباره يرسخ الديمقراطية التي يطمح كل فرد إلى تحقيقها،لما تحمله من أبعاد ترسخ الرؤية التشاركية والمساهمة في تفعيل التمثلاتعبر الممارسة.

تعددت المضامين المرتبطة بالحدث الانتخابي، والمشجعة، من خلال الأساليب المعتمدة والرسائل الموجهة،على عدم التفريط في هذا الحق وما يكتسيه من أهمية بالغة على المستوى الفردي والجماعي.

بالتالي، لم تعد هناك قضايا يحتكرها المجال العمومي باعتبار أن مستخدمي شبكة الفايسبوك يتطرقون إلى جميع مشاغل واقعهم الاجتماعي، ويمكن ملاحظة أن الالتفاف حول قضية ما يتدعم، كلما تعلق الأمر بغايات ترتبط بالمصلحة العامة وبتماسك البنية الاجتماعية، ورفض الذات الإنسانية للظلم بجميع مظاهره.

تتضمن الوثيقة التالية بعض المضامين التي سيتم الوقوف عند الآليات التعبيرية التي ارتكزت عليها، ورمزية رسائلها لتلعب دورا توعويا تحسيسيا:



الوثيقة عدد 7: اضطلاع المنشورات على الفايسبوك بدور توعوي / تحسيسي

المضمون الأول

المضمون الثاني

المضمون الثالث

تم اختيار صور تستند على أسلوب الكاريكاتور الذي يتسم ببساطته، إذ نلاحظ أن الرسمين الكاريكاتوريين الأول والثاني خاصة المأخوذين من صفحة (erevolution) لا يحتويان إلا على بعض الخطوط البسيطة التي شكلت في **الرسم الأول** الشخصية المميزة لهذه الصفحة ذات الابتسامة العريضة والتي يتم توجيه الرسائل من خلالها، ونرصد في **الرسم الثاني** يداوصندوق الانتخابات.

تم ترك القلم كإشارة معلنة على أن إنتاج المضامين، ونشرها للمساهمة في العملية الاتصالية الدائرة في الفايسبوك لا يحتاج تقنيات معقدة أو خبرة في استخدام البرمجيات المختصة في تصميم الصورة وتعديلها وإدخال التغييرات عليها، فالمهم هو الفعل التواصلي الذي لا يتطلب من صاحبه إلا الوضوح ليبلغ مراده، ولتتحقق عملية التبادل التفاعلي مع الآخر.



لا يعد التعويل على الأسلوب الكاريكاتوري اختيارا يحيد عن الموضوعية التي يتطلبها تشخيص القضية وعرضها، إنما على العكس، يعطي المضمون فرصة أكبر حتى يطلع عليه الآخرون، فقد يبتعد البعض عن تلك المنشورات التي يطول فيها الخطاب اللفظيوالتي تتطلب وقتا أطول، سواء في القراءة أو في تأويل رموزها وفهم معانيها.

يستبطن الأسلوب الساخر الجدية، ويتميز خطابه بالمباشرة، ونجد ذلك مثلا في عبارة (vote) في **المضمون الأول** وهو فعل أمر لا يكشف بصفة سافرة عن الإلزامية وفرض توجه معين قد ينفر المتلقي.

أوكلت مهمة الإقناع إلى حرف من حروفه الذي احتوى العلم التونسي بنجمته وهلاله، لتغدو دعوة الانتخاب موجهة من طرف الوطن، وهو ما يستدعي تلبية طلبه انطلاقا من نداء الواجب، وفي تفعيل الانتماء مصلحة البلاد، لكن أيضا مصلحة الفرد لتأكيد المشاركة والاضطلاع بدور في رسم سياساته واختيار توجهاته.

يؤكد الخطاب اللفظي الذي يشتمل عليه الرسم الكاريكاتوري على تجسيد الممارسة الديمقراطية بواسطة عملية الانتخاب، ولا يتقيد بتوجه سياسي معين، وإنما هو مسؤول على حث الفاعلين الاجتماعيين بأسلوب تهديدي ساخر (انتخب إلي يجي لا نجيك) على عدم التفريط في حق تقرير المصير،فالمهم هو التمرن على المساهمة لاستعادة الحق في الممارسة الديمقراطية.

يتواصل هذا "التهديد" الذي تضمنته الرسالة في **المضمون الثاني**، لكن ليس بصفة ساخرة، إنما بجدية واضحة، عبر عنها الرسم الذي كشف بشكل بسيط، من خلال اليد التي تحمل أوراقا نقدية،أن التصويت ليس نابعا عن اختيار، إنما تم ترويض حرية صاحبها وشراء صوته بالمال، أي رشوته لينتخب شخصا معينا، وقد تُنتهز فرصة غياب الفرد لاستخدام اسمه دون علمه أو رضاه، وكأنه قام بعملية التصويت،والحال أنه لم يشارك أصلا الديمقراطي.

تشجع هذه الرسالة التوعوية والتحسيسية المختصرة والواضحة (صوت وإلا سيصوتون في مكانك) الفاعلين الاجتماعين على الخروج عنحياديتهم التي قد تكون لها آثار سلبية على المجتمع بأكمله،في حين أن تفعيل الدور من شأنه الوقوف في وجه الاختلالات والممارسات التي تعوق الديمقراطية.



يمنح **المضمون الثالث** فعل التصويت تفردا عن بقية الأفعال العادية من حيث التصريف، وتم الاعتماد على شخصية علمية بارزة معروفة،ألا وهي اينشتاين (Einstein)المتميز بقانون نسبيته الذي قام بتطبيقه أيضا، وهو يمنح هذا الدرس المجاني المفتوح للعموم لتعلم الديمقراطية والاستفادة منها.

تتكفل ضمائر المفرد والمثنى والجمع الحاضر بفعل الانتخاب الذي يوحدهم على اختلافهم لتكون النتيجة تصريف الجمع الغائب (هم) بالاستبعاد، باعتبار أن الممارسة الانتخابية ستمكن من استرجاع الحق في تقرير المصير وتسيير الشؤون وفق رؤية ترفض الاستبداد الذي اتسم به ضمير الجمع الغائب الذين اقتصر تفكيرهم في مصالحهم وتجاهل مصالح بقية الضمائر.

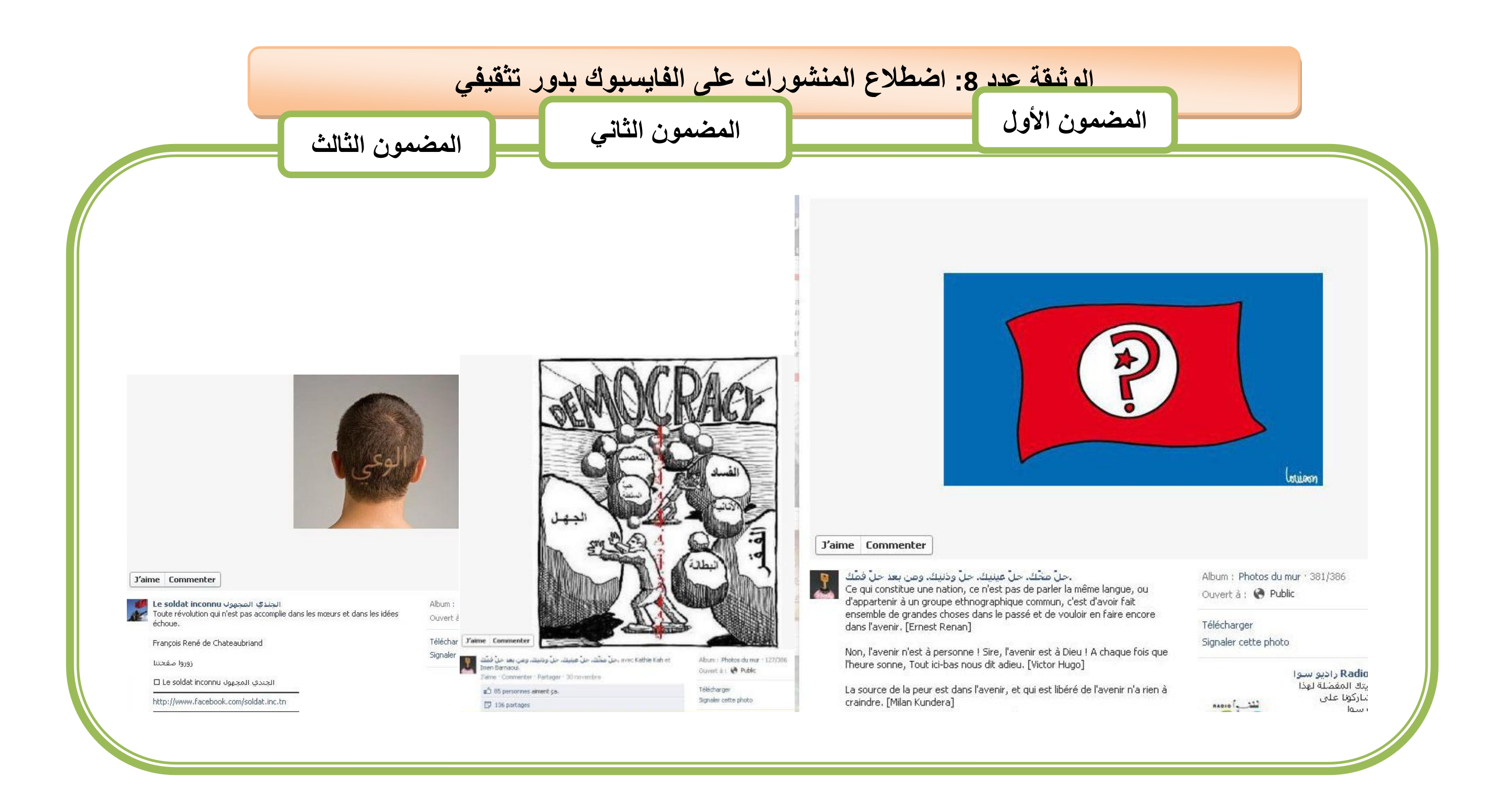
أكدت الرسالة التي وجهها الرسم الكاريكاتوري أن الفرصة متاحة للأخذ بزمام الأمور وتجسيد الفعل واحتلال دور الفاعل لا المفعول به، فتنقلب الأمور لصالح الضمائر الباحثةعن التحرر، وهو ما يجعل الممارسة الانتخابية ضرورة لإنقاذ الديمقراطية والحرية والحق في المشاركة في الشأن العام.



2.1.2 .3. 2- دور تثقيفي:

نستشف من خلال المضامين المنشورة في الفايسبوك نوعا من الوعي الجمعي الذي يعترف أن التغيير مستمر والثورة وما حققته ليس إلا لبنة أولى في البناء الديمقراطي، ويجب على الجميع المساهمة في تشييده، وهو ما دفع بعض القائمين بالاتصال إلى تحمل مسؤولية تثقيفية بالعودة إلى المراجع للاستشهاد بما توصل إليه كبار المفكرين في قضايا مصير الإنسان والمجتمعات، وضرورة تزامن قيام ثورة في حقل معين بثورة فكرية، بما أن الأفكار هي القادرة على تشخيص الأوضاع الراهنة، وتحليلها لرسم الخطط الكفيلة بتجاوز العراقيل وبلوغ الغايات المنشودة.

تتضمن الوثيقة التالية منشورات جمعت بين الصورة والخطاب اللفظي لتوجه رسائل ذات صبغة تثقيفية:



التي سيتم على أساسها مواجهة المراحل التي ستليها،فالثورة ليست مرادفا لحلول جذرية، بل هي قطيعة لا تهدم ما سبقها كليا، إنما تحافظ على نتائج التجارب كخبرة، وتعتمد عليها كأساس للتجاوز، لتتخلى عن كل ما من شأنه إعاقة تحقيق الغايات الإنسانية.

عبرت**الصورة الأولى** عن الحيرة، موردة العلم الذي يتمتع بالحرية الكاملة مرفرفا في السماء،إلا أن هلاله تحول إلى علامة استفهام حول المصير والمستقبل وما يجب فعله لتحقيق تغير فعلي،وقد يعني هذا التساؤل ببساطة أشد: ماذا يعني الوطن؟،ماهي الخطوات التي يتوجب على أفراد الوطن القيام به من أجل المستقبل، وبماذا عليهم التسلح للمضي قدما نحو أهدافهم التي لم تتجسد بعد؟

هذه الحيرة علامة صحية باعتبار أن هناك اعتراف بالحاجة إلى فهم المعطيات الجديدة للمعادلة الديمقراطية، وهي حيرة تبحث عن إجابة،وتستعرض ملامح ممكنة عنهابإيراد خطاب لفظي يتضمن أقوالا تخدم السياق التثقيفي، مقدمة لمستخدم الفايسبوك، الزائر لهذه الصفحة والمطلع على منشورها،طبقا معرفيا يتشكل من أصناف عدة، تتكون من أفكار ولدها فلاسفة وأدباء، لطالما دفعوا شعوبهم للتحرر من القيود، وعايشوا تجربة الثورة (الثورة الفرنسية مثلا وعصر الأنوار..)، وكتبوا عنها،واضطلعت مؤلفاتهم بدور المرشد إلى المسؤوليات التي يجب تحملها لتجاوز التهديدات التي تنعكس على جميع عناصر المجتمع.

يتم التأكيد، مرة أخرى، على أهمية الفعل كمحفز مع الاعتراف بالاختلاف الكامن بين الأفراد الذي لا يعتبر عائقا، إنما على العكس، يجب أن تتحد وجهات النظر المتباينة، فالاختلاف القائم على الاحترام هو الركيزة الديمقراطية التي ستتحقق على أساسها النقلة المرجوة.

يرصد **المضمون الثاني** شخصا يبذل مجهودا لإبعاد الصخور التي تعوقه على مواصلة دربه نحو غايته التي ما تزال حسب الصورة بعيدة المنال، وفي ذلك تجسيد للتونسي الذي قام بثورة لم تحقق بعد هدفهاألا وهو الديمقراطية، إنما أرشدته فحسب إلى السبيل الذي يجب أن يسلكه، وتجشم أعباء هذه الرحلة المليئة بالعراقيل (الفقر، البطالة، الأنانية، الجهل، التعصب) للوصول إلى المبتغى الذي تم تمثيله بشمس مشرقة تبزغ في آخر الطريق.

نرى في نفس هذا الدرب فاعلا اجتماعيا آخر يزيح بدوره صخرة الفساد، وفي ذلك تعبير عن ضرورة تحمل كل فرد أو مجموعة مسؤولية إزاحة عائق من العوائق، باعتبار أن شخصا واحدا غير قادر بمفرده على تخليص الدرب منها، فهي مهمة مشتركة بما أن المأرب ذاته الذي يطمح إليه الفاعلون الاجتماعيون.

اتسمت الرسالة التي حملها المضمون، عبر رموزه البسيطة ظاهريا والعميقة في مدلولاتها الباطنية، بالموضوعية من حيث التزام المنطق من خلال تصوير الواقع كما هو، بما فيه من مشاكل تتفاوت من حيث درجة الصعوبة في حلها وتجاوزها، وذلك ما يمكن استنباطه عبر اختلاف حجم الصخور، بالتالي،



لم يتم اللجوء إلى التزييف بإلباس المجتمع قناعا يخفي عيوبا تغلغلت في بنيته، في كافة المجالات، وبرزت مظاهرها وتبعاتها بشكل جلي.

إن بلوغ الغاية لا يتحقق بسهولة، وقد يمنى الفاعلون الاجتماعيون بالهزيمة بتدحرج الصخور من جديد، لذلك تبقى إمكانية التحقق مقترنة بالوعي، وهو ما دعمه **مضمون الصورة الثالثة** التي رافقها خطاب لفظي لفيلسوف ومفكر، لتغدو البرهنة بآرائه حجة بليغة يتم اعتمادها للإقناع، فإلى جانب خلفية الرأس الموشومة بكلمة "الوعي"، وهو إخراج فني فيه تأكيد على الأهمية التي يتحلى بها الوعي البشري في ضبط جميع تمفصلات حياة الإنسان، ابتداء من تصوراته حول نفسه وتمثله للآخر وكيفية تعامله مع مجريات واقعه.

يجب أن يحضر هذا الوعي بصفة دائمة كأنه موشوم في الأفكار والممارسات، ويخول للفاعل الاجتماعي رفض الأفكار الرجعية التي تحولت إلى عبء وعائق، ليقترح رأيا آخر يتماشى مع خصوصيات واقعه الاجتماعي الذي يشهد تغيرات، ولن يتحقق ذلك إلا إذا تسلح بذهن يقظ وخصب، لتشمل الثورة جميع المستويات، ولعل أهمها ثورة فكرية، سيتم على أساسها امتلاك القدرة على التحليل والنقد والنقاش وتقديم الاقتراحات واحترام الاختلاف وتثمينه كقيمة ديمقراطية.

لا يقتصر الأمر على تقديم الأفكار النظرية، إنما تزداد الحاجة إلحاحا إلى اقتراح خطوات عملية،وهو تم التعبير عنه من خلال المضمون في الوثيقة التالية:

الوثيقة عدد 9: الوعي بأهمية التطبيق علىأرض الواقع وعدم الاكتفاء بالتنظير





تمثل المنشور في رسم كاريكاتوري،ارتكز على أساليب المبالغة والتضخيم، حيث نرى أوراقا مكدسة على الطاولة، وبالكاد يظهر وجه الشخصية – الرجل من ورائها، وإذا استمر عدد هذه الملفات، التي ترمز إلى النظريات والاقتراحات والخطط التي لم تطبق بعد، فستحجبه تماما، وتتحول بدورها إلى مشكل،وهي التي من المفترض أن تلعب دور المرشد عن طريق ما تتضمنه من معطيات ومقاربات واستراتيجيات.

تظهر الحاجة الملحة للانتقال إلى التطبيق باعتباره العنصر الذي يتكامل مع التنظير، ويمنحه الأبعاد العملية التي تحوله إلى وقائع ملموسة، فالاقتصار على الاضطلاع بدور التثقيف عبر النشر المكثف للمضامين القائمة على الأفكار، سواء كانت العلمية أو الفكرية أو الفلسفية، في أي مجال من المجالات، لا يوفرللمستخدمين سلاحا ناجعا لمواجهة الأزمات التي قد يشهدها واقعهم الاجتماعي.

إذن، هناك دعوة صريحة من خلال الخطاب اللفظي الذي جاء على لسان الشخصية المجهدة العينين نتيجة الاطلاع على النظريات، إلى إيجاد حل لمشكلة فرضت نفسها، تتعلق بكيفية الانتقال من التنظير إلى التطبيق حتى لا يكتفي مستخدم الفايسبوك بالاطلاع والتلقي والتخزين،فالمجهود المعرفي لا يكتمل إلا من خلال إرساء الأسس العملية، فهي ركيزة جوهرية للإقناع بالجدوى والنجاعة.

2.1.2 .3. 3- دور نقدي:

حملتبعض منشورات الفايسبوك بعدا نقديا لإبلاغ رسالة الفاعل الاجتماعي، في المجال العمومي، الذي يحتج على أوضاع لم تشهد تحسنا ملحوظا، ولم تتم الاستجابة لتطلعاته، أو للإشارة إلى وجود أزمة سياسية ناجمة عن غياب العمل المشترك من أجل الصالح العام والاقتصار على خدمة المصالح الذاتية، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال المضمونين في الوثيقة التالية:





لعل من أبرز مظاهر دمقرطة الاتصال هو التكامل بين المجالين العمومي والافتراضي، حيث غدا بإمكان الفاعل الاجتماعي نقل جميع التحركات والاحتجاجات التي تعلو فيها الأصوات بالهتافات، وترفع الأيدي اللافتات التي تختلف مضامينها وطرقها الأسلوبية في توجيه الرسائل.

يتم توثيق جميع التفاصيل عبر مقاطع الفيديو أو الصور الفوتوغرافية ونشرها في الفايسبوك بصفة مباشرة وتقاسمها، وهو ما يمنح الرسالة سمات الآنية والقرب والوضوح، وتجعل الفرد حاضرا ومواكبا للأحداث مهما كان موقعه الجغرافي.

ينقل**المضمون الأول** صورة تم التقاطها من مظاهرة خرج فيها المواطنون في تونس للتعبير عن احتجاجهم على عدم تحقيق السياسيين للوعود المتعلقة بتحسين الأوضاع الاجتماعية، واتهامهم من خلال الخطاب اللفظي الذي تضمنته اللافتة التي يحملها الطفل المشارك في المظاهرة، وجعل الكلمة بارزة (نسيتوه) بكتابتها باللون الأحمر خلافا لبقية الكلمات المكتوبة بالأسود، وعادة ما يشير الأحمر إلى ضرورة التوقف (الإشارة الضوئية الحمراء) تنبيها للخطر.

تم الاعتماد على اللهجة العامية، وهي الأقرب إلى التونسيين، حتى تبلغ الرسالة أربها،إضافةإلى الاشتغال على الإيقاع الذي أكسب الخطاب جرسا موسيقيا من خلال السجع (الكراسي. يقاسي. يساسي)،وهو ما تتميز به الشعارات حتى تجذب الانتباه،مكتفية ببعض العبارات التي يتم تحمل رسائل عميقة المدلول سهلة التأويل، وتعلق في الذاكرة نتيجة بساطتها واختصارها وكلامها الموزون.

اضطلعت الصورة بوظيفة نقدية موجهة إلى أشخاص معينين،ألا وهم الساسة وأصحاب القرار، الذين تم ائتمانهم من طرف شعبهم للنهوض بالأوضاع التي تشكو ترديا وإيجاد حلول للأزمات كالبطالة والفقر، إلا أن هذا الفرد (الزوالي)، وتشير هذه العبارة إلى شخص يشكو وضعا اقتصاديا صعبا، لم تعرف حالته تحسنا يذكر، إنما يلقى عناء في معيشته إلى درجة تسول (يساسي) احتياجاته الأساسية كلقمة العيش، بالتالي، هو اتهام بالخيانة التي نجمت عن النسيان أو التناسي وتجاهل المطالب الشعبية بعد الحصول على المراكز (الكراسي).

يعبر حمل الطفل للافتة على مدلولين:**أولا**، تذكير أولئك اللذين في مراكز القرار بالمسؤولية المناطة على عاتقهم تجاه هذا الجيل ووجوب توفير أرضية ملائمة لاحتضانه، في صلب مجتمع يسعى إلى الارتقاء.**ثانيا**،إن الفاعلين الاجتماعيين الذين قاموا بثورة استرجعوا حقهم في تقرير المصير، وإذا شهدوا ظلما أو فسادا أو غير ذلك من الإخلالات التي تؤثر سلبا، هم على استعداد للخروج من جديد من أجل



الاحتجاج، وأن جيلا ثائرا يخلفهم، جيلا توفرت له جميع السبل للتعبير بحرية،وما عاد من الممكن سلبها منه، لأنه جيل لا يقتصر على احتجاج كل فرد على حدة، إنما يتم الاستناد على واجهة افتراضية،ألا وهي شبكة الفايسبوك، فتتوطد علاقة الاستلهام والتكامل بين العمومي والافتراضي.

يوجه **المضمون الثاني** رسالة تؤكد ضرورة الانتباه حتى لا يُساء فهم الممارسة الديمقراطية، فالحق في التعبير لدعم وجهة نظر لا يعني رفض وجهات النظر المختلفة والتمسك بالرأي دون الدخول في نقاش يرتكز على المحاجة من أجل إيجاد الأرضية المشتركة، وتوليد رأي يخدم المصلحة العامة خاصة في وضعية زمنية تحتاج إلى توثيق الروابط الاجتماعية في سبيل التعايش السلمي، وتحقيقا لأهداف الثورة وعدم تجاهل مبادئها التي تم تخليدها عن طريق الشعارات التي كتبت على الجدران.

تبقى دائرة العلم فارغة بيضاء، وهو ما يشكل تهديدا حقيقيا، باعتبار أن افتقار العلم، الذي يمثل الوحدة، لرموزه الأساسية يعني حاضرا مبهما ومستقبلا مفقودا، بما أنه تم الإقرار بالانشطار بين علماني يكون من نصيبه النجم ومنتمي إلى تيار إسلامي يستولي على الهلال.

لن تبوء المجهودات بالنجاح في الإثراء والارتقاء على أي مستوى من المستويات إلا عبر التفاعل مع الآخر لتبادل وجهات النظر، لا لتكون الغلبة لرأي مجموعة ذات اتجاه محدد، إنما للاتفاق حول خطة عمل تستجيب لمتطلبات تحقيق الكرامة التي نسبت إليها الثورة، وضمانا لسلامة المجتمع من الانهيار فالاندثار (تحيا تونس)، والتفكير في الطبقة الكادحة التي يجب أن تتحسن وضعيتها ولا تبقى مهمشة (محمد البوعزيزي)، ورفض الاستبداد بمختلف أنواعه مهما كانت أطرافه، فبعد المطالبة بتغيير النظام السياسي الذي لا يعترف بالديمقراطية(Ben Ali dégage)، يجب عدم الانسياق لاستبداد من نوع جديد.

لا تقتصر الوظيفة النقدية للمنشورات على مجال واحد أو ميدان معين، إنما يتطرق المستخدم إلى جميع المواضيع المطروحة بشكل يومي والتي تتمحور في جوهر مشاغل حاضره، ويسعى أن يكون نقده بناء، فينشر المضامين التي تتسم بالعمق الرمزي، حتى تحدثالرسائل تأثيرا ينتج عنه محاولات لتحسين أو تعديل الوضع أو نبذ ممارسة لتبني أخرى تخدم المجتمع بأسلوب موضوعي يخاطب العقل.

2.1.2 .3. 4- دور إعلامي/إخباري:

حقق المجال الافتراضي نقلة على مستوى إنتاج وتبادل المعلومة ورصد الأخبار وتتبع المستجدات،سواء على الساحة الوطنية أو العالمية وعلى مستوى النشر والتفاعل مع الأحداث، وهي نقلة شملت جميع



مكونات العملية الإخبارية، وخاصة الفرد الذي لم يعد يكتفي بالتلقي والاستقبال والتزود بآخر المستجدات عبر القنوات الإعلامية التقليدية.

لكنه، تكفل بمهمة الصحفي والمراسل والمصور وغيرها من المهام التي تحررت من نطاقها المهني،الذي يستجيب لجملة من القواعد ويتقيد بضوابط محددة، سواء كان على مستوى الكتابة الصحفية بأنواعها المختلفة أو التصوير الفوتوغرافي الذي يحتاج دربة وقدرة على اختيار الزاوية حسب الموضوع.

لم تعد هذه المهام حكرا على أهل الاختصاص، فكل فرد يمكنه رصد الخبر وتوثيق الأحداث عبر الكاميرا التي في هاتفه المحمول، والقيام بنشرها مع إضافة تعليق باستخدام اللغة التي يشاء، عبر حسابه في الفايسبوك، ليمتلك بذلك قناته الإعلامية الخاصة به، التي ينزل فيها مضامين تناسب توجهاته دون إملاءات أو رقابة أو اضطرار للالتزام بالخط التحريري.

بالتالي، أشرع المجال لصناعة الخبر بطرق تحمل بصمة المستخدم للتقنيات الاتصالية الحديثة، وهو ما يجعل المضمون مميزا أسلوبا وتمثلا، فيشد الانتباه نظرا لخروجه عن المتداول والمعهود من القوالب الإخبارية الكلاسيكية، مقدما إضافة، ومركزا على تفصيل قد تتعمد الوسائل الإعلامية تحاشي تسليط الضوء عليه.

يسعى هذا النوع من الإعلام إلى دمقرطة الاتصال بتشجيع الفاعل الاجتماعي للانضمام والتعبير،وهو ما أكد عليه الخطاب اللفظي في المضمون الأول (فسح المجال لطرح آرائكم ونقل صدى الشارع) في الوثيقة التالية:

الوثيقة عدد 11: اضطلاع المنشورات على الفايسبوك بدور إعلامي





نلاحظ من خلال **المضمون الثاني** حضور وسيلة إعلامية تقليدية، وهي قناة تلفزيونية متخصصة في الأخبار، في شبكة الفايسبوك عبر إنشائها لصفحتها الخاصة التي تقدم بواسطتها أخبارها الموجزة المرفقة بالصور وتنشر التحقيقات، كما تتخذها وسيلة لإعلام مستخدمي الفايسبوك بمواعيد برامجها الحوارية لتشجيعهم على المتابعة.

ينطبق الأمر على أغلبية وسائل الإعلام الكلاسيكية، سعيا إلى استقطاب الأفراد الذين غدوا يميلون أكثر

فأكثر إلى التزود بالأخبار عبر شبكة الفايسبوك، نظرا لما تتسم به العملية من مرونة وعدم التقيد بوقت معين لمشاهدة نشرة الأخبار التي قد لا يودون متابعتها كاملة نظرا لاهتمامهم بمواضيع دون غيرها.

ننتقل بعد ذلك لتحليل البعد الثاني من أبعاد مساهمة استخدام الشبكة الافتراضية في إثراء العملية الاتصالية، والذي يتمثل أساسا في **عولمة القضايا الاجتماعية**، باعتبار أن موقع الفايسبوك جسد العبارة الماكلوهانية، وغدا العالم شبيها بقرية كونية لا يشكل فيها الزمان أو المكان أو اللغة أو الانتماء عوائق، وأصبح فضاء عابرا للأوطان والقوميات كما ذهبت إلى ذلك الفيلسوفة نانسي فرايزر(Nancy Fraser).

2.2- عولمة القضايا الاجتماعية:المساهمة في إرساء اتصال عابرللحدود والأوطان:

لا يعتبر مصطلح العولمة (mondialisation) من المصطلحات الجديدة، فقد كثر استخدامه إلى درجة غدا فيها معهودا، خاصة إذا تعلق الأمر بالسعي إلى تحرير التبادل التجاري العالمي من كل العراقيل، ليتحول العالم بأسره إلى "سوق مفتوحة" لا تعترف إلا بمبدأ المنافسة غير المشروطة.

في هذا الإطار، يمكن القول أن العولمة أصبحت حاجة أكثر إلحاحا، وضرورة لا يمكن الاستغناء عنها لبلوغ الغايات الإنسانية الطامحة إلى الاعتراف بالآخر،عن طريق التعمق في التعرف عليه والاتحاد معه لخدمة القضايا المشتركة.

وفرت الأساليب التفاعلية للفايسبوك الفرصة لتحقيق المستخدم نقلة اتصالية، ينطلق فيها مما هو شخصي لينفتح على عوالم أخرى، "يعولم" علاقاته وتمثلاته وممارساته،ويتحول الشاغل الذاتي إلى شاغل جماعي،فتتدعم القدرة على مجابهة الأزمات، خاصة منها تلك التي خرجت من سياق مجتمعي واحد وانتشرت في المجتمعات الأخرى، وليس هناك مثال أبرز من استفحال العنف الاجتماعي،من خلال ما تم



تسميته بالإرهاب الناتج عن عدة عوامل، وتجاوز مرحلة الظاهرة إلى طور المشكل الحقيقي الذي ينعكس على الفاعلين الاجتماعيين وعلى بنى المجتمع بما أنه يهدد جميع المجالات.

إذن، اتسعت الدائرة الاتصالية لتنفتح على العالم بأسره، ليتحول الآخر المجهول والمختلف إلى طرف استراتيجي لا يمكن الاستغناء عنه، بما أن المصير الإنساني مشترك، وما يهدد مجتمعا ما يلمس بطريقة أو بأخرى بقية المجتمعات.

إن هذه النقلة، التي تفسح المجال للتبادل الحر للآراء والأفكار ووجهات النظر، تهدف إلى المساهمة في إرساء تواصل عابر للحدود والأوطان،يرتكز على الأهداف الإنسانية السامية، كالسلم ونبذ العنف والتطرف وتكريس الحرية، باعتبار أن القضية لم تعد تعالج على مستوى ضيق، إنما "تعولم" بعرضها على الفايسبوك عبر المنشورات التي يتم تقاسمها على أوسع نطاق.

يبرز الرسم البياني التالي المستويات التحليلية التي سنستعرضها تباعا لإبراز مساهمة استخدام الفايسبوك في عولمة القضايا الاجتماعية لإرساء اتصال عابر للحدود والأوطان:

رسم بياني عدد 4: إرساء اتصال عابر للحدود والأوطان



2.2. 1- تبني موقف موحد تجاه قضية معينة:

نجم عن نشر المضامين في الفايسبوك انفتاح المجتمعات على بعضها البعض، والتعرف بشكل أكثر دقة وعمقا على مستجدات الأحداث، في مختلف أصقاع العالم، والانتقال في كثير من الأحيان من الاكتشاف والاطلاع إلى التفاعل، سواء عبر التعليق الذي يفتح باب النقاش أو عن طريق تقاسم المنشورات التي من المحبذ أن تستند على رموز قابلة للتفسير والتأويل بنفس الطريقة لفهم مضمون الرسالة،وهو ما يتطلب اللجوء إلى الابتكار الذي يأخذ بعين الاعتبار شد الانتباه،وضمان تلقي ناجع للدلالات من طرف أكبر عدد



ممكن من المستخدمين،ما يعطي المنشور قيمة إضافية تثري التواصل،حيث **"تكتسب الرموز أهميتها وتصبح ذات دلالة حينما تكتسب نفس المعنى لدى مستقبلها، نفس المعنى الذي كان في ذهن مرسلهاأو صاحبها"**[55].

تم اتخاذ الإرهاب كمثال عن الخلل الوظيفي الذي تعاني منه جل المجتمعات تقريبا، ليغدو قضية تخرج عن نطاقها المحلي الضيق لتصبح مثيرة للرأي العام العالمي، والتي تثبت حضورها بأشكال مختلفة من العنف المادي، كالتفجير والهجوم المسلح والقتل، والبلوغ في بعض الحالات إلى الحرقوالتنكيل بالجثث إلى غير ذلك من الأشكال التي لا تحترم مبدأ التعايش السلمي واحترام حق الآخرفي الحياة.

واجه مستخدمو الفايسبوك الظاهرة بتبني موقف موحد، من خلال المحافظة على نفس المضمون الذي يصرح بتماهيه الكامل مع الحدث، وإن اختلف المجتمع الذي شهد أعمالا إرهابية، لعل أبرز مثال عن ذلك ما توضحه الوثيقة التالية:



يرتبط مضمون المنشور الأول (Je suis Charlie) بحادثة الهجوم المسلح الذي تعرض له مقر الجريدة الساخرة شارلي هبدو(Charlie Hebdo) في فرنسا والذي ترتب عنه مقتل عدد من صحفييها ورساميها الكاريكاتوريين، وقد تم تداول هذا المضمون- الصورة بصفة مكثفة في شبكة الفايسبوك، لكنه، ظهر في بادئ الأمر، في شبكة تويتر و**"صاحب الشعار والتصور هوجواشيمرونسين(Joachim Roncin)، المدير الفني لمجلة المصمم(magazine Stylist)"**[56].

---

[55] محمود عودة ، أسس علم الاجتماع، مصدر سابق، ص.96.

[56]"Je suis Charlie", *Wikipédia*, l'encyclopédie libre, https://fr.wikipedia.org/wiki/Je_suis_Charlie



ما يمكن ملاحظته **أولا** بساطة الأسلوب الذي تم تقديم الرسالة من خلاله، والاختصار في الخطاب اللفظي **ثانيا**، فالمنشور الذي جاء في شكل خطاب تقريري صريح، لم تتجاوز كلماته الثلاث لتبرز بشكل جلي موقفا حاسما للاتجاه التفاعلي، إضافة إلى الاكتفاء بالأسود كخلفية،وهو اختيار غير عشوائي،إنما يهدف إلى حصر التركيز في المضمون الذي تم رقنه بطريقة تجعله بارزا، مع اعتماد الأبيض والرمادي، وجميعها تصنف في فئة الضوء، مع الإشارة إلى أنه إذا مزجت الخلفية "السوداء" مع العبارتين الأوليين البيضاوين نتحصل على الكلمة الثالثة الرمادية.

قد يكون صاحب الشعار قام بهذا الترتيب الضوئي بصفة عفوية، ومن الممكن أنه تعمد توجيه رسالة معينة من خلال هذا الاختيار، ليرمز الأسود إلى الوضعية الناجمة عن العمل الإرهابي وما خلفه من خسائر مادية ومعنوية، لكن "اللوحة - الوضعية" لن تبقى سوداء، إنما يتدخل الفاعل الاجتماعي الذي يعبر عن رفضه أن يتسربل مجتمعه أو مجتمع آخر بهذه القتامة التي لا تسمح برؤية شيء، حيث يغرق الجميع في الظلام، فيعلن حضور ذاته بالأبيض الذي لا يلغي الأسود، إنما يواجهه في محاولة لتجاوزه باختيار ضوء يتكون من مزيجين.

يرمز الرمادي، الذي لا يمكن أن يولد إلا بالتقاء واندماج نقيضين، ضرورة احترام الاختلاف والدفاع عن حق الإنسان الآخر، مهما كانت توجهاته وآراؤه، في التعبير بكل حرية دون سلبه الحقفي الحياة.

تتحول الذات البيضاء، تلك الذات التي تتسم بخصوصيتها وتفردها ووضوح تجليات هويتها الفردية إلى ذات اجتماعية "معولمة" مشغولة بما يجري حولها، وتمتزج حد الانصهار مع هموم الآخر ومشاكله، باعتبار أن هذا الغير ليس سوى نظيرها في الإنسانية. بالتالي، يعتبر تبني موقف موحد تجاه نفس القضية وسيلة ضغط ناجعة تجعل من العملية الاتصالية في المجال الافتراضي قادرة على الاضطلاع بدور مركزي في التأثير إلى درجة الإقناع.

لم يقتصر التعبير الجماعي العالمي على التضامن والمساندة على قضية الجريدة الفرنسية،حيث تم استغلال نفس المضمون التفاعلي في تونس، وتحديدا في حادثة باردو، التي تلتقي مع الحادثة الأولى في نفس إشكال العنف المسلح (je suis Charlie , je suis bardo)،ما عدا تغييرا طفيفا على مستوى اختيار الخط المستخدم في الرقن، وهو تغيير لا يحدث تباينا دلاليا، ويتقاسم نفس التفسير الرمزي مع المنشور الأول.



لا يمثل اختلاف الفئة المستهدفة بالفعل الإرهابي في أي مجتمع من المجتمعات عائقا يحول دون التدخل الافتراضي، ما أدى الى تواتر الاستخدام الموحد لنفس صيغة الشعار، كلما جدت حادثة إرهابية،في مناطق مختلفة من العالم، سواء بنشره على حائط الصفحة أو اختياره كصورة شخصية أو صورة للغلاف في الحساب الخاص[57].

إن اللجوء إلى هذا الشعار ينبع من عدة دوافع، لعل أهمها الرغبة في الانصهار في القضية العالمية ليغدو المستخدم طرفا فاعلا فيها، إضافة إلى الحاجة إلى التعبير عن ردة فعله تجاه الواقعة وتفريغ الشحنة الانفعالية، كالاستنكار والغضب والحزن والخوف وغير ذلك من الأحاسيس التي يبحث لهاعن صيغة لتتبلور، ويتقاسمها مع الآخرين الذين تنتابهم نفس الحالة الشعورية، فيحصل نوع من التضامن،وتتحقق اللحمة الإنسانية في المجال الافتراضي، وهو ما يدعم ما تحدثت عنه الفيلسوفة الأمريكية نانسي فرايزر(Nancy Fraser)المتمثل في ضرورة **"تأسيس فضاءات كونية تسمح بإنتاج تضامنات على أساس واسع الأفق يتجاوز الدين والقومية والعرق"[58].**

إن التعبير باستخدام الضمير المفرد المتكلم (je suis) يؤكد أن الفرد ليس مجرد طرف محايد يستقبل الأخبار، إنما يثبت حضور ذاته في قلب الحدث، وهي ذات قادرة على التحول عبر المكان والزمان، لتؤازر وتساند. إن تبني موقف موحد تجاه قضية ما لا يعني فرض نوع من الإلزام الذي يقيد المستخدمين، ويحول دون التعبير عن التضامن بطريقتهم وإضافة بصمتهم الخاصة، لذلك سعى البعض إلى الموازنة بين الهوية الجمعية والهوية المجتمعية، وهو ما توضحه المضامين في الوثيقة التالية:

[57] انظر الوثيقة عدد13 في الملاحق صفحة 202

[58] نور الدينعلوش، تحولات الفضاء العمومي في الفلسفة السياسية المعاصرة: من هابرماس إلى نانسي فرايزر، مصدر سابق، ص57.



الوثيقة عدد14: الالتزام بنفس الشعار مع إضافة مضامين ملتصقة بالهوية والحدث



في **المضمون الأول،** تم إرفاق الشعار بالعلم التونسي كصورة غلاف، وهو رمز مباشر وملتصق بهوية المجتمع الذي شهد الحادثة الإرهابية، مع إدراج خطاب لفظي يدعو إلى ضرورة الالتفاف حول الوطن عن طريق التكاتف لحمايته من الإرهاب الذي يهدد سلامة بنيته (بوحدتنا ننتصر على الإرهاب)، وهي رسالة واضحة صريحة تقدم الحل باختصار، مع التأكيد من خلال عنوان الصفحة على هذه الوحدة (Je suis Bardo, je suis la Tunisie)، فما تتعرض له مدينة من فعل إرهابي لا يؤثر فيها وحدها، إنما يشمل تأثيره كامل المجتمع، وهو ما يعبر عن وعي جمعي يوقن بأهمية التكتل لمجابهة هذا النوع من العنف.

في **المضمون الثاني،** تم الإبقاء على صيغة الشعار أسلوبا ومضمونا وإخراجا، في الصورة الخاصة بالصفحة، مع اختيار صورة غلاف ترتبط بشكل وثيق بالمكان الذي تمت فيه الحادثة الإرهابية، في حين أن الصورة الخاصة بالصفحة، في **المضمون الثالث،** تكشف عن إحداث تغيير على مستوى اللون، نظرا لما يحمله الأحمر والأبيض من بعد رمزي، فهما نفس اللونيين الذين نجدهما في العلم التونسي، ليرمز الأحمر في هذه الحالة إلى دم الذين قتلوا في الهجوم المسلح، مع اختيار الأبيض في الخطاب اللفظي كرمز للسلام الذي يحتاجه المجتمع للتخلص من هذه الأزمة التي تعكر صفاءه،إضافة إلى إدراج صورة

فسيفسائية معروضة في متحف باردو كخلفية يتصدرها الشعار مرقونا بحروف كبيرة تمتد على الصورة بأكملها.

نلاحظ أيضا في**المضمون الرابع**سعيا إلى إدراج رمز يحمل دلالة تتعلق بمكان الحادثة،ألا وهو برج إيفل (Eiffel)لإحلاله مكان حرف من حروف العبارة (Paris)، ليغدو للكلمة دور احتضان المدينة بأسرها، مجسدة إياها من خلال أكثر رموزها شهرة، وهو يستبطن في تصميمه الهندسي الارتفاع مع الثبات، وفي ذلك إشارة إلى أن الفعل الإرهابي لم ينجح في المس من هذه القوة المجتمعيةالمستمدّة من توحد الموقف.

إذن، يمكن القول أنّ**تبني موقف موحّد تجاه قضيّة** يؤكد على التفاعل المستمر مع ما يستجد في العالم من أحداث، داعما بذلك إحداث نقلة اتصالية على مستوى التلقي والتفاعل والإنتاج الرمزي وتعدد الطرق التي تسلكها الرسالة في المجال الافتراضي.

2.2 -2 تدويل الحدث ونقله من المجال الافتراضي إلى الفضاء العمومي:

تعددت الممارسات الاتصالية الافتراضية التي يسعى من خلالها مستخدمو الفايسبوك إلى المساهمة في إرساء تواصل عابر للحدود والأوطان، في إطار عولمة القضايا الاجتماعية ومحاولة المزاوجة بين المجالين الافتراضي والعمومي، ليحصل نوع من التكامل الذي يخدم استراتيجية العملية الاتصالية التي تنطلق من الفايسبوك تخطيطا وتنظيما ليستقبلها الفضاء العمومي. نستعرض في الوثيقة التالية مثالين عن عولمة القضية بتدويل الحدث ونقله من المجال الافتراضي إلى الفضاء العمومي:

الوثيقة عدد15: عولمة القضية من خلال تدويل الحدث ونقله من المجال الافتراضي إلى الفضاء العمومي





نلاحظ، في **المضمون الأول**، التشجيع على المشاركة في الحدث (Je soutiens Charlie Hebdo) الذي تم الإعلان عنه في شبكة الفايسبوك، واعتبار الانضمام إلى المسيرة تفاعلا إيجابيا يمنح الفعل التواصلي النجاعة اللازمة للتأثير والتغيير والانتقال من طور التضامن الانفعالي إلى مرحلة المساندة الفاعلة.

مثّل**المضمون الثاني** دعوة مفتوحة موجهة إلى العالم بأسره للمشاركة في مسيرة يضمها المجال العمومي،نتيجة التجييش الاتصالي لمستخدمي الفايسبوك مع إدراج التاريخ،واستعمال العلم التونسي كخلفية، وهو استغلال رمزي يسعى إلى منح الرسالة قيمة مضافة، عبر إدراج خطاب لفظي صرّح بالهدف المرجو بلوغه، وهو تدويل الحدث ليشمل كل المجتمعات (العالم باردو)، واكتساب دعم عالمي يعزز القدرة على المواجهة.

يتجاوز الأمر تكتل الفاعلين الاجتماعيين الذي ينتمون إلى نفس المجتمع ليصبح تعاضدا دوليا، بالتالي، لم يعد المجتمع يواجه هذا التهديد الإرهابي وما ينتج عنه أعزلا، إنما يسارع مستخدمو الفايسبوك المنتمين إلى المجتمعات الأخرى للوقوف في صفه والإحاطة بأفراده ومآزرتهم،**"فالعولمة تشيرإلى صورة جديدة نجرب فيها جغرافيا العلاقات الاجتماعية"**[59]، وهو ما يضاعف حظوظ العملية الاتصالية الافتراضية في النجاح بتوطيد العلاقات وإخراج الرسالة من طور التنظير إلى التطبيق.

إن تدويل الحدث، كأسلوب تفاعلي تم اعتماده من طرف مستخدمي الفايسبوك لعولمة القضية، يتميز بدفعه للعملية الاتصالية في المجال الافتراضي والواقع الاجتماعي، للانتقال بصفة سلسة ومترابطة نحو أساليب أخرى تشترك في العمل على إرساء تواصل عابر للحدود والأوطان.

2. 2. 3- التعبئة الاجتماعية الافتراضية:

يبرز جليا أن العملية الاتصالية تشهد، منذ الانتشار الواسع لاستخدام الشبكات الاجتماعية الافتراضية، دينامية غير معهودة جعلتها تعرف تحويرات مستمرة، خاصة مع فرض العولمة لقيمها،**"ففي عصر تتشابك فيه المصالح والمصائر، وتتشكل هويات عابرة وجنسيات متعددة، كل ماهو محلي هو كوكبي وكل ماهو خصوصي هو عالمي وكل ماهو وطني هو إنساني"**[60].

[59]طونيبينيتولورانس غروسبيرغوميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة. معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، مصدر سابق، ص.520.
[60]علي حرب، ثورات القوة الناعمة في العالم العربي. من المنظومة إلى الشبكة، بيروت، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2012، ص.34.



يمكن القول أن المبادرة الفردية (نشر المستخدم لصورته رافعا فيها شعارا معينا في إطار اقتراح حملة تضامن) في شبكة الفايسبوك، تحولت إلى مجموعة من المبادرات التي نجحت، من خلال توحد الرسالة التي تضمنتها أسلوبا وتمثلا وتداولا،في اكتساب كثافة تفاعلية، ما خول الاضطلاع بدور التعبئة الاجتماعية الافتراضية، التي ترتكز على الكفاءة الإقناعية لفكرة معينة.تعددت الصفحات التي تم إنشاؤها لنفس الغرض، والرافعة لذات الشعار (I will come to Tunisia this summer)، Je passerai mes vacances en Tunisie)،(السنا كلنا معيدينفي سوسة.السنا كلنا مصيفين في سوسة...)،وتستعرض الوثيقة التالية بعض الأمثلة:

الوثيقة عدد16: التعبئة الاتصالية الافتراضية



تتدعم الروابط نتيجة الاتحاد في الأساليب والغايات، فيرتفع حجم وقيمة رأس المال العلائقي الذي يتم توجيهه لعولمة القضية نتيجة سعي مستخدمي الفايسبوك، من خلال المضامين التي ينتجونها، إلى إكساب الفعل التواصلي سمة النجاعة،ليتجسد في المجالين الافتراضي والعمومي.

في هذا السياق، يبرز التأثير القوي للافتراضي في العملية الاتصالية، حيث يمكّن من إحداث **نقلة كمية** ترتبط بالعدد الذي لا يمكن أحيانا حصره من المضامين التي يتم نشرها في الفايسبوك والمتعلقة بنفس الحادثة في حيز زمني قصير، إضافة إلى نسب التفاعل التي يتم تسجيلها، إلى جانب **النقلة النوعية،** فهي تمثلات قد تتبنى تصورا رمزيا موحدا، فيغدو بمثابة العلامة التفاعلية المسجلة المعترف بها عالميا.



إن عولمة القضية لا تعني بالضرورة الحصول على مساندة عالمية شاملة، فهناك فاعلون اجتماعيون يخرجون من هذه الدائرة الاتصالية للإعلان عن تبنيهم لموقف مختلف وتحليلهم لمجريات ما حصل بطريقة مغايرة، وهو ما يجعل الفايسبوك شبيها بالمجال العمومي، فيما يتعلق بطرح الإشكاليات والنقاش ومنح فرصة للتعبير وعرض وجهات النظر المتباينة ومحاولة الاتفاق وتبني رأي عام لا يلغي بالضرورة حقيقة الاختلافات الموجودة ولا يهمشها.

تتجلى النقلة الاتصالية في الاشتغال بعقلية تشاركية تجعل من الرأي المختلف للفرد، وإن لم يقاسمه أحد، رأيا قائما بذاته يحتل نفس مكانة الرأي الذي يشترك فيه عدد كبير من الفاعلين،وهو ما من شأنه دعم التوجه الديمقراطي التحرري الذي يشجع المستخدم على التعبير والانضمام لإنتاج الرؤى التي توضح مشاغله بشكل دقيق، وتبرز مواقفه دون فرض أو إلزام أو إقصاء لخصوصيات فردانيته،**"ولا يعني ذلك مطلقا القبول بسلوكاته الخاطئة أو مواقفه المؤذيةله وللآخرين"**[61].

في هذا الإطار، تبرز الحاجة إلى عقلنة الاتصال، وقد لعب مستخدمو الفايسبوك هذا الدور بإنشاء صفحات تتمحور حول الغرض، ونشر المضامين التي يتخذونها وسيلة لتوجيه الرسائل معتمدين على العديد من الأساليب.

2. 3- دور المضامين الفايسبوكية في عقلنة الاتصال:

إن الوعي بوجود إخلالات في العملية الاتصالية في الفايسبوك، والسعي الى تجاوزهامن خلال العقلنة، يعتبر في حد ذاته إثراء تفاعليا يساهم في تحقيقه مستخدمو هذه الشبكة الاجتماعية الافتراضية الذين لا يكتفون بالاستخدام السلبي، بل يتمتعون باليقظة التي تستوجبها الملاحظة للمرور بعد ذلكإلى المبادرة اقتراحا وتوجيها دون ضغط أو إلزام.

يتجسد ذلك في إطار احترام الرؤية التشاركية التي تفسح المجال لكل فرد بتكوين عالمه الخاص مع الأخذ بعين الاعتبار أن يتمتع هذا العالم بالمقاييس التي تخول له الالتقاء بعوالم بقية الأفراد، وإلا حكم على نفسه بالانعزال نتيجة ممارسات لا تنجح في الحفاظ على الرأس المال العلائقي، وهو ما سيتم توضيحه بشكل أكثر تفصيلا، للتعمق في فهم رمزية الأساليب المعتمدة لعقلنة الاتصال والصيغ التعبيرية والرسائل الموجهة لمستخدمي الفايسبوك خاصة وللفاعلين الاجتماعيين بصفة عامة.

[61] مصطفى حجازي، الإنسان المهدور، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، 2005، ص.54.



2. 3. 1- أساليب عقلنة الاتصال:

تم ضبط الأساليب التي ترتكز عليها عقلنة الاتصال، كمستوى آخر من مستويات مساهمة استخدامات الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية، في الرسم البياني التالي:



تشترك جميع هذه الأساليب في نفس الغاية،ألا وهي خدمة العملية الاتصالية وجعلها فعّالة ومرنةوقادرة على تمتين العلاقات،وهي محاولة للارتقاء بالفعل التواصلي من الفردانية المطلقة، التي لا تضع ضمن اهتماماتها كيفية تلقي الآخر لممارساتها الاتصالية،إلى فردانية يعبر من خلالها مستخدم الفايسبوك بحرية لا تؤثر سلبا في سيرورة التبادل العلائقي وما يتطلبه من احترام للمعايير المتفق عليها،والتي لا يمكن الحديث عن تفاعل ناجعإذا تم تغييبها لتعم الفوضى والتشويش.

2. 3. 1.1- التوضيح من خلال تقديم نموذج:

إن اللجوء إلى هذا الأسلوب لعقلنة الاتصال يمكن تفسيره انطلاقا من حاجة الفرد إلى النماذج ليتمكن من التأقلم مع محيطه، ويستجيب لمتطلبات دوره في الواقع الاجتماعي، ويتصرف على أساس الاختيارات الذاتية مع الأخذ بعين الاعتبار لانتظارات الآخرين.



تم توضيح ذلك في نظرية التعلم الاجتماعي، في إطار علم النفس المعرفي، التي ترى أن الفرد في بحث مستمر عن المعرفة التي تمكنه من تقييم وتعديل سلوكياته لفائدته الشخصية ولصالح المجموعة التي تربطه بها جملة من العلاقات، وهو ما يساهم في دعم المعايير التي تعزز وظيفية البنى المجتمعية.

استدعى أسلوب التوضيح الحضور الدائم، في جميع المنشورات، لشخصية - نموذج لا تختلف كثيرا في التصور الذي يجسد هيئتها بين الصفحات العربية والفرنسية، وعادة ما تتخذ وضعيتين، فإما واقفة أو جالسة أمام شاشة الحاسوب.

ترفق الصورة بخطاب لفظي يعرّف الشخصية، في كل مرّة، وهي وإن حملت نفس الاسم، لكنها، نموذج لفئات اجتماعية متعددة، حيث يتم استعراض أمثلة لأفراد في ظروف وأوضاع وأدوار متباينة، للتطرق إلى عدد من الشرائح التي لا تتسم بنفس الخصوصيات والتمثلات والممارسات.

الوثيقة عدد17: التوضيح من خلال تقديم نموذج متحكم في استخدامه لشبكة الفايسبوك ولوسائل الاتصال الحديثة

المضمون الأول

هذا بلال .
بلال لديه فتاة يحبها .
بلال اشترى هاتف ذكي.
بلال لم يهتم بهاتفه .
بلال يهتم بحبيبته .
بلال ذكي
كن مثل بلال

المضمون الثاني

هذا بلال
بلال توجيهي
بلال لا يفتح الفيس بوك
عندما يدرس ، بلال
خلص امتحانات واصبح
يفتح الفيس بوك
بلال طموح
كن مثل بلال

المضمون الثالث

Voici François
François a 16 ans
François ne clique pas
"je confirme être majeur"
sur des sites pour adultes
François est intelligent
Sois comme François

المضمون الرابع

Voici François
François ne partage pas sa vie
entière sur Snapchat
François est intelligent
Sois comme François

المضمون الخامس

Voici François
François va sur Facebook
avant de se coucher.
François ne reste
pas 2H dessus.
François est intelligent.
Sois comm



وضح **المضمون الأول**، عبر خطابه اللفظي، أهمية المحافظة على العلاقات المباشرة التي تربط بين الأفراد في الواقع وتجمع فيما بينهم (بلال لديه فتاة يحبها)، وهي ضرورة لا تتناقض مع حاجة الفرد إلى مسايرة التطور التكنولوجي على المستوى التقني (بلال اشترى هاتف ذكي) الذي سيستخدم لأغراض تفاعلية في وضعيات أخرى تتطلب ذلك، لكن الشخصية النموذج "تعقلن" هذا الاستخدام أثناء الاتصال المباشر (بلال لم يهتم بهاتفه. بلال يهتم بحبيبته).

لا يجب أن تطغى الأهمية التي يكتسيها الاتصال الافتراضي في إثراء الشبكة العلائقية إلى درجة تجاهل دور الاتصال المباشر، وضرورة احترام مبادئه التي تشجع على التفاعل بإيلاء الطرف المشارك في العملية الاتصالية المباشرة الاهتمام لتلقي رسائله التي لا تقتصر على الخطاب اللفظي،وإنما تستند أيضا على نوع آخر من الاتصال غير اللفظي (La communication non verbale)، فكلما اجتمع فردان أو أكثر يغدو لكل تصرف من التصرفات معنى ولكل حركة دلالة.

وهي لغة تعبر بصفة بليغة عن الانفعالات والأحاسيس، وتمنح مضمون الرسالة رمزية مختلفة،فأحيانا لا يتطابق الخطاب اللفظي للفرد مع الخطاب غير اللفظي، إضافة إلى المظهر (l'apparence) الذي يحمل بدوره بعدا دلاليا واللمس (le touché)، والصمت الذي يمكن تأويله إلى مدلولات عدة.

إن ما يزيد ترسيخ سلوكيات الشخصية النموذج لدى مستخدم الفايسبوك هو الشعور بإشباع رغبته الاتصالية من ناحية، والتوصل إلى مواجهة المواقف المختلفة في الواقع الاجتماعي، من ناحية أخرى، وهو ما تم أخذه بعين الاعتبار في **المضمون الثاني** الذي وضح فعالية التفكير المنطقي الذي يسمح للفرد أن يحسن التعامل مع التزامات الواقع اليومي، ليضمن عدم التقصير في الاضطلاع بمسؤولياته،وتبقى فرص الإبحار في الشبكة الافتراضية سانحة، متى أتم هذه الالتزامات (بلال لا يفتح الفايسبوك عندما يدرس. بلال خلص امتحانات وأصبح يفتح الفايسبوك).

بالتالي، تتمثل عقلنة الاتصال في القدرة على رسم استراتيجية تحدد سلم الأولويات فيما يتعلق بالممارسات واتباعها لتحقيق التوازن بين متطلبات الواقع المعاش والواقع الافتراضي.

يتوجه **المضمون الثالث** إلى فئة عمرية محددة (16 سنة) لتوضيح نموذج الاتصال الذي يجب الاقتداء بممارساته في الفضاء الافتراضي. قد تتملك الفرد في هذه المرحلة العمرية الرغبة في اكتشاف ما هو مجهول بالنسبة إليه، وتجاوز الحدود التي يعتبر محيطه أن اختراقها ممنوع، لكن، المجال



الافتراضي يمنحه الفرصة لتجاوز هذه التوصيات، ويتيح له زيارة ما يريده من مواقع والاطلاع على ما يشاء من مضامين حتى تلك التي تم تخصيصها لمن يكبره سنا.

يسعى هذا المضمون إلى توعية المراهق بتوجيه رسالة توضيحية تؤكد أنه صاحب القرار، وهو ما يترتب عنه ضرورة تحليه بالوعي الذي يجعله قادرا بصفة ذاتية على تحديد ما يجب الاطلاع عليه، وما يستحسن احترام التوصيات التي لا تلزمه إلا معنويا (je confirme être majeur).

إذن، يتولى المستخدم مراقبة تصرفاته بنفسه، ويضبط الممارسات الاتصالية التي تدعم علاقته بذاته وبالآخرين، وتأخذ بعين الاعتبار الأطر المرجعية التي ترتكز عليها المبادئ المجتمعية.

تستوجب عقلنة الاتصال محافظة المستخدم على خصوصية حياته الشخصية وعدم الانسياق التفاعلي الذي يدفعه إلى الكشف عنها كاملة، وهو ما بينته الرسالة التي تضمنها الخطاب اللفظي، في **المنشور الرابع**،مع التشديد على ضرورة تحكم المستخدم في طريقة تقديم ذاته والتعبير عن التمثلات،في المجال الافتراضي (François ne partage pas sa vie entière sur Snapchat) حتى يستطيع الموازنة بين حياته الشخصية وما تستدعيه من حرص على الخصوصيات، وبين تواصله في الشبكات الاجتماعية الرقمية.

نرصد تحذيرا من الإسراف التفاعلي الذي قد يولد نتائج غير مرغوبة، كاستخدام المعلومات الشخصية في التحيل والمساس بحرمة الفرد، وغير ذلك من المظاهر التي تندرج في إطار العنف الافتراضي.

إن التحكم في استخدام الفايسبوك يعني الالتزام بالحيز الزمني الذي يُخصّص للتفاعل عبر هذه الشبكة الافتراضية، وعدم تجاوزه إلى درجة يغدو فيها الفعل التواصلي خارجا عن إرادة المستخدم، حيث أشار **المضمون الخامس** إلى ظاهرة موجودة، عبر ملاحظة أن الفرد يقرر الاطلاع بصفة سريعة على المستجدات من منشورات أصدقائه والصفحات المنضم إليها، فيفتح حسابه في الفايسبوك، فيتواصل إبحاره ساعة أو أكثر.

لكن، الشخصية النموذج متحكمة في استخدامها، فهي لا تجد مانعا في تصفح الفايسبوك قبل الخلود إلى النوم، على أن لا يستمر ذلك لفترة طويلة نتيجة عدم القدرة على السيطرة على "مكابح" الإشباع لإيقاف الحاجة التواصلية.

(François va sur Facebook avant de se coucher. François ne reste pas 2H dessus)



بالتالي، تم توظيف هذا الأسلوب للتأكيد على أهمية تجاوز خلل في ظاهرة اجتماعية واتصالية معينة عن طريق دفع المستخدم إلى إجراء مقارنة بين ممارسته وسلوك الشخصية النموذج، واختيار ما يثري تفاعله بصفة ناجعة عبر عمليتي التقييم والتقويم اللتين تؤديان إلى النجاح في ضبط الممارسة الاتصالية.

2. 3. 1. 2- الإشارة إلى السلوك غير المقبول:

تم إنشاء عديد الصفحات (Sois comme Bill،كن مثل بلال...)، التي كرست جزءا من مضامين منشوراتها للإشارة إلى السلوك غير المقبول، للحث على تجنبه، توفيرا لعملية اتصالية سليمة وسلسة تحترم توقعات الآخر، وقادرة على التنبؤ بالرسائل التي تنجح في استقطاب التفاعل وتلك التي تتسبب في الإحجام والتنفير، وتتضمن الوثيقة التالية مثالا عن هذه المنشورات:

الوثيقة عدد18: الإشارة إلى السلوك غير المقبول أثناء العملية الاتصالية الافتراضية



يرتبط المضمون بممارسة اتصالية متعلقة أساسا بالتطبيقات التي يوفرها موقع الفايسبوك،ومن بينها الألعاب التي تقترح، من خلال توجيه رسالة، دعوة صديق أو أصدقاء معينين أو حتى كل الأصدقاء في القائمة للعب أيضا، وهي خطة تسويقية تهدف إلى استقطاب المزيد من مستخدمي الفايسبوك وإقناعهم بمزايا هذه التطبيقات وما تقدمه من خدمات ترفيهية.

يوازن الخطاب اللفظي في المضمون بين حريتين، فهو يلتزم بحرية كل فرد في اللعب في شبكة الفايسبوك، وحرية الآخر التي يجب احترامها، من خلال عدم فرض اقتراحات للانخراط في ممارسة



افتراضية معينة. بالتالي، هناك اكتفاء بالإشارة إلى ما هو مقبول بصفة مباشرة وإلى ما هو مرفوض بشكل ضمني، تقديما لحل يضمن عملية اتصالية تستجيب لمتطلبات الطرفين.

تعددت الرسائل التي تستبطن إشارة إلى الممارسات غير المقبولة في الشبكة الافتراضية،والتي كلما تجنبها المستخدم حافظ على سلامة علاقاته التي ترتكز عليها العملية الاتصالية الافتراضية[62]،من بين هذه الممارسات عرض صور الجرائم والجثث، التي قد يكون مضمونها صادما لبعض أصدقائه في القائمة، ويحدث تأثيرا سلبيا في نفسيتهم، ويسعون إلى تجنبه بعدم الاطلاع إراديا على هذه المنشورات لكنها،تعترضهم أثناء تصفحهم، نتيجة فرض الآخرين لها من خلال النشر، فيحدث نوع من الاضطرار لرؤيته، وإن لحيز زمني وجيز، إضافة إلى الإشارة أن النشر العشوائي للصور التي لا يتسم مضمونها بالأهمية، كبيان حالة الطقس كل خمس دقائق، تصرف غير مقبول،لأنه بمثابة الحشو الاتصالي الذي لا جدوى منه، فهو يهدر وقت صاحبه في نقل ما هو معروف أساسا من طرف البقية،إضافة إلى التكرار بتقديم نفس المعلومة، وهو ما يجعل من الرسالة منفرة.

في نفس السياق، تتجنب الشخصية النموذج تعمد إجبار الآخرين على التفاعل بتشريكهم في منشور وإرفاق أسمائهم به (Tag)، وإن لم تكن لهم علاقة بالموضوع، وهو شكل من أشكال المساس بحرية الآخر وخصوصيته، ونوع من الاعتداء على حقه في اختيار توجهاته الرمزية.

تجدر الاشارة إلى أن مضامين الصفحات العربية والغربية قد تعالج نفس الموضوع بتحميل الرسائل الموجهة دلالات مختلفة[63]، إذ لا تتعامل مع السلوك غير المقبول من نفس زاوية النظر، فمثلا مسألة شرب الخمر، تم تناولها في مضمون الصفحة العربية من ناحية أخلاقية (لا يجد إلا أصدقاء السوء. سكير).

بالتالي، هناك تعامل قيمي نابع من المبادئ الإسلامية التي تُتّخذ كمرجعية لتحديد الممارسات المقبولة والمرفوضة، في حين طرح الموضوع في الصفحة الغربية من وجهة نظر أخرى، فالسلوك غير المقبول ليس شرب الخمر، إنما التقاط الشخص، الذي شرب كثيرا لصوره وهو يستفرغ، ونشرها في الشبكات الاجتماعية الافتراضية.

[62] انظر الوثيقة عدد 19 في الملاحق صفحة 203.
[63] انظر الوثيقة عدد 20 في الملاحق صفحة 203



إذن، تمت معالجة الموضوع من الناحية الاجتماعية وضرورة احترام الآخر وعدم نشر صور تسبب له نوعا من الانزعاج والاشمئزاز، وهو ما يتطلب الالتزام بالحد الأدنى من التصرف المجتمعي،حسب المبادئ المتفق عليها لضمان التعايش.

تباينت مضامين الرسائل أيضا فيما يتعلق بمسألة العلاقة بين الأنثى والذكر، ليتم الإشارة في المضمون باللغة العربية إلى السلوك غير المقبول بصفة ضمنية غير تصريحية، وإنما التأكيد على ضرورة الالتزام بالقيم الأخلاقية التي ترتكز عليها الشريعة الإسلامية وعدم تجاوز العلاقة العاطفية حدودا معينة (بلال يحب صديقته. بلال ينتظر)، والسعي أن تكلل بالارتباط الشرعي أي الزواج (الحلال أجمل)، في حين أن المضمون باللغة الفرنسية لم يتطرق إلى هذه المسألة من هذا المنطلق، وإنما أشار إلى سلوك اجتماعي غير مقبول، وهو تعدد العلاقات التي ترتكز على تلبية الرغبات الجسدية لا غير.

إن هذه الأمثلة من المضامين، التي تتشابه مواضيعها وتختلف رسائلها، تمنح رؤية ثنائية لعقلنة الاتصال:**أولا،** قد تتوحد ليكتسي السلوك غير المقبول سمة الشمولية، ما يعطي حظوظا أوفر لتجنبه وتجاوزه،وينعكس ذلك إيجابا على سيرورة العملية الاتصالية، في شبكة الفايسبوك، نظرا لإجادةكل مستخدم لعب دور الآخر، بعد الإحاطة بتوقعاته والتنبؤ بالممارسة التي من المستحسن الاستغناء عنها لصالح التفاعل.

ثانيا، تمنح الرسالة فكرة حول خصوصية المجتمع، لتضمن استقبالها من طرف المستخدمين، الذين يتواصلون انطلاقا من مخزون رمزي معين، يحدده سياقهم الاجتماعي القائم على جملة من الضوابط والالتزامات،وهو ما يؤمن لأسلوب الإشارة إلى السلوك غير المقبول بلوغ الغاية التي استخدم من أجلها، محدثا ارتقاء على مستوى الوعي الذي يسعى إلى اكتساب ملكة التعديل الذاتي، سواء ارتبط الأمر بالممارسات الاتصالية في الفايسبوك أو في الواقع الاجتماعي.



2. 3. 1. 3- النقد:

نرصد النقد الموجه للممارسات أثناء عملية الاتصال الافتراضية، وكيفية استخدام واستغلال للأساليب التفاعلية المتاحة من طرف الفايسبوك من خلال بعض الأمثلة المدرجة في الوثيقة التالية:



الوثيقة عدد21:نقد الممارسات الاتصالية في شبكة الفايسبوك الافتراضية

إن الاطلاع على فحوى الرسائل التي تضمنها كل منشور من هذه المنشورات، يمنح فكرة مبدئية حول تقاسمها لموضوع نشر الصور الشخصية على صفحات الفايسبوك،ومن بين التطبيقات الخاصة بالصور انستغرام (Instagram).

ليس استعمال التطبيق هو محل النقد، في **المضمون الأول**، إنما بحث المستخدم على الحصول على أكبر عدد ممكن من الإعجاب(j'aime) على الصور التي ينشرها. بالتالي، ما تم نقده هو الممارسة الاتصالية التي قد تنحرف عن الموضوعية من أجل تحقيق هدف معين، وتكوين صورة اجتماعية افتراضية وتقديمها للآخرين، حتى إذا استدعى الأمر تزييف علاقة الفرد بذاته، والتستر عن ذلك بإكسابها خصوصيات أخرى وتضخيم تأثيرها ونجاحها في نسج شبكة علاقات واسعة.

تطرق **المضمون الثاني** إلى مسألة نشر "صور أطباق الأكل" الذي يكون الفرد بصدد تناوله، سواء في منزله أو في الأماكن العامة، ونقد هذه الممارسة ضمنيا فيه تذكير بالسلوك الاجتماعي القائم على احترام جميع فئات المجتمع، خاصة منها تلك الفقيرة التي بالكاد تحصل على قوت يومها، وإذا ما اطلعوا على صور تعرض أطباقا عامرة يعجزون عن التمتع بها لضيق ذات اليد، قد يتعمق إحساسهم بالحرمان الذي يولد نوعا من السخط والنقمة على نظام اجتماعي لا يوفر لهم ما هو متاح لغيرهم.

ارتبط النقد، في **المضمون الثالث**، بنشر بعض المستخدمات للشبكات الافتراضية صورا يبرزن فيها أجسادهن عارية تقريبا، للحصول على التفاعل الذي يعبر عن الإعجاب (j'aime) ولشد الانتباه إليهن عن طريق هذه الممارسة،مخترقاتللضوابط الاجتماعية المتفق عليها، وهو تجاوزا قد يكون في بعض الأحيان سلبيا، لأن صاحبته تعرض جسدها كسلعة تريدها أن تحظى بأكبر قدر ممكن من الاهتمام والتهافت التفاعلي.

في نفس السياق، نلاحظ عدم الاكتفاء بالنقد وتقديم السلوك الذي يعتبر مقبولا من الناحية الاجتماعية، إنما هناك محاولة لإحداث مصالحة بين الفرد وذاته عبر التحذير من الحط من قيمتها (Julia sait déjà qu'elle a de valeur)،ووجوب منحها ما تستحق من احترام، باعتبار أن نظرة الإنسان لنفسه هي التي تحدد كيفية نظر الغير له، وكلما تعززت هذه الثقة (Julia se respecte)،فرضت على الآخرين معاملتها بالمثل والإعجاب بشخصها بصفة عفوية وكردة فعل غير مصطنعة، دون الحاجة إلى اللجوء إلى أساليب تمنحها إعجابا مؤقتا ومشروطا.

لم يتعلق النقد بنشر الصور في حد ذاته، وإنما كيفية استخدام هذا الأسلوب التعبيري كما ونوعا[64]، حيث تحولت هذه الممارسة الاتصالية الافتراضية إلى نوع من الهوس التفاعلي الذي لا يلتزم فيه المستخدمون في بعض الحالات بحدود المنطق، إلى درجة عدم القدرة على الاكتفاء بصورة واحدة،إنما نشر عدد كبير منها يتعلق بنفس الموضوع، وتحمل نفس الدلالات تقريبا أثناء تواجد الفرد في حفلة (بلال ذهب ليحتفل ولم ينشر 50 صورة في الدقيقة) أو التقاط الأم لصور كثيرة لطفلها، ولا تكتفي بالنشر مرة واحدة في اليوم،بل مرات عدة في فترات زمنية متقاربة

(Camille viens d'avoir un enfant. Camille ne met pas des photos de son bébé toutes les 5 minutes sur Facebook)

ترمي هذه المضامين إلى حث مستخدم الفايسبوك على تحليل تمثلاته الاتصالية قبل تطبيقها بالممارسة وتفعيلها افتراضيا، وعدم الانسياق العشوائي للانفعالات الأولية التي تمليها الذات مولدة الرغبة في الإعلان عن نفسها بطريقة تستحوذ على التفكير العقلاني سعيا لتغييبه.

يهدف نقد الاستخدام المفرط للصورة، كأسلوب تفاعل في الفايسبوك، إلى عقلنة الاتصال وإحداث نوع من التوازن بين الواقعي والافتراضي، وعدم تغليب كفة التواصل عبر الشبكة الاجتماعية على حساب معايشة اللحظة الراهنة بتفاصيلها (بلال يعلم أن من يستمتع لن يكون عنده وقت للصور)، فالشخصية في

[64] انظر الوثيقة عدد 22 في الملاحق صفحة 204



هذه الوضعية منغمسة في الاستمتاع بالرياضة التي تمارسها وليس في عرض صور قيامها بالرياضة (

.(Camille va au gym. Camille fait des exercices au leu de prendre deselfies

يؤكد النقد على ضرورة أن يوجه الفرد اهتمامه للمواقف والتجارب الحياتية، وما تولده في نفسه من مشاعر، ويوليها تركيزا حسيا وإدراكيا، وعليه تعلم التفاعل مع ذاته دون قرننجاحه في ذلك بمدى تفاعل مستخدمي الفايسبوك مع الصور،حيث يمنح الآخرين دور التقييم من خلال نسب الإقبال أو الإحجام.

قد يذهب المستخدم إلى أبعد من انتظار التفاعل "الإيجابي" مع الصور التي ينشرها، وإنما يتعمد قبل تنزيلها على صفحته أن يدرج أسماء أصدقائه في القائمة،(identifier) وهو ما ينبههم أنه تم إيراد اسمهم في مضمون معين، فيدفعهم ذلك إلى الاطلاع لاستجلاء الأمر.

يعتقد مستخدم الفايسبوك، الذي يورد أسماء أصدقائه في مضمونه،أنه كلما قام بتعيين عدد أكبر منهم، ارتفعت حظوظه الاتصالية للحصول على مزيد من الإعجاب، وهو ما تم نقده وبيان أن هذا السلوك الاتصالي لا جدوى منه، إذا لم تربط من تضاف أسماؤهم علاقة فعلية بموضوع الصور المنشورة، (
Camille poste une photo sur Facebook. Camille n'identifie pas 1000 personnes pour avoir assez de like)

بالتالي، ترك حرية اتخاذ القرار التفاعلي للمستخدمين، مع استبطان أن غياب التفاعل لا يعني بالضرورة وجود إشكال تواصلي كالتجاهل أو الرفض أو الاستهجان.

إن هذه الوفرة في الرسائل تبرز أمرين:**أولا**، ما تكتسيه الظاهرة من أهمية، و**ثانيا** ضرورة عقلنة هذه الممارسة عبر التركيز على نقد مظاهرها بصفة مستمرة، للإقناع باتباع السلوك الاتصالي الذي يعزز علاقة المستخدم بذاته وبالآخرين.

2. 3. 1. 4- المقارنة:

يسعى القائمون بالاتصال في الصفحات التي خصصوها لنشر مضامين تتمحور حول ممارسات الأفراد،إلى دفع العملية الاتصالية للارتقاء المستمر، من خلال تجاوز كل ما من شأنه عرقلة ديناميتها من اختلالات قد تهدد العلاقات الاجتماعية.



في هذا السياق، تم اللجوء إلى أسلوب المقارنة في صياغة الخطاب اللفظي الذي اشتملت عليه بعض المضامين، وتم إدراج مثال في الوثيقة التالية:

الوثيقة عدد23: عقلنة الاتصال: اعتماد أسلوب المقارنة



نلاحظ حضور شخصيتين، كما تم استعمال ألوان مختلفة في رقن الخطاب اللفظي، لمنح الرسالة ما تحتاجه من رمزية قادرة على تحقيق الغاية المتمثلة في المقارنة بين ممارستين اتصاليتين مختلفتين، والدعوة إلى اتباع الشخصية التي تهتم بعلاقتها مع الآخر والمحافظة عليها عبر التفاعل، وتجنب الاقتداء بالممارسة الاتصالية للشخصية الثانية (جعفر أثناء زيارة أقاربه استمر في اللعب على الجوال ولم يهتم بأقاربه وكأنهم غير موجودين).

إذن، يمكن القول أن المقارنة بين نقيضين، كأسلوب لعقلنة الاتصال،تسعى إلى الإحاطة قدر الإمكان بمختلف الممارسات الاتصالية التي يمكن معاينتها في الواقع الاجتماعي وعدم الاكتفاء بذكرها،بل أيضا تأكيد الحاجة إلى اتباع ما يخدم التواصل المباشر، نظرا لما يكتسيه من أهمية لا يجب على الفرد تجاهل قيمتها التفاعلية، إلى حد توجيه كامل رأس ماله العلائقي نحو البعد الافتراضي على حساب روابطه في الواقع.

2. 3. 1. 5- التشجيع:

يتسم أسلوب التشجيع بالازدواجية التي تتكامل نظرا للهدف المشترك، فهو تشجيع للاقتداء بالشخصية النموذج إذا كان سلوكها مستحسنا (Sois comme,...)، وتشجيع لتجنب التصرف بصفة مماثلة لهذه الشخصية إذا كانت ممارستها غير مقبولة، ولا تدعم العملية الاتصالية، سواء في علاقة الفرد بذاته أو بالآخرين (Ne sois pas comme...,).



أ- التشجيع على حسن التعامل مع المواقف في الواقع الاجتماعي:

يستعرض الخطاب اللفظي وضعية معينة مبرزا السلوك الذي اختارته الشخصية النموذج، لتكون ممارستها، في مرحلة لاحقة، محل استحسان أو استهجان حسب الإستراتيجية التواصلية التي اتخذتها كل صفحة لتبليغ رسائلها، ليتم على أساس ذلك تشجيع مستخدم الفايسبوك، إذا كانت الوضعية التي يعالجها المضمون مرتبطة بالفضاء الافتراضي وشبكاته الاجتماعية، أو الفاعل الاجتماعي إذا تطرق الخطاب اللفظي إلى ممارسة تتعلق بالمعيش اليومي وعلاقات الفرد المباشرة في الواقع.

ندرج في الوثيقة التالية مضمونين للوقوف عند خصوصية أسلوب التشجيع ومساهمته في عقلنة الاتصال، من خلال تركيز الرسائل على ضرورة حسن التعامل مع المواقف في الحياة الاجتماعية، وعدم الاكتفاء بعرضها في الفايسبوك:



الوثيقة عدد 24: التشجيع على حسن التعامل مع المواقف في الحياة الاجتماعية وعدم الاكتفاء بعرضها في الفايسبوك

تتسم جملة (كن مثل بلال) بكثافة الحضور، فهي تمثل عنوان الصفحة، وتتكرر في نهاية كل خطاب لفظي في أغلب المضامين، لتسجل حضورها كرسالة مختصرة مرفقة بالمنشور، وهي وإن وردت في صيغة الأمر، إلا أنها لا تدل على الإجبار، إنما تهدف إلى الحث على الاقتداء بالشخصية.

لا يعني ذلك تخلي الفرد عن خصوصياته، والتماهي مع الآخر من حيث الممارسات إلى حد تلاشي قدرته على اتخاذ القرار أثناء مواجهته للوضعيات المختلفة، إنما يقتصر التشجيع على اتباع الشخصية في تجنبممارسات معينة برزت مظاهرها في شبكة الفايسبوك وانتشرت، ليقوم بها عدد كبير من المستخدمين إلى أن غدت متداولة بصفة ملاحظة، وإن تفاعل معها البعض بعدم الاكتراث، فهناكمن عبّرعن استنكاره لها.



نتج عن تغلغل استخدام الفايسبوك في الممارسة اليومية للفرد إدماج الواقعي في الافتراضي عبر عرض الخصوصيات ونشر التفاصيل، ما وفر مجالا لتقديم الذات ودعم حضورها وإكساب ما تقوم به أهمية لدى صاحبها ولدى الآخرين، وهو ما من شأنه إحداث تناسق بين الواقعين باعتبار أن كل منهما يؤثر في الآخر بطريقة ما.

قد يتجاوز الأمر هذا الحد، ليبلغ درجة التداخل واكتفاء الفرد بالتعامل مع المواقف الحياتية بعرضها في الفايسبوك، إلى درجة تجاهل الحلول الملموسة التي تغنيه عن اللجوء إلى الاتصال الافتراضي،الذي قد يمنحه ما يحتاجه من إشباع عاطفي، لكن، لا يمكن اعتباره بديلا عمليا (بلال مصاب بمرض الزكام. بلال لم يكتب على الفايسبوك يشعر بالمرض).

إن الاكتفاء بنشر هذه العبارة أو التعود على عرض كل مشكل أو أزمة يمر بها الفرد على المستوى الشخصي وانتظار الحصول على التفاعل، قد يدلعلى نوع من الضعف وعدم ثقة المستخدم في مكانته وحاجته المستمرة للآخرين لتأكيدها، والسعيإلى أن يكون محور الاهتمام على أوسع نطاق ممكن، بماأن التعزيز لا ينبثق من الداخل،وقدلا يكتفي بمحيطه الضيق، إنما يتجاوزه للفايسبوك الذي يتمتع فيه بشبكة علائقية كبيرة.

في هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أن الفرد، إذا لم يتحكم في نداء هذه الحاجة الانفعالية، واستجاب لها بصفة غير مشروطة، قد يفقد السيطرة، إلى درجة نبذ مواجهة الواقع والانغماس في الافتراضي، رغم أن المواجهة بسيطة (بلال ذهب للطبيبوشرب الدواء). بالتالي، يجب علىالفاعل التحلي بالذكاء الاجتماعي (بلال ذكي) الذي يخول له حسن التعامل مع المواقف المختلفة، دون إلزامية عرضها على الفايسبوك للحصول على الإشباع المعنوي،الذيقد يتحول، إذا لم يتحكم في ضوابطه، إلى "نهم" تفاعلي، لذلك تم اعتماد أسلوب التشجيع للاقتداء بالشخصية(كن مثل بلال) التي تصرفت بشكل عملي.

قد يجد البعض متنفسا في الاتصال الافتراضي للتعبير عن الحالة النفسية أوالانفعال الناجم عن وضعية معينة، وعدم الرغبة في التصريح بها أثناء العملية الاتصالية الافتراضية مع الآخر الذي يستفسر مطالبا بالتوضيح، ليحدد التفاعل المناسب الذي يستجيب لمتطلبات الرسالة التي عبرتعن غضب أو استياء مثلا،لكن صاحب المنشور يكتفي بإجابة للطمأنة دون تفسير سبب تعكر حالته النفسية، (je suis vraiment écœuré mais je peux pas Vous dire pourquoi).



لجأت الشخصية النموذج، في **المضمون الثاني،** إلى الاتصال المباشر الذي يضمن لها حلا ممكنا أو يتيحلها تعديل مزاجها وتحسين حالتها النفسية،ألا وهو محادثة صديق عوض نشر خطاب لفظي في الفايسبوك يكتفي بالإعلام دونفسح المجال للآخر بالتفاعل، نظرا لإبقائه الوضعية مبهمة:ارتكز المضمون على الإثبات، وهو ما جعل إيراد الحل يسبق الممارسة الاتصالية الافتراضيةغير المستحسنة، وهو تشجيع ضمني على عقلنة الفعل الاتصالي، قبل القيام به واختيار الأجدى من بين الأفعال التواصلية المتاحة للفرد.(Simon choisi d'appeler son meilleur ami pour en parler au lieu de mette un statut louche).

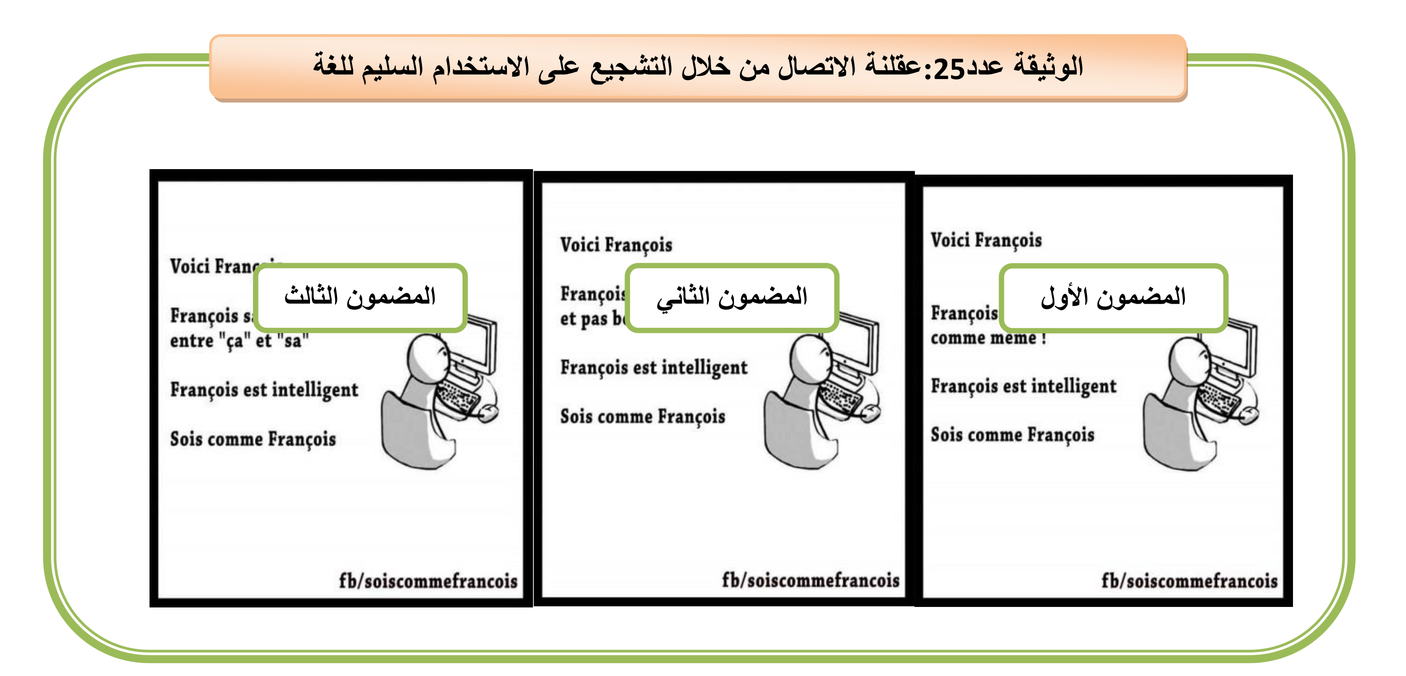
هناك تشجيع على تجاوز الخلل النفسي الذي قد ينتاب الفرد إلى درجة استحواذه على تصرفاته الاتصالية، وحث على تعزيز دور العقل للنجاح في التحكم في هذه الممارسات التي بمجرد إخضاعها للمنطق، يكتشف الفرد أنه ليس بحاجة إليها لتوطيد علاقته بذاته والتثبت من رأس ماله العلائقي الافتراضي،في كل مرة يواجه فيها مشكلا.

نلاحظ تشجيعا مخالفا للمعهود،والذي يتم تتويج الوضعية به كاستنتاج يتمحور حول سلوك الشخصية النموذج، ليتم وسمها هذه المرة، انطلاقا من ممارستها، بالتوازن (Simon est équilibré) وذلك لقدرتهاعلى عقلنة اتصالها وبحثها عن حل ملموس عوض الانسياق لانفعالاتها.



ب-التشجيع على الاستخدام السليم للغة:

اضطلع أسلوب التشجيع بدور الحث على الاستخدام السليم للغة أثناء عملية الرقن في الفضاء الافتراضي، وهو ما تطرقت إليه بعض المنشورات في الصفحات المخصصة لعقلنة الاتصال، وتضمنت الوثيقة التالية بعض الأمثلة:



نجد الشخصية في وضعية إبحار، بما أنها جالسة أمام شاشة الحاسوب، مع التأكيد على عدم وقوعها في أخطاء الرسم، إذا تماثل لفظان في نطقهما شفاهيا واختلفا في طريقة كتابتهما ومدلولاتهماإلى درجة يتسبب فيها الخطأ في تجريد العبارة من المعنى (quand même - comme même).

تؤكد الشخصية على معرفة الفرق بين المدلول المختلف لضميرين أحدهما يفيد الإشارة والآخر الملكية (ça et sa)، وإحاطتها بقواعد الربط بين النعت والاسم وضرورة أن يتبعه، إذا كان مذكرا أو مؤنثا أو في صيغة الجمع، وقد تم إيراد مثال على ذلك عبارة متداولة كثيرا لحاجة المستخدم لها كي يرجو لأصدقائه في شبكة الفايسبوك ذكرى ميلاد سعيدة، وهو ما يجعل من المستحسن أن يرسل الخطاب اللفظي صحيحا من الناحية اللغوية:(bon anniversaire et pas bonne anniversaire) .

نستخلص وعي القائم بالاتصال بأهمية اللغة الأم والتي لا يجوز تهميشها، إنما تحتاج إلى الحفاظ عليها كخصوصية حضارية ورمزا من رموز الهوية الذاتية والجمعية، ووجب إتقان قواعدها حتى يكون الخطاب اللفظي قادرا على إيصال المعنى، إذن، هناك دعوة إلى ضرورة التبادل السليم الذي يضمن للغة



البقاء، وعدم زعزعة دعائمها نتيجة استسهال الخطأ بتعلة الاختصار أو قدرة الآخر على فهم الرسالة وفك ما ورد فيها من رموز لا تتوافق مع ما يحتاجه المبنى ليكتمل المعنى.

تسعى هذه المضامين عن طريق **التوضيح من خلال تقديم نموذج** و**الإشارة إلى السلوك غير المقبول** و**النقد** و**المقارنة** و**التشجيع**، إلى إحداث نقلة على مستوى العملية الاتصالية، في الواقع الاجتماعي وفي المجال الافتراضي، عبر رسائلها التي تسعى إلى تعديل أو تغيير أو تجاوز سلوك معين، وإقناع الفرد بأنه لا يخدم مصلحته ويهدد رأسماله الرمزي والاجتماعي.

تتقمص الشخصية النموذج الأدوار الاجتماعية التي يلعبها الفرد في واقعه من خلال اتصاله المباشر أو الافتراضي، وهو ما يجعلها تنجح في الاقتراب من المستخدمين، باعتبار أن كل شخصية تمثل عينة من المجتمع من حيث ممارساتها، وتجسد وضعيات مستمدة من اليومي، وترصد تصرفات تتكرر بصفة لافتة.

نستخلص أن خصائص المضمون على **مستوى المبنى** تدعم الرسالة على **مستوى المعنى**عبر تقديمها بشكل بسيط وواضح، وفي نفس الآن، ثري رمزيا وناجع في إحداث التأثير عبر توجيه رسائل توازن بين جانبين أساسيين لا يمكن الاستغناء عنهما في كل عملية ذهنية يقوم بها الفرد، ويتمثلانفي الجانب النفسي الانفعالي بما يتسم من تقييم حسي وعاطفي والجانب العقلاني بما يحتاجه من قوة الحجة حسب مقتضيات المنطق ومبادئ الموضوعية.

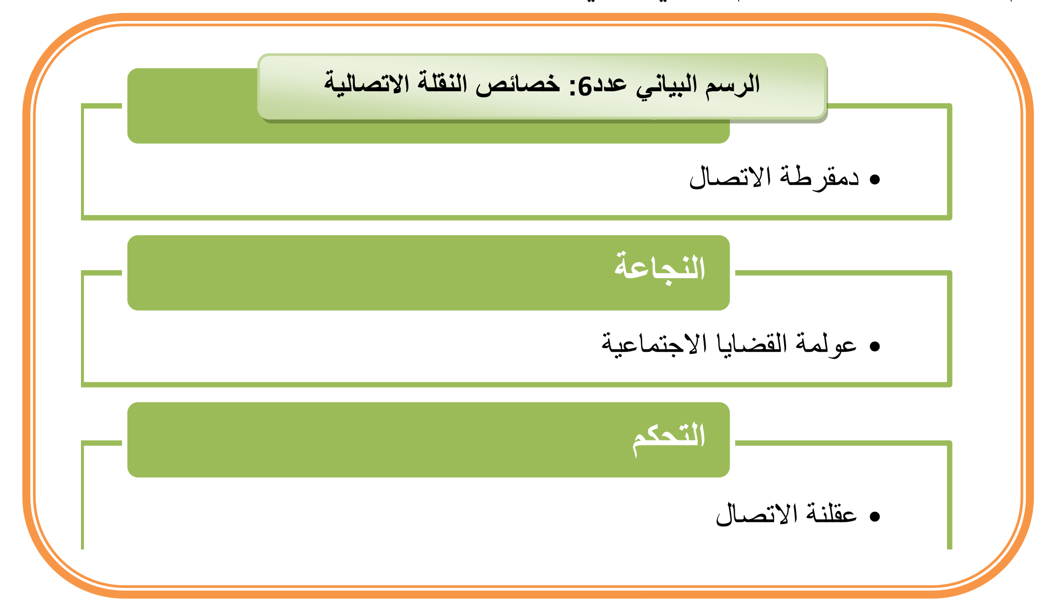
تتباين ردود الفعل بين تأييد قد يستثمره المستخدم بنشر المضمون للتأكيد على أهمية فحواه، ويستغله آخر لتعديل تصرف ما أو يتخذ قرارا بالتوقف عن ممارسة اتصالية محددة، وبين رفض بحجة عدم تقييد حرية الأفراد وفرض ممارسات معينة ولعب دور الوصاية والوعظ والإرشاد. هناك من يحبذ المحافظة على الحياد باعتبار أن الرسالة لا تعنيه، أو لا يعلن موقفه من مدلولاتها.



2. 4- استنتاج: خصائص النقلة الاتصالية على مستوى الأساليب والمضامين:

إن تحليل مساهمة استخدامات الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية والوقوف عند أبرز العوامل والمظاهر، يدفع إلى القول أن هناك سعيا مستمرا إلى إرساء رؤية تفاعلية تتميز بما تقترحه من أساليب تمنح الفرد فرصة بلورة تمثلاته والتعبير عنها لإثبات فردانيته من جهة، وتدعيم حضوره كذات فاعلة تضطلع بدور في النقاش العام الدائر في الواجهة الافتراضية العالمية حول القضايا المجتمعية على أوسع نطاق من جهة أخرى، مع الأخذ بعين الاعتبار المحافظة على سلامة العملية الاتصالية واحترام المبادئ الجوهرية للفعل التواصلي بأبعاده العلائقية التي ترتبط بالذات والآخر والمجتمع.

في هذا السياق، يمكن أن نستشف أن كل عامل من عوامل إثراء العملية الاتصالية يتسم بخاصية معينة، وهو ما تم تحديده من خلال الرسم البياني التالي:



2. 4 .1- خاصية الوفرة:

إن دمقرطة الاتصال التي رسختها مواقع التواصل الافتراضي، كضرورة تفاعلية ودعامة اجتماعية، استفادت من التحولات المتلاحقة لتكنولوجيات الإعلام والاتصال التي لا يقتصر دورها فيما تحدثه على المستوى التقني من تطورات تتسم بإنتاج غزير كمّا.



تكمن الأهمية في استراتيجية تطويع هذا التطور، المرتكز على الوفرة، كخطة عمل تؤكد على القيمة المضافة التي تنجمعن تحقيق المطامح المنطلقة من الشخصي لتتجاوزه إلى الكوني، مفسحة المجال للفرد لتجسيد أفكاره وإثراء رأسماله الرمزي،عبر توفير أساليب تفاعلية مؤسسة لأشكال مختلفة في التعبير.

2. 4 .2- خاصية النجاعة:

يحتاج الارتقاءبالعملية الاتصالية إلى حسن توظيف الوفرة الأسلوبية لضمان النجاعة التي تساهم في الانفتاح على العالم بأسره، وتوسيع الفرد لشبكته العلائقية التي يلتقي فيها مع الآخر، ويثمن اختلافه كمكسب يثري مخزونه الرمزي، ويدعم هويته الجمعية.

وفرت استخدامات الفايسبوك، المجال للاطلاع على مختلف القضايا وإخراجها من سياقها الضيق، وتشكيل موقف موحد تجاهها، في نطاق مواطنة عالمية، يتم من خلالها مواجهة كل ما يمثل تهديدا للبنى المجتمعية، وتشكيل جبهة دفاعية تشترك في رفضها للعنف بمختلف أنواعه ومظاهره،وتهدف إلى تحقيق قيم التعايش السلمي.

لا يقتصر تفاعل الفرد،أثناء تواصله عبر شبكة الفايسبوك، على مشاغل مجتمعه فحسب، إنما يهتم بالقضايا والمستجدات في العالم، ويسعى إلى المشاركة، خاصة إذا كانت المسألة المطروحة تتعلق بالمساس بالمبادئ الأساسية التي ترتكز عليها الإنسانية.

وهو ما يجعل الرسالة أكثر قدرة على تحقيق غاياتها التي لا تتوقف عند حدث معين، إنما تتسم الجهود بالاستمرارية من أجل إزاحة العراقيل التي تولّد الأزمات الاتصالية،**"وفي مجتمع عالمي حتى الآن يحاول أن يحقق المطامح المنفتحة كونيا للصداقة على الإنسانية بأسرها، قد تصبح كلمة "المجتمع" مرة أخرى أرقى كلمة للاجتماع الإنساني".**[65]

2. 4 .3- خاصية التحكم:

لا تتحقق النقلة الاتصالية إلا بتحكم الفرد في ممارساته، أي تطويع الوفرة لصالح النجاعة، وهو ما يتطلب عقلنة الاتصال، في شبكة الفايسبوك وفي الواقع الاجتماعي،أثناء عمليات التفاعل التي يجسد عن طريقها حاجته للاتصال كأسلوب تبادل وآلية تعبير وحاجة نفسية وضرورة اجتماعية.

[65]طوني بينيتولورانس غروسبيرغوميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة. معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، مصدر سابق، ص.598.



تتجلى مسؤولية كل مستخدم في حسن التصرف بالطريقة التي تضمن للعملية الاتصالية إثراء تصاعديا، وتعديلا دائما، للتمكن من التجاوز النسبي لل"الانجراف" التفاعلي أو الغموض الرمزي وغير ذلك من المشاكل التفاعلية، ف**"الاتصال في جوهره هو علاج لعيوب معارفنا وترابطنا، لكنه، أيضا العلاج الوحيد لعيوبه الخاصة، بالتالي، لا يمكن أن نأمل في أن يحقق الاتصال كمالا مهما كان نوعه"**[66].

إذن، تتسم النقلة الاتصالية بخصوصية الأساليب التفاعلية التي استغلها الأفراد للتعبير عن ذواتهم،ودعم رأسمالهم العلائقي والتأثير في واقعهم الاجتماعي وتكوين رأي عام عالمي، مع الإقرار بضرورة التمتع بالحرية في الممارسات الافتراضية من خلال اختيار الأساليب الملائمة لبلورة التمثلات، مع الأخذ بعين الاعتبار للضوابط التي تستجيب لتوقعات الآخرين.

في هذا السياق، نشير أن الحديث عن إثراء اتصالي في بعديه الكمي والنوعي لا يعدو أن يكون سوى مستوى من مستويات تأثير استخدام الفايسبوك، ويجب الوقوف عند المستويات الأخرى وتحليل مظاهرها وانعكاساتها.

3- مساهمة الأساليب التفاعلية للفايسبوك في إحداث خلل اتصالي

3. 0- تمهيد:

إن النقلة لا تعني بالضرورة التحسين والتطوير، إنما تؤكد في جوهرها على عدم الثبات في وضعية محددة، وتقوم على تغيير مستمر يتماشى مع ما يشهده السياق التقني، من ناحية، من تحولات متتالية، وما يعرفه السياق الاجتماعي، من ناحية أخرى، من أحداث لا تنفك تطرح القضايا في المجالين العمومي والافتراضي، دون أن ننسى دور الفاعل الاجتماعي، في هذين السياقين، ورؤاه المختلفة في التعامل مع الانفتاح الكوني على جميع المجتمعات بحضاراتها التي تتآلف وتتباين خصوصياتها.

خول الاطلاع على بعض منشورات صفحات الفايسبوك رصد العديد من الظواهر التفاعلية، وتم تحديد العاملين البارزين اللذين ساهما في إحداث خلل يؤثر في العملية الاتصاليةفي الرسم البياني التالي:

---

[66]Claude Gueguen, "Une société de l’information par la technologie, entre inquiétude et espoir",*Communication et langages*, n°107, 1er trimestre, 1996, France, Armand Colin, p.33.





سنحاول الإجابة عن تساؤلين أساسيين:

أولا، كيف يمكن أن تتحول وفرة أساليب التفاعل في شبكة الفايسبوك من مكسب اتصالي يفسح للفرد المجال لبلورة أفكاره والتعبير عنها، إلى عامل من عوامل التأثير السلبي في ملكة التفكير السليم؟

ثانيا، هل يملك مستخدمو الفايسبوك الكفاءة الاتصالية اللازمة لتحديد المنهج الملائم الذي يجب اتباعه، من خلال تطويع أساليب الفايسبوك التفاعلية لخدمة الأهداف الذاتية والاجتماعية، عبر تحكمهم في آليات الإنتاج والانتقاء؟

3. 1- تراكم أساليب التفاعل:

3 . 1. 1- انقسام آراء الباحثين حول تأثير تراكم أساليب التفاعل:

لا تنفك شبكة الفايسبوك في اقتراح أساليب وإضافة تطبيقات جديدة بصفة مستمرة، مفسحة بذلك المجال لمستخدميها لتجربة جميع أنماط التفاعل التي سنّت قواعدها البسيطة ومبادئها الواضحة، مشكّلة بذلك منظومة رمزية تم الاتفاق حول مدلولاتها.

أثنى بعض الباحثين على الوفرة في الأساليب، وأشادوا بما تقدمه من إمكانيات كبيرة للاطلاع والإثراء المعرفي في كافة الميادين، و"تصفح" العالم بأسره من خلال الإحاطة بأحداثه بصفة فورية،إلى جانب اكتساب خبرات والخوض في نقاشات لبلوغ غايات عدة منها الإعلام والتفسير والإقناع ونقل تراث اجتماعي وثقافي.

لكن، هناك من اعتبر هذه الإستراتيجية المتبعة لا تحترم خصوصيات الذات البشرية، ولا تهدف إلى تعزيز سماتها كذات فاعلة، إنما تحرص على اختزال خصائص المستخدمين ضمن شبكة من البيانات،



التي تستعرض جملة من المعطيات والمؤشرات التي يمكن معالجتها تماما كالآلة بطريقة علمية دقيقة، ليغدو الفرد بدوره رقما يستخدم في معادلة للحصول على النتيجة المرجوة.

يمكن قياس الاستخدامات في شبكة الفايسبوك لتقنين الممارسات والعلاقات، وهو ما يقوم به الباحثون الذين يلجؤون إلى منهج تحليل الشبكات الاجتماعية المعتمد أساسا في ميداني التسويق والاتصال الإشهاري، حيث **"أضحى الإنسان والآلة مجالا لتمرير المعلومات تحت تأثير تعزيز التبادل كقيمة معنوية وتكنولوجية واجتماعية"**[67].

انقسمت الآراء أيضا حول تأثير تراكم أساليب التفاعل في الهوية إلى وجهتي نظر مختلفتين:

تعزز **النظرة الأولى** الجانب الفردي للهوية، ومنحه مساحة للظهور، وأخذ استقلاليته من القوالب الجاهزة والمخزون الرمزي المنمّط على مستوى التصورات والممارسات، وهي ليست استقلالية قطيعة وتقوقع، إنما على العكس تجعل من الهوية الجمعية أكثر ثراء وتنوعا وانفتاحا، حيث ينبثق الاعتراف المتبادل بين السمات المميزة لكل هوية.

تمنح أساليب التفاعل في شبكة الفايسبوك لكل مستخدم فرصة إعادة بلورة هويته، من خلال عمليتي مساءلة واختيار مستمرين، باعتبار أنها ليست هوية ثابتة وإنما متحولة ومتطورة، حسب ما تتطلبه الحاجات النفسية والاجتماعية والاتصالية لكل فرد، وتخول له هذه الأساليب إمكانية التجربة والاختبار قبل القبول بالصورة النهائية التي سيقدمها عن ذاته، في الشبكة الاجتماعية الافتراضية، كما أنها ليست هوية ضيقة، وإنما يمكن لصاحبها توسيعها من خلال إنتاج الرموز، والتعبير عن وجهات النظر استنادا إلى الترسانة التفاعلية التي تخول له ضبط موقعه التفاعلي (الاقتراح. الدفاع. التشجيع. النقد. الرفض...).

تعتبر **وجهة النظر الثانية** أن انسياق المستخدمين لتشكيل هوياتهم الذاتية بهذه الطريقة، والركون إلى ما يوفره الفايسبوك من أساليب تفاعل يشكل خطرا على المخزون الرمزي الجماعي، وعلى الأسس التي ترتكز عليها شخصية أفراد المجتمع الواحد التي تعتبر هامة، فالبحث عن الخصوصية الذاتية في تشكيل الهوية قد يجعل المستخدم يتخلى، عن وعي أو دون وعي، عن هويته الجمعية التي تمنحه الانتماء، ودونها قد يغدو نكرة، أو يحتاج في كل مرة إلى البحث عن تعريف لهويته.

تم التنبيه أيضا إلى "خطر الهوية الجاهزة"، أي أن المستخدم لا يقوم بتشكيل هويته والمحافظة على خصائصها ودعمها وإثرائها بالبحث والإنتاج والتساؤل والتغيير، وإنما يختار هوية من بين جملة

[67]Louise Merzeau, "Les périmètres de la personne en hypersphère", *Médium*, n24-25, Juin 2010, France, Gallimard, p.220.

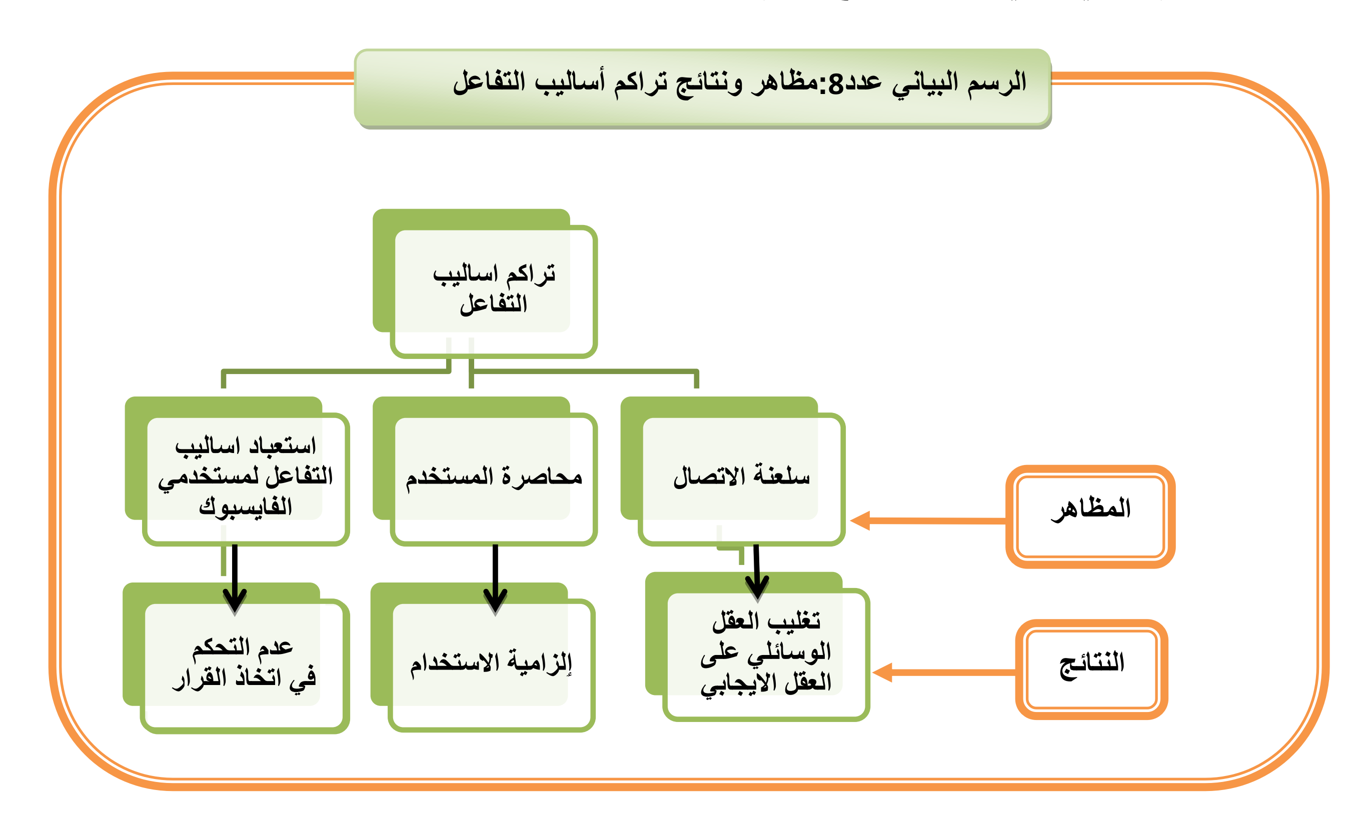


من الخيارات الممكنة، على أساس تلبيتها لمتطلباته الآنية، وبذلك تغدو الهوية ذاتها شبيهة بسلعة،قد تصلح لاستعمال واحد، ليتم استبدالها بأخرى حسب الطلب وحسب ما تقتضيه الوضعية وحاجة الفرد.

إن اللجوء إلى "الهوية الجاهزة" قد يعوّد المستخدم على الانسياق والاستسهال إلى درجة يغدو فيها استخدام أساليب التفاعل في شبكة الفايسبوك عادة لا يمكن الاستغناء عنها، وقد يسعى الفرد إلى محاولة متابعة مستجدات التيار الافتراضي إلى درجة لا يستطيع الفكاك منه.

3. 1 .2- مظاهر ونتائج تراكم أساليب التفاعل:

يبرز الرسم البياني التالي مظاهر ونتائج تراكم أساليب التفاعل:



سيتم التطرق إلى كل مظهر من مظاهر تراكم أساليب التفاعلفي الفايسبوك والنتيجة المرتبطة به على حدة لنستشف مدى صحة تسبب تراكم أساليب التفاعل في خللفي العملية الاتصالية وفي العلاقات الاجتماعية،إضافة إلى التوقف عند تأثيراتها في الهوية الذاتية والجمعية.



3. 1. 2. 1- سلعنة الاتصال: تغليب العقل الوسائلي على العقل الإيجابي:

في هذا السياق، نتساءل:

- هل الأساليب التفاعلية لشبكة الفايسبوك هي المسؤولة عن التأثيرات، سواء كانت داعمة أو مساهمة في الخلل، أم المستخدم وكيفية تطويعه لهذه الأساليب على مستوىالإنتاج والتلقي؟

- ماهي أهداف المستخدم من خلال عمليات التبادل التفاعلي في شبكة الفايسبوك: هل يبحث عن تبادل الأفكار أم تعليبها؟ هل يروم إثراء الذات أم تسويقها؟ماذا ينتج المستخدم في شبكة الفايسبوك من مضامين معززة لظاهرة سلعنة الاتصال؟

3. 1. 12..1-سلعنة الاتصال:

إن مصطلح سلعنة الاتصال (la marchandisation de la communication) اقترحه أساسا برنار مياج (Bernard Miège) الذي يرى **"أن كل تكنولوجيات المعلومات والاتصال التي ظهرت على مدىالعشرين عاما الماضية تفعل ذلك، في نطاق السوق، ويمكن القول أيضا في إطار صناعي،ليس على مستوى صناعة الأدوات التقنية فحسب، ولكن، أيضا فيما يتعلق بالمضامينأو البرامج"**[68].

أصبح لكل مستخدم قناته الاتصالية الخاصة في شبكة الفايسبوك، وله الحرية في تحديد استراتيجية تسويقه لذاته في أي ساعة يريد، ويمكنه التعريف بجميع ما يقوم به في يومه خطوة بخطوة، وإعلام الآخرين بذلك، سواء أولئك الذي في قائمة أصدقائه أو كل من سمح لهم بالاطلاع على محتويات حسابه الشخصي،**"وبعبارة أخرى، إن هذا الشخص يقوم بالإعلان عن نفسه ويضع نفسه في الواجهة"**[69].

في هذا الإطار، نورد بعض الأسباب التي تدفع المستخدم إلى ذلك:

[68] Bernard Miège, "Tics et société de l'information, état de l'art de la recherche", *Penser la société de l'information*, Actes du colloque, Tunis 07 et 08 Avril 2005, Institut de Presse et des sciences de l'information et Fondation Konrad Adenauer, pp.24-25.

[69] CatherineLejealle, "Etude scientifique : Sur Facebook, on publie mois quand on est amoureux",Propos recueillis par Hélène Decommer, *Le nouvel observateur*, publié le 17/02/2014, http://leplus.nouvelobs.com/contribution/1147750-on-publie-moins-sur-facebook-quand-on-est-amoureux-les-3-phases-du-celibat-a-en-couple.html



- الرغبة في التذكير المستمر بالحضور، "أنا أنشر على الفايسبوك، إذن أنا موجود"، ورصد تحركاته لمنح قيمة مضافة لوجوده، في الواقع الاجتماعي وفي الشبكة الافتراضية.

قد يتم تفسير ذلك بخوف الإنسان من التهميش وتجاهل الآخرين له، لذلك يتكفل بتسليط الضوءفي الفايسبوك على أدق التفاصيل الشخصية. يمكن القول أنه "يبيع" خصوصياته ويستبدلها بالاهتمام والتفاعل.

- البحث عن التفاف الناس حوله والرغبة في احتلال المحور: تسويق الذات بواسطة التعريف بالسماتوالميول والآراء، حيث يغدو الأمر شبيها بعملية إشهارية.

قد لا يجد المستخدم من يعير اهتماما ل"منتوجاته" المحيّنة (mise à jour) لذاته ومميزاتها، أو بما يفعله، أو حالته الجسدية والمعنوية، ولا تلقىالمنشورات تجاوبا يدفع للإقبال عليها، وهو ما قد يولد إحساسا بالاغتراب، وفقدان القيمة والحاجة إلى خطة تسويقية مغايرة لاسترجاعها.

لا يمكن إهمال مسألة التفريط في الخصوصية، حيث**"مر الموت المعلن لكل خصوصية مرور الكرام دون أن يتفطن له المستخدمون الذين يقدمون معطياتهم الشخصية لمحركات البحث وللشبكات الاجتماعية دون التمحيص كثيرا في النتائج"**[70]،والإقبال على ترك أبواب الحياة الشخصية مشرعة، وإذا لم يدخلها متفاعلون بطريقة أو بأخرى، قد يعاني صاحبها من تأزم اتصال نتيجة "سكتة" إعجاب أو تعليق.

أ-استيراد نفس الفكرة وترويجها:

نرصد، في هذا الإطار، ظاهرة إنشاء صفحة بلغة معينة لغرض محدد، ثم بعد فترة ، تبعث صفحات أخرى شبيهة لها ومماثلة أحيانا إلى حد التطابق لا فارق بينها سوى اللغة، يبعثها قائمون بالاتصال مختلفون، أي أنه ليس نفس المستخدم يبعث صفحات لفكرته بلغات مختلفة لترويجها حتى تلقى انتشارا أوسع، وتدرج الوثيقة التالية أمثلة عن ذلك:

[70]Louise Merzeau, "Les périmètres de la personne en hypersphère", ibid, p.222.



الوثيقة عدد26:سلعنة الاتصال: استيراد نفس الفكرة وترويجها



يتم تقا... تبار
أن القا... قبال
عليه ... انت
المضا... بغات
مختلفة، نظرا لما تلعبه اللغة من دور جوهري في استقبال الرسالة والقدرة على تأويل رموزها؟

نلاحظ تشابها في المضامين الثلاثة على مستوى اختيار اسم الشخصية، والإخراج الفني وشعار الصفحة (كن مثل بلال Sois comme Bill, belike Bill).

قد يتم اختيار السبب الذي يدفع إلى الاقتداء بالشخصية، واعتماد أحد مضامين المنشورات وجعله صورة للصفحة (photo du profil)، وفي صورة الغلاف (photo de couverture) تعريف بالسمة الأساسية للشخصية (بلال مؤدب. بلال ذكي...)، وخطاب جاذب (كن مثل...) للحث على معرفة خصال الشخصية والتعرف عليها أكثر وعلى ممارساتها، لذلك يتم إيراد مثال عن سلوكها في صورة الصفحة،ما قد يدفع إلى التصفح. إذن، يتم ترويج نفس الفكرة، التي غدت بمثابة سلعة تباع على مستوى شبكي واسع، باعتماد الفايسبوك كقناة تسويقية.

نرصد في هذا السياق تنميطاللأفكار باعتماد نفس المادة الأولية لبعث نفس المنتوج وعرضه كسلعة،وهو ما يبرزعدم الاجتهاد والابتكار.

قد يتمثل الخلل الاتصالي في الفكرة في حد ذاتها، ومحاولة "تعليب" الممارسات التي يعتبرها القائم بالاتصال نموذجية ويجب الاقتداء بها، ويؤدي الإقبال عليها إلى التخلي عن الممارسات السابقة التي تحمل بصمة الفاعل الاجتماعي وتفرده، وقد تكون النتيجة إقصاء الاختلاف والتنوع، والخوف من اتباع سلوك آخر غير ذاك الذي يتم الترويج له وأقبل عليه الآخرون إقبالا كبيرا.

في نفس الإطار، يدعم نموذج التفاعلية الرمزية في جوهره فكرة السلعنة، ف**"باختصار، التفاعلية الرمزية هي كما ذكر برنيس فيشر(Berenice Fisher) وانسلامستراوس (Anselm Strauss) قاعة مزاد (salle des ventes) أين نجلب ونشتري ما نريد"**[71].

[71]Dictionnaire des idées, Encyclopaediauniversalis, France, Les services éditoriaux et techniques d'e.universalis, 2012, p.1082.



بالتالي، مستخدم الفايسبوك مطالب باختيار الممارسات وإتقان لعب أدوار الآخرين، وتبني سلوك معين دون آخر، حيث يقوم بعرض نفسه، مع الأخذ بعين الاعتبار كيفية تلقي الآخر للمضامين التي ينتجها، أي هناك تنبؤ وتحضير للحصول على النتيجة المرجوة.

ب-استخدام مبدأي العرض والطلب:

يبدي القائمون بالاتصال في الفايسبوك، ما يسمون بال(admins/ أصحاب الصفحات)، استعدادا لإنتاج مضامين حسب الطلب (sur commande) تتفق مع الحاجات المختلفة، وهو ما يمكن رصده من خلال الوثيقة التالية:

الوثيقة عدد27:سلعنة الاتصال: استخدام مبدأ العرض والطلب

المضمون الأول

المضمون الثاني

المضمون الثالث

المضمون الرابع

نلاحظ أن الإخراج الفني بسيط وموحد فيما يتعلق بالصورة (صورة ذكر وأنثى)، تم رسمها ببعض الخطوط، وهي رسوم لا تتطلب مجهودا كبيرا أو براعة فنية، حيث تستخدم وتعتمد بهذه الطريقة المتداولة لما يحملانه من دلالة واضحة لدى المتلقي، إضافة إلى التأكيد أن المنتوج الذي سيتم تقديمه بعد التوصية عليه، يمكن للمستخدمين من الجنسين الحصول عليه.



أصبح المضمون منتوجا للبيع وجلب الجمهور لغايات نفعية تتمثل في كسب نسب تفاعل عالية، كلما زاد الإقبال على طلب المنتوج الخاص بكل مستخدم، إذن هناك استراتيجية شد (A.I.D.A: Attraction. Intérêt. Désir. Achat)،عبر توليد الرغبة وإثارة الاهتمام للدفع لعملية "الاستهلاك".

اعتمدت المنشورات أسلوب الإقناع الإشهاري، ولجأت إلى أنماط الاتصال التسويقي وقواعد المنطق التجاري من خلال الأسلوب المباشر لجلب انتباه المستخدم (إنت أيه أيهإنت) فيه تأكيد أن الأمر يهمه ليستمر في الاطلاع على بقية المضمون (كان تحب اسمك في باج ابعث ميساج)، وهو خطاب لفظي باللهجة العامية التونسية التي تجتمع فيها العبارات الفرنسية.

إضافة إلى اعتماد شعار فيه جرس موسيقي موزون (باج. ميساج)، ويتسم بالتحديد والاختصار،وبيان سهولة تحقيق الرغبة التي سيتم تنفيذها بشكل فوري، ولا يتطلب الأمر من المستخدم مجهودا (مجرد إرسال اسمه).

يتكرر شعار (كون كيفي أنا) أو حضور الأنا في صورة الصفحة مع إضافة (كون ذكي) في نهاية كل مضمون من مضامين التي تحمل أسماء مختلفة، وتوليد الرغبة لدى كل شخص أن يكون نموذجا، وهي طريقة استمالة لا ترتكز بدورها على الموضوعية، فالخصائص المذكورة قد تتفق جزئيا مع السمات الشخصية لصاحب الاسم وقد لا تمت له بصلة.

تتمثل الإجابة عن سؤال: "كيف يمكن لصاحب الخدمة الافتراضية معرفة خصوصيات الحريف؟"،في الاعتماد على الاسم، واختيار جملة من الكلمات التي لها نفس الوزن مثل (خليل. طويل. الليل. عليل. جيل. عزرائيل. ويل) أو (غادة. عبادة. عادة. جبادة. بلادة. قرادة. سادة)، ثم القيام بصياغة الجمل، وهو ما قد يجد صدى لدى المتلقي، فالكلام المسجوع تستقبله الأذن بصفة سريعة.

يورد الخطاب اللفظي خصائص تتسم بالعمومية، وتبتعد عن الدخول في عمق شخصية المستخدم (منيش قصير ومنيش طويل)، (تعجبني سهرية الليل. يعجبني النسيم العليل.. جوي كان مع صحابي...)،وذكرصفات مميزة تجعل المستخدم يتفوق بها على البقية أو يجمع جملة من السمات الإيجابية: ذات تشعر بالتفوق والكمال (نحس بمخي أكبر من ها الجيل. أنا زين وعين وتربية وعبادة).



يشتمل الخطاب على قسمين: قسم فيه مدح للمستخدم صاحب الاسم، والقسم الثاني فيه ذم للآخر الذي لا يقر بهذه الصفات، كما يتم تضخيم قدرات صاحب الاسم في التعامل مع الغير (إلي يظلمني نوليلو عزرائيل ونوريه الويل).

إن هذه الطريقة في عرض الذات، التي لا تتعامل مع الآخر على أساس النقاش ومحاولة توطيد العلاقات وتحسينها، وعدم معالجة الظواهر السلبية (الظلم. النميمة...) بأسلوب متحضر وفعال، هي مجرد تهديد كلامي وشتم وتحقير (فمهم كي الجبادة. لاسقين فيا كالقرادة. عملتو العار يا سادة).إذن، يشجع هذا المنتوج المستخدم على منح ذاته مكانة محترمة وقوة معنوية كلما حقر الآخر.

في **المضمون الثاني**، تتحول صفحة فايسبوكية إلى وكالة إشهارية تبيع منتوجا "مختلفا"، من حيث النوع ومن حيث الهدف وآليات الإنتاج والاستجابة لحاجة اتصالية هي التي خلقتها، وتعمد إلى إقناع المستخدمين للإقبال عليها.

يعرض المضمون،من خلال خطابه اللفظي، الخدمات المقدمة (لتحميل اسمك الجميل. للتنبير على صديق حقير. للحبيبين السعيدين)، وهي خدمات تستجيب لحاجات عاطفية، حيث تم الاكتفاء بواحدة فحسب من جملة الاستمالات الممكن استخدامها في الرسالة الإقناعية، وهي الاستمالة العاطفية وتجاهل الاستمالة العقلانية.

بالتالي، استغلال الجانب الانفعالي والانزياح عن الموضوعية عمدا، كما نرصد تناقضا بين (كلمات زي الفل للناس الكل و (للتنبير على صديق حقير) فالثناء لا يتمتع به إلا الحريف.

ما يمكن استنتاجه من هذا الخطاب، هو عدم احترام الصداقة كعلاقة اجتماعية وكقيمة إنسانية، والاستعداد للتكفل بتعويض المستخدم للحط من شأن صديق اختلف معه نتيجة تباين في الرأي أو خصام.

قد يكون المراد من جملة (ابعث مرة و ثنين) التأكيد أن الخدمة تلقى إقبالا كبيرا، لذلك يجب الطلب أكثر من مرة حتى يتم الاستجابة، ولتعزيز فرص صاحب الاسم - الحريف، في تحقق ما يريد.

في هذا السياق، يبرز معطى من معطيات الخلل الاتصالي، فإذا كان هذا المنتوج لا يرتكز على المنطق، يمكن تفسير الإقبال الكبير على المنتوج بتأثير تراكم التعرض والتكرار الذي يؤدي إلى الانسياق.

إذن، هناك نوع من الانقياد وراء هذا الاستهلاك الذي لا يكلف شيئا، إذا لم يتم التفكير بدقة في باطن المسألة، فالظاهر يوحي بأن العملية لا تحتاج سوى القليل من الوقت، وهي مجرد تجربة على سبيل الترفيه



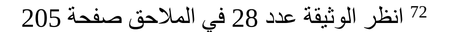
والاطلاع على النتيجة، التي يضمن المستخدم انطلاقا من التجارب السابقة المعروضة في الصفحة، أنها ستكون لصالحه، وسيتلقى المدح، وربما إكسابه ميزات لا يتمتع بها (بيع الوهم وتسويقه)، ويفخر بها أمام بقية المستخدمين.

لكن، تمثل هذه المضامين، في حد ذاتها، مشكلا من شأنه تهديد العملية الاتصالية، فالذي لا يسبب ضررا، وفي ذات الآن لا يقدم إضافة، يعتبر حشوا اتصاليا، سببه استسهال اللجوء إلى الأساليب التفاعلية، ليغلب الكم النوع.

إذا تم تجميع بعض من هذه المضامين، سنجدها على مستوى الإخراج نسخا متشابهة[72]، يكمن الاختلاف في الخطاب اللفظي فقط، الذي يشمل أطرافا متعددة يتجه إليها المنتوج منها نوادي رياضية لكرة القدم (النجم الرياضي الساحلي. الترجي الرياضي التونسي. آنا النادي الإفريقي. آنا النادي الصفاقسي...)،وأسماء أشخاص (صابر. عبير. مالك. زينوبة....) وشعب الدراسة (آنا باك تقنية) وأسماء الولايات (الحمامات) والمهن (آنا الأستاذ)، وذلك في محاولة لإرضاء جميع الأذواق وترويج السلعة (الخطاب اللفظي)، كما يعلن العنوان مناسبة (اليوم عيد ميلادي)، وهو مضمون قابل للتسويق على أوسع نطاق،حيث يمكن لأي مستخدم استغلاله ونشره في حسابه الشخصي يوم احتفاله بذكرى ميلاده.

نتحدث عن "متاجرة" تفاعلية بالأسماء، فالإطار جاهز مسبقا لا يتم تغييره، فهو قالب يتضمن الصورة والشعار، والاكتفاء بإضافة الخطاب اللفظي الذي يوجه رسائل تستجيب لما ينتظر أن يقرأه المتلقي لمنحه قوة معنوية افتراضية عن طريق المبالغة (جابت لدنيا هذه الأسطورة. من غير فخرة الدنيا ولات دنيا أخرى).

نرصد العنف اللفظي الذي برز من خلال التناقض بين حالتين يمر بهما صاحب الاسم (قلبي صافي كي البلارة/ تضرني نذوقك المرارة - قمة في الطيبة والإحساس آنا كلي فيناس / تغلط معايا نضربك بمهراز - طبيعتي طيارة / تضرني.. نطيشك في شكارة)، ودعم الفردانية المتطرفة (اشكون يقول عكس كلامي يبعد من قدامي)، وتقديم نظرة محبطة عن الواقع (بعد الناس الكل تقعد بطالة) وتقديم العلم على أنه عبء (مازالويتنفسو زيدهم قراية)..



[72] انظر الوثيقة عدد 28 في الملاحق صفحة 205



لا يستطيع هذا النوع من الصفحات الاستمرار على المدى الطويل، فالمستخدم يبحث عن الخدمات الأكثر جدة وطرافة، ومن تحصل على منشوره الخاص لن يكرر ذلك لأنه أشبع رغبته، وينتقل إلى صفحات أخرى تعرض بدورها منتوجها الاتصالي.

ج- تحويل مستخدم الفايسبوك إلى حريف يبحث عن المنتج المخصص له:

قد تقدم الصفحاتالفايسبوكية نفس المنتوج، أي نفس الفكرة والانطلاق من اسم لإنتاج خطاب لفظي،لكن، بإخراج فني وتسويقي مختلف، إضافة إلى توفر المنتوج المعروض مسبقا، ففي هذه الصفحة يتم نشر عدد كبير من الأسماء، وما على المستخدم سوى البحث عن ضالته، وضغط زر المشاركة ليتقاسمه مع الآخرين،في شبكة الفايسبوك.

تدرج الوثيقة التالية بعض الأمثلة من المضامين:

الوثيقة عدد29:سلعنة الاتصال :تحويل مستخدم الفايسبوك إلى حريف يبحث عن المنتج المخصص له



نستشف من خلال هذه البطاقات المعروضة إدراك منتجها حاجة المستخدم إلى تعريف الذات من طرف الآخر، وتوقعه الإقبال على منتوجاته واستهلاكها بنشر صورة "معلبة" في صفحته الخاصة للتعريف بخصاله، والغرض من هذه الممارسة التفاعلية جعل الذات مركز اهتمام تفاعلي.



ما يمكن ملاحظته من خلال الخطاب اللفظي في المضامين المدرجة في الوثيقة:

أولا، التركيز على الجانب الفيزيولوجي والمراوحة بين جمال العيون والصوت والابتسامة (وفيك من الجمال. وأي جمال بعد عيناك يذكر. من أي أوتار الجمال خلق صوتك...).

ثانيا، عدم تطابق الخطاب اللفظي مع ما هو ممكن في الواقع (وفيك من الجمال ما يلفت نظر الأعمى. شبهت الجمال بك فبكى خجلا...)، وذلك تلبية لحاجة بعض المستخدمين إلى الثناء، حتى ذاك الذي يتجاوز المنطق، لتعزيز الثقة.

ثالثا، تكرار نفس الخطاب اللفظي لأسماء مختلفة (ليندا/مي: في ابتسامتك تجتمع تفاصيل الجمال. نهلة/ رانيا: سبحان من اختصر كل أحلامي بلون عينيك).

رابعا، تكرار خطأ لغوي في المنشورات التي تركز على جمال العين (أمام عيناك. بلون عيناك...).

نستخلص من هذه الملاحظات أن هناك "سلعنة" للخطاب اللفظي، وإنتاج دلالات على أساس غير موضوعي، باعتبارها تولد انطلاقا من اسم علم في المطلق، مجرد عن أصحابه الكثر، والأكيد أنهم يختلفون من حيث الصفات الفيزيولوجية ومواطن الجمال، لذلك يتم اللجوء إلى التعميم والصيغ الفضفاضة.

إذن، يتمثل الخلل الاتصالي في إنتاج مضامين دون الحاجة إلى التعرف على شخصية صاحب الاسم، التي قد لا تحمل الصفات المذكورة، وهي استراتيجية تسويقية لضمان التفاعل الإيجابي، من خلال الإقبال على المنتوج واستهلاكه والتعبير عن الإعجاب أو نشره في الحساب الخاص أو إهدائه،وأدت هذه السلعنة الاتصالية إلى تغليب العقل الوسائلي على العقل الإيجابي.

3. 1. 12..2-تغليب العقل الوسائلي على العقل الإيجابي:

إن مصطلح "تغليب العقل الوسائلي على العقل الإيجابي" هو من اقتراح مدرسة فرنكفورت (école de Francfort)، التي تعتبر أول مدرسة فيما أطلق عليه بالتيار الناقد في مجال دراسات الاتصال.

تم استخلاص هذا الاستنتاج بعد تحليل منظري هذه المدرسة جملة من المضامين الثقافية في ارتباطها بالسياق السياسي، وهو ما جعلهم يختلفون، في الإطار البحثي، عن نظرية الثقافة الجماهيرية، وإن اتفقوا مع جوانب من أطروحات هذه النظرية التي اعتبرت أن ما تقدمه وسائل الاتصال الجماهيري سلع ثقافية ممسوخة من شأنها تعويد الجماهير على استهلاك كل ما هو سخيف.



نطرح في هذا السياق ثلاثة تساؤلات:

-**أولا**،إلى أي مدى يتم استغلال هذا الفضاء الافتراضي للإنتاج العشوائي للمضامين نظرا لغياب حدود تمنع الإنتاج المستمر، فالمستخدم يمكنه أن يبعث قدر ما يشاء من الصفحات في يوم واحد، إذا ارتأى أن ذلك يستجيب لمصلحة من مصالحه، وإن كانت هذه الغاية مجرد استخدام لهذا الأسلوب التفاعلي فحسب؟

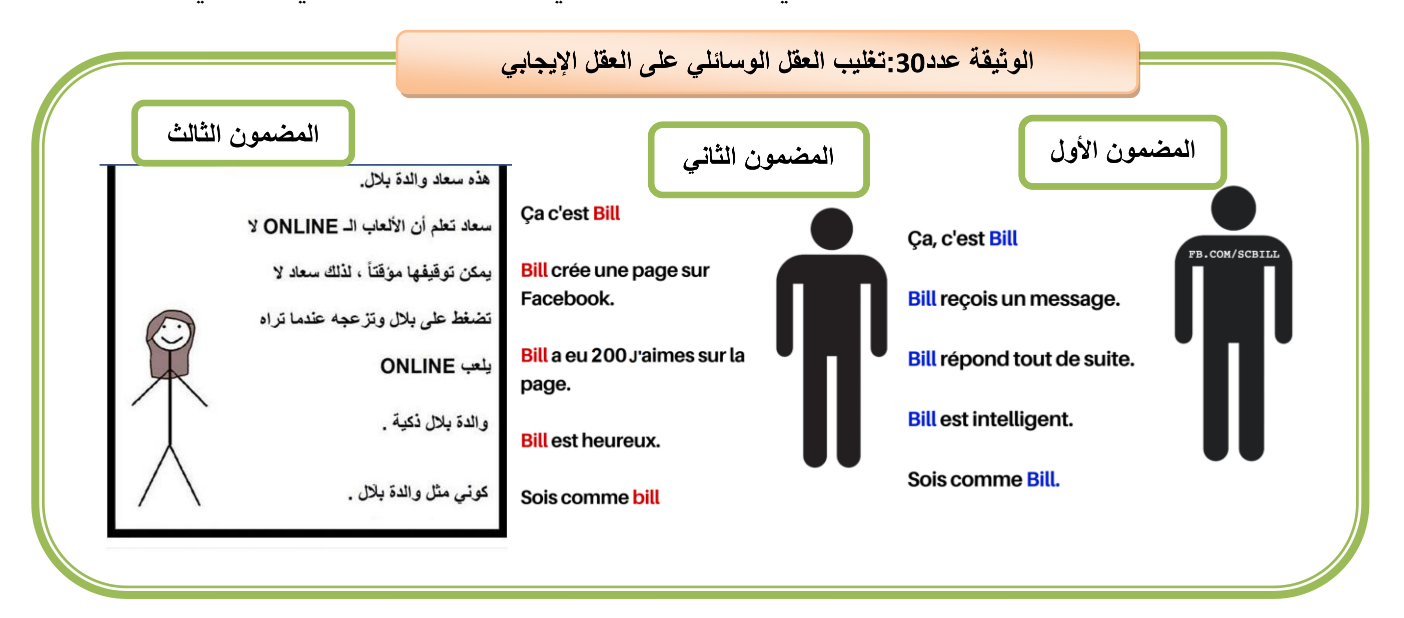
-**ثانيا**،هل يخصص المستخدم وقتا للتفكير وإعمال العقل أم أنه يستهلك فحسب دون تمحيص،خاصة مع الإقرار بأنه **"في عالم يتميز بفيض الصور والخطابات والمعلومات، يسرقنا الحدث ويجعلنا عميانا"**[73]؟

-**ثالثا**،إلى أي مدى يمكن الحديث عن ثقافة افتراضية من نوع جديد تتبلور من خلال المضامين التي ينتجها وينشرها ويتقاسمها المستخدمون ويتفاعلون معها؟ هل يمكن اعتبارها ثقافة ترويجية استهلاكية بالدرجة الأولى؟

لن يتم إدراج مصطلح "تغليب العقل الوسائلي على العقل الايجابي" في السياق الذي اختارته مدرسة فروكفورت، فالإشكالية مختلفة من حيث القناة الاتصالية والرسالة وأطراف العملية الاتصالية الافتراضية، لذلك نستخدم المصطلح لأهميته وقدرته على التعبير عن الفكرة فحسب.

أ- تغييب عقلنة الممارسة الاتصالية:

تتضمن الوثيقة التالية جملة من المنشورات التي تشترك رسائلها في نفس الهدف الاتصالي التفاعلي:



[73]Alain Bertho, Nous autres. Nous mêmes. Ethnographie politique du présent, Broissieux, Editions du croquant, Mars 2008, p.9.



لينتهي بنفس الجملة المعهودة الحاثة على الاقتداء بالنموذج (sois comme Bill، كن مثل سمير،كوني مثل والدة بلال)

بالتالي، تم تحديد الاختيار الاستراتيجي لكيفية تقديم الرسالة بصفة نهائية، ولا يحتاج، حسب صاحب المضامين إلى تغيير، فهو بمثابة الواجهة الجاهزة دائما لتعبئة خطاب لفظي.

يندرج الموضوع في سياق العملية الاتصالية، في شبكة الفايسبوك خاصة والفضاء الافتراضي عموما، والحث على استخدام الأساليب التفاعلية بطريقة معينة، وانتهاج سلوك دون آخر، وهنا نتوقف عند حرص المستخدم نفسه على تشجيع الأساليب التفاعلية.

إذن، نجح الفايسبوك، بطريقة ما، في التأثير في المستخدمين إلى درجة حصول قناعة عندهم للإقبال على هذه الأساليب من جهة، وإدراجها في صلب عملياتهم الاتصالية من جهة أخرى، والبحث عن تعزيز استخدامها بطرق مختلفة، وهو ما يجعل الاتصال الافتراضي يتغلغل في الوجود الإنساني المعيشي اليومي.

قد يكون الأمر إيجابيا، ولا يشكل في حد ذاته خللا اتصاليا، وذلك إذا تم استغلال هذه الأساليب التفاعلية لخدمة الأغراض التي تحقق الغايات التي تساعد على الارتقاء بالاتصال، ولا تحصره في أهداف ضيقة قد يكون خطرها على المدى البعيد أكثر من نفعها.

لعل من أهم بوادر هذا الخطر هدر الوقت، وتشكيل قيود من نوع آخر عوض التحرر، وتغييب المنطق في التعامل الاتصالي، والبحث عن الاستجابة الفورية فحسب دون رسم المستخدم لخطط قادرة على إثراء علاقاته وتطوير ممارساته.

في **المضمون الأول،** تم ربط ذكاء الشخصية بتصرفها الاتصالي الافتراضي (Bill reçois un message, Bill répond tout de suite): نتساءل هل يعتبر المستخدم غبيا إذا لم يجب بطريقة فورية على رسالة تلقاها في الفايسبوك؟أليس حرا في الإجابة عنها في حينها إذا استدعى الأمر، أو يؤجل ذلك إلى وقت لاحق، أو لا يجيب، إذا لم يجد ضرورة لذلك لسبب من الأسباب، فقد يكون مشغولا بشيء آخر، وقد لا يجد الخطاب المناسب لصياغته ويحتاج إلى التفكير؟

اشترط المرسل الحصول على إجابة حينية، عن طريق عملية اتصالية افتراضية، لمنح متلقي رسائله سمة الذكاء،إذن، هو بصدد تقييد نفسه من خلال الانتظار الذي ينتج عنه تأثير عكسي إذا لم تتم الاستجابة، إضافة إلى الحد من حرية الآخرين التفاعلية.



في **المضمون الثاني**، يتولى المستخدم القيام بالتسويق للأساليب التفاعلية لشبكة الفايسبوك، والتشجيع على بعث صفحة (créer une page) لسهولة الأمر أولا، ولما يحقق من "سعادة" ثانيا، تلك السعادة المشروطة بالنجاح في استقطاب المنضمين، كعامل من عوامل إثراء رأس المال التفاعلي، كلما ازدادت نسب الإعجاب بالصفحة.

إذا قرر المستخدم إنشاء صفحة في الفايسبوك، ولم ينضم إليها أحد أو عدد قليل، فهل سيكون ذلك سببا في تعاسته، وتستبدل العبارة (Bill est heureux) ب (Bill est malheureux)، وهو ما يجعل سعادته لا تنبع من ذاته وإنما تحتاج لمستخدمي الفايسبوك لتتحقق؟

بالتالي، قد يطوع المستخدم هذا الأسلوب التفاعلي بطريقة لاتقدم له الراحة النفسية، بقدر ما يتحول إلى وسيلة ضغط نفسي ومولد لل"شقاء التفاعلي"، حيث غدا تحقيق رضاه الذاتي رهين التقييم التفاعلي.

لا يتوقف الأمر عند الشخصية، وإنما قد يتم اللجوء إلى أحد أطراف عائلة بلال، مثل والدته التي نجدها في **المضمون الثالث** (هذه سعاد والدة بلال)، والتي تم تقديمها كرسم يشتمل على بعض الخطوط مع إضافة الشعر كعلامة تميز أنها أنثى، وبيان الوضعية التي تتعلق أساسا ببلال واستخدامه للتطبيقات التي يوفرها الفايسبوك والفضاء الافتراضي عموما، ووالدته تدعه يلعب الوقت الذي يشاء، فهي محيطة بشروط الألعاب على الشبكة.

يؤكد الخطاب اللفظي أن ألعاب الفايسبوك أهم من طلبات الأم، وإن كانت مستعجلة وملحة. إذن، تم ترجيح كفة لعبة افتراضية ترفيهية على كفة متطلبات الواقع بعلاقاته العائلية خاصة والاجتماعية بصفة عامة، فليس من حق الأم، حسب هذا المضمون، أن تطلب من ابنها التوقف لأي سبب كان، فذاك يعتبر إزعاجا، وعليها أن تتمتع بقدر من التفهم لتكون نموذجا للأم الذكية، وإذا فعلت العكس، وحثت ابنها على الكف عن اللعب، لمصلحته الشخصية مثل الاهتمام بدراسته أو لمصلحتها أو مصلحة العائلة، فهي تكون بذلك لا تتسم بالذكاء، وتجنبا لذلك (سعاد لا تضغط على بلال وتزعجه عندما تراه يلعب online).

هناك تشجيع متطرف لفردانية قد تتعمق إلى درجة تسلم فيها التحكم إلى هذه التطبيقات التي جُعلت للترويح عن النفس، فتتحول سجنا والمكوث فيه ممتع إلى درجة لا يفكر المستخدم في الخروج منه، بل بالعكس، يبحث عن السبل لإطالة البقاء فيه إلى أقصى حد ممكن، وإذا خرج مضطرا، يود العودة سريعا نظرا لشعوره بالانزعاج من واقعه الاجتماعي، ويحبذ الاتصال الافتراضي على الاتصال المباشرمع الأشخاص وحتى مع ذاته.



ب- تضخيم الأنا وتغييب "النحن":

تم اختيار بعض المضامين من صفحة معينة في الفايسبوك، "صفحة كون كيفي أنا"، وإدراجها في الوثيقة التالية لتوضيح الفكرة:

المضمون الأول

انا الاصل و الباقي التقليد
واللي يسرق بلاش partager
يعطيه قصة في هاكي اليد
نشاء الله ما يلحق عالعيد
ولا يارا نهار سعيد
خاطرو بليد
كون كيفي أنا كون ذكي

المضمون الثاني

انا

المضمون الثالث

انا جوجو
اللي يائق فيا نريقلو امورو
اما فما جماعه كي توفا مصلحتهم
عليك يدورو
هاذم اللي ميسواوش دورو
كل واحد هكا
انشاء الله ربي يفرعسلو شوعورو
و ميجي في يدو حتى اورو
كون كيفي أنا كون ذكي

المضمون الرابع

انا zizou
طبيعتي عسل
وقلبي يهز الناس الكل
انا عمري ما نأيس ديما عندي امل
انا منطيحش ديما شامخ كي جبل
والي ينبر
راك ورل و راسك كي سطل
كون كيفي أنا كون ذكي



نرصد وجود شخصيتين (أنثى وذكر) في جميع المضامين، وهما شخصيتان ثابتتان لا تتغيران مع تغير الخطاب اللفظي، فالصورة بمثابة الأصل التجاري، إضافة إلى ذلك نلاحظ أن عنوان الصفحة مكتوب على ثوب الفتاة في جميع المنشورات.

كما أن هذه العلامة التجارية (marque déposée) التي تثبت هوية المنتوج، ترد بصفة مستمرة، أسفل كل صورة من الصور، مع اختيار خط واضح وقابل للقراءة السريعة، لكن ما يميز هذا الشعار هو جعل ضمير المتكلم المفرد في قلب يتوسط جملتين تضمنهما الإمضاء، ألا وهما "كون كيفي" و "كون ذكي".

يمكن الاستغناء عن عبارة "أنا" ولا يتغير معنى الجملة، لأن "كون كيفي" تفي بالغرض، باعتبار ضمير المتكلم واضح من خلال تصريفها. بالتالي، هناك رغبة ملحة في توجيه رسالة مباشرة مفادها أن الذات هي محور الاهتمام في هذه الصفحة، وهي التي منحت الأولوية، وتتمتع بثقة في خصوصياتها إلى الدرجة التي تستدعي البقية إلى اتخاذها مثالا.

إن إدراج قلب، كشكل دون غيره من الأشكال، لا يخلو من دلالة رمزية معلنة، باعتباره دليل الإعجاب أو المحبة، فالذات البشرية تحتاج إلى ذلك الإحساس الذي يثبت أنها تحظى بالتقدير من طرف الآخرين، كحاجة من الحاجات الضرورية لتحقيق التوازن، مثلما أكد ذلك ماسلو (Maslow) في مثلث الاحتياجات (Pyramide des besoins).

لكن، في هذا السياق، نجد أن الصورة خلقت نوعا جديدا من وسائل تحقيق هذا الاكتفاء، فالمستخدم يتكفل بمنح نفسه هذا الشعور، والتعبير لذاته عن قيمتها من خلال مضمون أنتج لأجل بلوغ الغاية، فالخطاب اللفظي تم إنتاجه عمدا على لسان صاحب الخدمة أي المتلقي- المستهلك، فالمستخدم يعرّف نفسه.

إن الاعتراف عملية تبادلية، فكما يحتاج الفرد إلى الاعتراف به كذات محبوبة من طرف الآخرين، مطالب بدوره أن يعترف بالآخرين كذوات لها ميزاتها الخاصة التي تمنحها قيمتها الوجودية، على أن هذا الإقصاء المطلق للآخر، مع منح الذات مكانة جوهرية لا مثيل لها(أنا الأصل والباقي التقليد)، يعتبر تضخيماللأنا، تبلغ حد اعتبار الفرد نفسه أفضل من الآخرين، وأن ذاته فحسب تستحق الإعجاب والاهتمام.



نرصد، في **المضمون الأول**، التصريح بطريقة واضحة، وإن كانت غير مباشرة، عن غاية صاحب الصفحة، وهي الحصول على قدر كبير من التفاعل، باعتبار أن هذا المضمون قابل للاستهلاك من طرف جميع المستخدمين، فهو ليس منتوجا موجها لشخص بعينه يتميز بذكر اسم علم محدد.

ينتظر صاحب الصفحة من نشر مضامينه جذب أكبر عدد ممكن من المطلعين على صفحته ومنشوراتها، وخاصة أولئك غير المنضمين لها، فيثير اهتمامهم مضمون تقاسمه أحد المستخدمين، فيقومون بزيارة الصفحة للتعرف على منشوراتها وما تقدمه من خدمات، قد تجذبهم إلى الانضمام أو تكرار الزيارة وتقديم طلب للحصول على المنتوج الخاص بهم، وقد يجدون اسمهم في منشور من المنشورات، أي يجدون حاجتهم جاهزة ومعروضة، وليس عليهم سوى نشرها في حسابهم الخاص، وليس "سرقتها".

يسلط القائم بالاتصال سلسلة من الدعاء بالسوء على كل من يسرق "منتوجه"، ولا يلتزم بالقواعد التفاعلية للسوق الافتراضية (إلي يسرق بلاش partager): أولا، (يعطيه قصة في هاكي اليد)، ثانيا، (نشاء الله ما يلحق عالعيد)، ثالثا، (و لا يارا نهار سعيد).

يزداد الدعاء عمقا في بعده السلبي من جملة إلى أخرى، وهي رسالة إقناعية تعتمد أسلوب التخويف،يدرج الخطاب اللفظي وعيدا لتحذير المستخدم من مغبة عدم الالتزام بالشروط التفاعلية،حيث تضمن الدعاء نيل عقوبة السارق الواردة في القرآن الكريم، ثم يتجاوز ذلك إلى تمني الموتقبل بلوغ العيد، ليعمم الدعاء على حياة سارق المضمون برمتها وأن تخلو أيامه من السعادة، وهو عقاب "عادل" حسب تقييم صاحب هذا المضمون، وقد استحق المستخدم ذلك (خاطرو بليد).

يمكن استخلاص ثلاث نقاط من **المضمون الأول** لهذه الوثيقة وتتمثل في:

أولا، اختيار الجمل قائم كالعادة على التركيز على الكلمة التي تختتم بها الجملة، والبحث عن عبارات مشابهة لها في الوزن (التقليد. اليد. العيد. سعيد. بليد)، وذلك لمنح الخطاب اللفظي جرسا موسيقيا عند قراءته، وكطريقة لاستنباط الخطاب، وهو ما يجرده من الموضوعية، فهي عملية تفصيل للجمل حسب مقاس معين وليس على أساس المنطق.

ثانيا، توجيه خطاب لفظي تتعالى فيه الأنا على الآخرين قد يتسبب في خلل اتصالي، فالذات البشرية المتوازنة تبحث عن قيمتها وتفرضها بما تتسم به من خصوصيات تصقلها بصفة مستمرة،ولا تكتفي بالتعالي "الكلامي" وتقزيم الآخر للحصول على تميزها، فهي بذلك تقتات من الوهم والهروب من



المواجهة الفعلية، وتقصي نفسها عبر تغييب العقل الإيجابي الذي يدفع إلى الاندماج لتعزيز العلاقات الاجتماعية.

ثالثا، نستشف المبالغة، فالأمر لا يستدعي كل هذا الكم من الدعاء بالويل والثبور والتعاسة والحرمان لمن ينشر مضمونا من هذه المضامين بصفة فردية وليس من الصفحة الخاصة بها.

وهو ما يدفع إلى الاستنتاج أن صاحب الصفحة مشغول بصفة كاملة بإيجاد السبل لتحقيق غاياته التفاعلية، مع إقصاء المنطق في المضامين التي يقوم بإنتاجها، وعدم التزامه بأدبيات التواصل اللفظي وما يتطلبه من احترام متبادل لكافة الأطراف، وليس الانحياز لصاحب الخدمة المطلوبة، مثلما هو الحال في المضمونين الثالث والرابع (أنا جوجو. أنا Zizou)، ومنحها القدرة على الفعل (إلي ياثق فيا نريقلوأمورو)، والثقة والافتخار بقدرات العطاء المعنوي (طبيعتي عسل وقلبي يهز الناس الكل / أنا ما نطيحش ديما شامخ كي جبل).

من ناحية أخرى، تحقير الأطراف الأخرى المشتركة مع صاحب المنتوج في عملياته الاتصالية، في الواقع الاجتماعي أو في المجال الافتراضي، التي يتم تصويرها بصفة شبه دائمة بصفة سلبية، فهي أطراف معرقلة وحاقدة، للتأكيد العلني والضمني على الاختلاف بين شخص صاحب المنتوج والآخرين، وبلوغ درجة تحقيرهم درجة كبيرة (هاذم إلي ما يسواوشدورو)، واستسهال اللجوء إلى ذات الأسلوب، في كل مرة، إما الدعاء أو إكساب الآخر صفات تحط من كرامته الإنسانية بمنحه نعوت تجرده من قيمته (راك ورل و راسك كي السطل).

تدفع هذه الملاحظات إلى التساؤل: أي ثقافة في طريقها إلى التبلور والانتشار؟: ثقافة القوة الافتراضية التي تبنى على أساس الخطاب اللفظي والتخلي عن الفعل الناجع لتجذير قيم الإنسانية في التعامل مع الآخر، ثقافة لا تقبل إلا من يشاطرها آراءها وتوجهاتها، وتكيل لمن يخالفها شتى النعوت السلبية وأقسى الشتائم؟ أي ثقافة هي التي تنبني رسائلها الاتصالية على توازن العبارات الأخيرة في الخطاب اللفظي،مهما كلف ذلك المعنى من تناقض أحيانا و"سخافة" حينا آخر؟

بالتالي، يبرز جليا وجود أكثر من خلل في العملية الاتصالية الافتراضية نتيجة كيفية تطويع بعض المستخدمين للأساليب التفاعلية، وتحديد انتظارات معينة، والاكتفاء بمصالح ضيقة والاستهلاك العشوائي لهذه المضامين، ما يجعلهم خاضعين لسيطرة العقل الوسائلي.



3. 1. 2. 2-محاصرة المستخدم: إلزامية الاستخدام والإدمان:

يمثل البعد الثاني من أبعاد تراكم أساليب التفاعل في شبكة الفايسبوك ومساهمته في إحداث خلل اتصالي، وهو ما يستدعي طرح جملة من الأسئلة لعل أهمها:

- إلى أي حد نجحت أساليب التفاعل الافتراضية في محاصرة المستخدمين؟ ماهي الآليات الموضوعة ضمن استراتيجية الفايسبوك الاتصالية لدعم هذا الحصار؟

- إلى أي مدى يمكن القول أن تراكم أساليب التفاعل في الفايسبوك أدى إلى السيطرة على المستخدم:الهيمنة على تفكيره وخياراته وممارساته، إلى درجة يخصها فيها بالاهتمام دون غيرها من الوسائل التي تعتبر بدورها من مرتكزات بناء الشخصية وإثراء الثقافة؟

3. 1.2.2.1- محاصرة المستخدم والسيطرة عليه:

تم تجسيد هذه الفكرة من خلال العديد من المضامين المنشورة في صفحات مختلفة في الفايسبوك، وتدرج الوثيقة التالية بعض الأمثلة التي تناولت نفس الموضوع من رؤى وتوقعات، وإن تباينت، فهي تلتقي في تشكيل وسائل الاتصال الحديثة بصفة عامة وشبكاتها الاجتماعية الافتراضية، خطرا على الكتاب كرمز ثقافي:





تم الاكتفاء بتحميل الرسوم مهمة التعبير عن الموضوع، وهو اختيار فيه تأكيد أن الصورة تغني عن التعليق، لما تحمله من رموز قادرة على تبليغ جملة من الرسائل، لتقريب الفكرة وتوضيحها بعدة طرق تعبيرية منها الحكاية المصورة، مثلما ورد ذلك في **المضمون الأول**، ليتكفل المتلقي بمتابعة مشاهد الحبكة، حسب طريقة إخراجها، فيتبلور السيناريو الذي لا يحتمل تأويلات متباينة، فهو واضح ومباشر خاصة عند الوصول إلى المشهد الأخير.

نرى، في **المضمون الأول**، شخصا يقرأ كتابا وبجانبه هاتفه المحمول، وتضيء شاشة الهاتف للإعلام بأن رسالة وصلته فيطلع عليها، ويتكرر الحدث نفسه المتكون من ثلاثة مشاهد في كل لقطة. يختلف الفعل من طرف الشخصية عن المرة الأولى التي تلقى فيها رسالة هاتفه ثم أعاده إلى مكانه وعاد لمطالعة الكتاب، ليتمادى في المرحلة الثالثة في عملية التواصل عبر الهاتف المحمول، ويندمج ليس كمستقبل للرسائل فحسب، وإنما يقوم بالرد، فيمسك الهاتف بكلتا يديه ويتخلى عن الكتاب مفتوحا،ثم في المشهد الأخير من هذا السيناريو، نلاحظ غياب الشخصية التي يبدو أنها حملت هاتفها وأغلقت الكتاب تاركة إياه على الطاولة.

تم إدراج الكتاب مغلقا عمدا للإشارة إلى الاختيار الصريح للفرد، ووقوفه المعلن في صف وسائل الاتصال الحديثة إلى درجة تتجاوز التخلي عن الكتاب مفتوحا، ففي ذلك تلميح لإمكانية العودة السريعة إليه، ولكن، هناك إشارة إلى الخطر الذي يهدد الكتاب بإغلاق صفحته للأبد لحساب وسائل الاتصال الحديثة وتطبيقاتها.

في **المضمون الثاني**، تم اعتماد الصورة المجازيّة، من خلال اعتبار هذه الوسائل "أسماك قرش" تحيط بعوامة الفرد الذي يطالع كتابا، ونجحت هذه الأسماك التي تحاصره في تحويل اهتمامه عن الكتاب والالتفات إليها، ليس هذا فحسب، بل نلاحظ قدوم سمكة قرش أخرى نحوه، وفي ذلك إشارة إلى تزايد هذه التطبيقات بصفة مستمرة وتضاعف حجم التهديدات التي تسببها.

في هذا المضمون، تم ترك النهاية مفتوحة، وهو تأكيد أن هناك خلل اتصالي تسببه هذه المحاصرة التي قد تنجح في السيطرة و"ابتلاع" الفاعل الاجتماعي، إذا لم يدافع عن حرية اختياراته ويتمسك بها، ولا يسمح لوسائل الاتصال الحديثة ب"التهام" عوالمه الأخرى.



يسوق **المضمون الثالث** إلى إحدى الفرضيات المحتملة، إذا تم تحبيذ وسائل الاتصال الافتراضية، والانسياق وراء تطبيقات هذه الوسائل، والانحياز إلى متطلباتها التفاعلية على حساب الكتاب أو غيره من الدعائم الأخرى.

نستشف رؤية مستقبلية ممكنة إذا استمر الفاعل الاجتماعي في هذا الخيار، إلى درجة قد ينقرض فيها الكتاب، ما يجعل الأجيال القادمة، التي نلاحظ أنها في هذا المضمون تحمل هواتف محمولة، لتصوير "الشيء الغريب" الذي وجدوه ملقى على الأرض.

تكثر في الصورة علامات الاستفهام لرصد ما يفكر فيه هؤلاء الأفراد المتحلقون حول هذا الجسم المثير للدهشة والخوف في آن، حتى أنه يتم محاولة التعرف على ماهيته واكتشافها باستخدام عصا، ولا يتجرأ أي منهم على لمسه أو حمله، وأحدهم يفكر في مركبة فضائية للتعبير عن تخمينه أن هذا الجسم قد سقط من مجرة أخرى غير كوكب الأرض، قد يكون في ذلك اعتماد مقصود للمبالغة للتحسيس بخطورة ما قد ينجر عن هذا الخلل.

عالج **المضمون الرابع** الموضوع بطريقة مباشرة عبر تجسيد الوضعية الراهنة بوضوح،عبر "شخصنة" وسائل الاتصال والكتاب، الذي نجده معصوب العينين ومختطفا من طرف هاتفين محمولينأو لوحتين رقميتين يحملان رشاشا، وفي هذا السياق، تم تشبيه العملية الاتصالية الافتراضية بعملية إرهابية ضحيتها الكتاب الذي يتم الاستعداد لقتله كرهينة محتجزة.

بالتالي، وسيلة الاتصال الحديثة في موقع القوة والفعل وملامحها فيها قسوة وغضب، وهو ما يشير إلى غياب إمكانية التراجع عن قرارها المتخذ ضد الكتاب، الذي ليس له سوى الاستسلام خاصة مع غياب من يدافع عنه ويخلصه من هذه الوضعية التي جعلته يعيش حالة من الحزن أكثر من الخوف،باعتبار أن الفاعل الاجتماعي هو الذي سمح أن يتكبد هذا المصير وأن تكون نهايته على أيدي وسائل الاتصال الحديثة.

تكمن أهمية هذه المضامين في رؤيتها التي لم تكن أحادية، أي أنها لم تقتصر على تصوير الوضع من زاوية واحدة،إنما هناك من رصد بداية خلل، وآخرتصور أن الفرد " يبحر" في هذا الخلل الذي يحاصره بأساليبه التفاعلية وعليه أن يحسن المواجهة،في حين ذهب غيره إلى أبعد من ذلك للإقرار أن هذا الخلل سيكون له تأثيرات سلبية في الحاضر والمستقبل.

-الاستراتيجية المعتمدة من طرف الفايسبوك لمحاصرة المستخدم:



تضع شبكة الفايسبوك في الاعتبار، عند دراسة السوق، المنافسين القادرينمن خلال خدماتهم،على جذب الأفراد، وهي بذلك تضع احتمال خسارة هؤلاء المنجذبين إلى تطبيقات أخرى قد تنجح شيئا فشيئا في استقطاب المستخدمين، ولتجاوز هذا الاحتمال وتحويله إلى نقطة قوة، تقوم بضم هذا التطبيق لتغدو شبيهة بالشركة متعددة الهويات، فهي شبكة متعددة التطبيقات.

تم تعمد إدراج عبارة "شركة" للتأكيد أن الهدف الأول للفايسبوك هو محاصرة المستخدم بتقديم المنتوجات الأكثر جذبا، وضمان الاستهلاك المتكرر حتى تغدو عادة استهلاكية ثابتة، من ذلك اختيار تطبيق الانستغرام(Instagram) مثلا، فالمستخدم يقبل بشدة على الصور التقاطا ونشرا وتقاسما ومشاهدة، ف**"من بين كافة الميزات، تبقى الصورة دون شك الأكثر استهلاكا للوقت (...) لأن الصيغ البصرية هي الأكثر سهولة في الوصول إليها والأكثر جاذبية"**[74].

نلاحظ تنوع الحوافز واختلافها، والخطط العملية المدروسة من طرف المسؤولين على الفايسبوك،فهم لا يقومون باختيارات عشوائية لأية تطبيقات، إنما يحرصون على إضافة تلك التي تخدم الإستراتيجية الاتصالية.

3. 2.2.2.1- إلزامية الاستخدام والإدمان:

إن استخدام مصطلحات مثل "إلزام" و "إجبار" لا تعني، في هذا السياق، اللجوء إلى القوة وغصب المستخدم على ممارسة ما لا يريد فعله، أي ليس هناك إكراه باعتبار أن مسألة استخدام الفايسبوك يقررها الفرد عن طواعية.

تكتفي شبكة الفايسبوك بتقديم خدماتها وعرضها، وترك باب التسجيل والدخول للتواصل، والخروج من الحلقة التفاعلية لمن يريد ذلك، بل وتوفر خيار المغادرة الوقتية (déconnecter) أو النهائية (supprimer le compte)، وتستفسر من خلال جملة من الاحتمالات عن سبب هذا القرار، وذلك لتدارك التقصير وتعديل الخدمة حسب الانتظارات.

[74] Aurélien Viers, "Vous allez passer encore plus de temps sur Facebook",Interview avec Sandrine Plassereaud (directrice générale de l'agence « We are social », Le nouvel observateur, 04/02/2013, http://obsession.nouvelobs.com/high-tech/20140203.OBS4898/vous-allez-passer-encore-plus-de-temps-sur-facebook.html



لا يحصل "الإدمان" على استخدام الشبكة الاجتماعية الافتراضية بصفة مباشرة، أي منذ انضمام الفرد إليها والاطلاع على خصوصياتها، فهذا النوع من التعامل عبر أساليبها التفاعلية لم يتغلغل بعد في سلوكه اليومي كعادة، وهو ما يحصل بصفة تدريجية تراكمية.

قد لا يتفطن المستخدم إلى ترسخها في ممارساته، أو يقبل عليها باختياره ولا يرى تهديدا في ذلك، وقد يسعى في مرحلة متطورة إلى التخلص من هذه العادة الاتصالية، التي غدت شيئا فشيئا أكثر إلحاحا، ولا يستطيع الفكاك منها حتى إذا أراد ذلك، وينصاع لرغبته في التواصل عبر الشبكة.

ينقلب الاستخدام إلى عملية إلزامية تستقطب الفاعل الاجتماعي إليها كالمغناطيس، وتجذبه فيتداخل الطوعي واللاإرادي، والاختيار بالإجبار، وتتحول القدرة على التحكم إلى ضعف يخدر قوة الإرادة إلى درجة تسير فيها الحواس كأنها تحت تأثير منوم، ليجد الفرد نفسه من جديد مبحرا في الشبكة.

ترتبط المسألة بسؤال: هل هناك وقت مخصص للاستخدام يضبطهالفرد أم أنه يتواصل افتراضيا،كلما سنحت له الفرصة بذلك لعدة مرات في اليوم، دون تحديد عدد الساعات التي يقضيها، وهوسؤال متواتر لأن هذه الإشكالية التي يطرحها الفايسبوك تزداد وطأتها وتتعمق، فعندما سئلت ساندرين بلاسورو(Sandrine Plassereaud) المديرة العامة لوكالة (We are social):**"ماهو رأيك في كون الجمهور غدا أكثر فأكثر متعلقا إلى حد الإدمان بالفايسبوك؟**، أجابت: **"نعم، إنها ليست سوى البداية، فالمستخدمون سيقضون وقتا أطول على الفايسبوك خاصة من خلال ما يوفره من تطبيقات"**[75].

تشير عبارة "إدمان" إلى حالة مرضية بلغها المستخدم، وفي هذا الإطار، يتنزل الخلل الاتصالي الذي سببته محاصرة الفايسبوك للمستخدم والسيطرة عليه عن طريق أساليبها التفاعلية، وهو ما يجب أخذه بعين الاعتبار، فكل إدمان، مهما كان نوعه، يسبب خطرا على صاحبه بالدرجة الأولى وعلى الواقع الاجتماعي بالدرجة الثانية، وإذا لم يتم الإحاطة بهذا المشكل، ومنحه ما يلزم من الاهتمام لتدارك الوضع، يتفاقم إلى مستوى تعسر فيه المعالجة.

لا يتعلق الأمر بحالات معزولة أو قليلة العدد، لكن يخص نسبة هامة من المنضمين إلى الشبكة،وهو "إدمان اتصالي" لا يسعى فيه المستخدم إلى تدارك الموقف والإحجام أو ضبط الحاجة التفاعلية،إنما

[75] Aurélien Viers, "Vous allez passer encore plus de temps sur Facebook",Interview avec Sandrine Plassereaud (directrice générale de l'agence « We are social »,Le nouvel observateur, 04/02/2013, http://obsession.nouvelobs.com/high-tech/20140203.OBS4898/vous-allez-passer-encore-plus-de-temps-sur-facebook.html



يستسهل الدخول للتواصل عبر الشبكة عديد المرات في اليوم، ليطول الوقت الذي يقضيه بصفة مطردة، فهو يرفع في كل مرة من "الجرعة التفاعلية" ويستزيد باعتبار أن الجرعة السابقة ما عادت تكفيه أو تحدث فيه التأثير المنتظر.

فإلى أي مدى يمكن الحديث عن استبداد الاتصال[76] الافتراضي الذي يولد نوعا من الاستعباد، ينجر عنه عجز المستخدم عن اتخاذ القرار فيما يتعلق بممارساته الاتصالية؟ ماهي مستويات هذا الاستعباد ودور الأفراد في قبوله وترسيخه؟

سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة في العنصر الموالي باستعراض مظاهر ونتائج البعد الثالث من أبعاد تراكم أساليب التفاعل في شبكة الفايسبوك.

3. 1. 2. 3-استعباد أساليب التفاعل لمستخدمي الفايسبوك: عدم التحكم في اتخاذ القرار:

في هذا السياق البحثي، نرصد استخدام مصطلحات من نظريات نفسية بالأساس مثل النظرية البيهافيورية المعروفة بالحقنة تحت الجلدية أو الرصاصة، وهو ما يثير الحيرة العلمية، فيما يتعلق بهذا الجهاز المفاهيمي، ومدى ملاءمته لتفسير وفهم إشكاليات المجال الافتراضي والممارسات الاتصالية التفاعلية،في إطار تحليل استخدامات المنضمين إلى شبكة الفايسبوك.

إن مصطلح الجماهير والجمهرة في حد ذاته يدعو إلى الاستفهام:"ماهي العبارة الأكثر ملاءمة للذوات البشرية في عصر الاتصال المعولم والمجتمع الشبكي، والانخراط في الفضاء الافتراضي وتدعم الحضور في المجال العمومي: أفراد أم جمهور / جماهير أم فاعلون اجتماعيون أم مستخدمون أم مستهلكون...؟

إلى أي مدى يمكن الاستمرار في الإقرار بما ذهب إليه غوستاف لوبون(Gustave Lebon)بأن **"لا شيء متعمد أو مدروس لدى الجماهير، فهي تستطيع أن تعيش كل أنواع العواطف، وتنتقل من النقيض إلى النقيض بسرعة البرق، وذلك تحت تأثير المحرض السائد في اللحظة التي تعيشها(...) إن الجماهير تشبه الأوراق التي يلعب بها الإعصار ويبعثرها في كل اتجاه قبل أن تتساقط على الأرض"[77]؟**

[76] استبداد الاتصال (La tyrannie de la communication) هي عبارة اقترحها الباحث السوسيولوجي والصحفي الإسبانياقناسيوراموناي(Ignacio Ramonet)

[77]غوستاف لوبون، سيكولوجية الجماهير(Psychologie des foules)، ترجمة وتقديم هاشم صالح، بيروت، دار الساقي،1991، ص ص.64-65.



هل يعني ذلك أنه لم يحصل تطور اتصالي إنساني بالفعل، ويقتصر الأمر على التطور التكنولوجي فحسب،ومستخدمو الفايسبوك ليسوا سوى أفرادامنعزلين ومنقادين، وأساليب التفاعل الافتراضي تتولى "حقن" أنماط الاستخدام والممارسات الاتصالية المختلفة، حسب نظرية الآثار الموحدة في المجتمع الجماهيري؟هل المستخدم إلى هذه الدرجة من السلبية و هل فقد آليات الدفاع والمقاومة؟

3. 1.3.2.1-استعباد أساليب التفاعل لمستخدمي الفايسبوك:

يمكن القول أن مستخدم الفايسبوك مستعبد من طرفين ألا وهما : الشبكة الافتراضية من خلال التشجيع على الاستخدام لأطول وقت ممكن، وهي طريقة استعباد حديثة فهي توفر المجال والأساليب وتجعل الأفراد يدخلون نير هذه العبودية التي تختلف خصائصها عن أشكال ومظاهر الاستعباد القديمة،حيث لا نجد تعذيبا أو حرمانا أو حتى إصدار أوامر وطلب تنفيذها بصفة إجبارية، إنما كل مستخدم يختار الطريقة المناسبة ل"عبوديته" الافتراضية التفاعلية.

ويغدو بذلك المستخدم الطرف الثاني في فرض الاستعباد الاتصالي، وهو استحواذ محبب إلى نفسه، حيث يميل إلى البقاء تحت سطوته، لسهولة الحصول على المآرب في وقت وجيز، لتميز الشبكة بالاستخدام المفتوح والبسيط والمجاني.

إذن، يختار الفرد ممارسات تفاعلية لغاية التحرر فيفرض على نفسه مزيدا من القيود، وهو ما ينجر عنه عدم التحكم في اتخاذ القرار.

3. 1.3.2.1- عدم التحكم في اتخاذ القرار:

إن الملاحظ لتطور وتحيين الأساليب التفاعلية (mise à jour)، يمكنه الإقرار أن الضوابط الاتصالية الموضوعة لا تحد من حرية المستخدم، ولا توجه خياراته، ولا تجبره على اعتماد أسلوب تفاعل دون آخر أو إنتاج مضمون معين، فالفرد هو الذي يقود العملية الاتصالية إلى الوجهة التي يرغب فيها،مستغلا ما توفره الشبكة من إمكانيات متنوعة يتم تقديمها لخدمة تمثلاته وتعزيز رؤيته التحررية.

تفتح الأساليب التفاعلية، في شبكة الفايسبوك، أبوابا جديدة لحرية الاختيار كي يدخل عبرها المستخدمون، وقد يقعون في وضعية استعباد، فبالعودة إلى الدراسة التي قام بها ويلهالمهوفمان (Wilhelm Hofmann)،لا يتعلق السبب باللجوء إلى هذه الأساليب فحسب، إنما من حيث المنطلق أي مجرد الدخول إلى الشبكة، حيث لا يتمكن الفرد من السيطرة على رغبة تحاصره، ولا يستطيع تجاهلها



أو اتخاذ قرار عدم الدخول، حيث**"أكد المستجوبون المشاركون في الدراسة أن الرغبة في تصفح الشبكة الاجتماعية هي الرغبة الأكثر صعوبة من حيث المقاومة"**[78].

في هذا الإطار، تتعدد درجات عدم التحكم في اتخاذ القرار، ولعل أكثرها عمقا وتهديدا للحرية الذاتية هي التواصل عبر الفايسبوك من أجل الاستخدام كغاية محورية دون تحديد أهداف للمدى القصير أو البعيد، فالمهم هو الاستخدام في حد ذاته.

تحول مجرد الدخول والتصفح حاجة اتصالية لا يمكن للفرد الاستغناء عنها، فهي بالنسبة إليه من الضروريات التي لا تستقيم حياته دونها، وصورت بعض المنشورات في صفحات الفايسبوك هذه الوضعية، وتم اختيار مثالين لإدراجهما في الوثيقة التالية لتحليل رمزية رسائلهما:

الوثيقة عدد 33: استعباد أساليب التفاعل لمستخدمي الفايسبوك: عدم التحكم وفقدان السيطرة



في **المضمون الأول**، تم تجسيد الفايسبوك بتحويله إلى شخص لحوح، من خلال إعادته لخطابه اللفظي الذي يوجهه إلى الشخص المشغول،ويظهر من ملامحه أنه يعاني من حالة حيرة وانشطار انفعالي بين أمرين، وهو يرجو من الشبكة الافتراضية، التي تحثه على الإبحار،أن تتركهفي سبيل حاله،فهو يحاول التركيز ليطلع على الكراس أو الكتاب المفتوح.

نستنتج من خلال هذا المشهد أن التواصل عبر الفايسبوك غدا شاغلا لتفكير الأفراد،خاصة عندما يغادرونه للقيام بمشاغلهم الحياتية، وهو ما يسبب فقدان التركيز في ذلك العمل،فالحاجة التواصلية عبر الفايسبوك تولد نوعا من التشويش الذهني.

[78] Le nouvel observateur avec AFP ,"Facebook et Twitter seraient plus tentants que le sexe", 08/10/2012 , http://obsession.nouvelobs.com/facebook/20121008.OBS4882/facebook-et-twitter-seraient-plus-tentants-que-le-sexe.html



يمكن تفسير هذه الوضعية وتشبيهها بنوع من الغزو الاتصالي للأفكار والاهتمامات والوقت من طرف الفايسبوك، وهو غزو "ناعم" يسيطر بشكل ثابت ودائم حتى يخضع له الفرد، ويعجز عن اتخاذ القرار، سواء كان لمصلحته الشخصية التي تحتاج منه بدورها عناية أو مصالحه الاتصالية بأشكالها المتعددةالتي تربطه بالآخرين.

اقتصر محتوى **المضمون الثاني** على الخطاب اللفظي، محتلا بذلك أهمية من خلال الرسالة التي يوجهها، ما دفع إلى اعتماد خلفية سوداء، ليغدو هذا الخطاب أكثر بروزا ووضوحا، مع استخدام الأبيض والأزرق في الرقن، وإحاطته أيضا بإطار أزرق وهو اللون المميز للفايسبوك، فبدا المضمون شبيها بواجهة شاشة تستعرض محتوى يهدف إلى لفت انتباه المتلقي، مع الحرص على استخدام خط سهل في قراءته واعتماد حجم متوسط لحروفه، إضافة إلى أنه يتكون من جمل قصيرة متسلسلة تسرد أحداثا متتالية (مغادرة الفايسبوك. إغلاق الحاسوب المحمول. الذهاب إلى السرير. فتح الهاتف الجوال. الدخول من جديد للفايسبوك).

يؤكد الخطاب اللفظي أن استخدام الفايسبوك يوحي بممارسة دائرية مغلقة، حيث يتم الانطلاق من نقطة (Facebook) للعودة بعد جملة من الأحداث إلى نفس النقطة (Facebook) ضمن سلسلة من الأفعال، التي تمثل تصرفا إراديا في ظاهره لغياب أي ضغط أو إجبار، لكن، استحوذت الشبكة الافتراضية على تفكير الفرد، إلى درجة يمكن أن نشبه فيها هذا الموقع بمحرك العرائس، والمستخدم هو الدمية (marionnette) التي يتم تحريكها والتحكم في ممارساتها الاتصالية.

تأتي الجملة الأخيرة في الخطاب اللفظي لتثبت أن هذا التوصيف للحالة التي يعيشها المستخدم ليست على سبيل المبالغة أو من وحي الخيال، إنما هي نقل للواقع كما هو (true story).

إذن، هناك إقرار من طرف الفرد بأنه شيئا فشيئا فقد السيطرة، وهو ما تتباين الآراء حوله وتنقسم حسب التقريب إلى ثلاثة:**أولا،** أولئك الذي يقرون بهذا الانجذاب ولا يرون فيه أمرا سلبيا، وإنما تلبية للحاجة الاتصالية بيسر.

ثانيا،أولئك الذين يرون في هذه الوضعية خللا، لكنهم، عاجزون عن الأخذ بزمام الأمور، ويجدون أنفسهم مجبرين على الانسياق للرغبة الاتصالية الخارجة عن السيطرة.

ثالثا، أولئك الذي يعترفون بدورهم بهذا الخلل مع السعي الجاد والمحاولة المستمرة لاستعادة السيطرة والتحررمن هذا الاستعباد، واسترجاع عجلة القيادة من الفايسبوك للتحكم في الفعل التواصلي، وتوجيهه حسب إرادة الذات الفاعلة والالتزام بقراراتها.



***استنتاج:**

تجدر الإشارة، أن أبعاد تراكم أساليب التفاعل مترابطة، حيث يؤدي أحدها إلى الآخر،فسلعنة الاتصال التي ينجم عنها تغليب العقل الوسائلي على العقل الإيجابي، ولدت محاصرة المستخدم والسيطرة عليه، إلى درجة غدا فيها استخدامه للشبكة الافتراضية نوعا من الإلزام الاختياري نتيجة الإدمان على التواصل في الفايسبوك، الذي نجح في "أسره" بأساليبه التفاعلية، إلى حد يفقد فيه السيطرة، وهو ما ينجر عنه عدم التحكم في اتخاذ القرار.

قد يظل المستخدم سجين هذه الدائرة الافتراضية دون التفطن إلى كونها مفتوحة، ما يعني ضرورة الخروج منها بين الفينة والأخرى للمراجعة والتقييم، وإلا قد تتسبب هذه التكنولوجيا، بطرفها التقني الذي تقوده شبكة الفايسبوك وطرفها الاجتماعي النفسي لمستخدمي هذه الشبكة الافتراضية،في خلل اتصالي ينجم عن اختلال موازين التواصل.

3. 2- اختلال موازين التواصل:

يسعى الفرد، من خلال عملياته الاتصالية المختلفة، إلى تحقيق جملة من الأهداف، لعل أبرزها تعزيز رأسماله الاجتماعي، وهو **"مجموعة الصلات التي يعقدها الفرد داخل الشبكة الاجتماعية، فالفرد عضو في شبكات اجتماعية مختلفة ومتنوعة، وهذه الشبكات هي مفتاح الفوائد المادية والرمزية، ولا بد له أن يمتلك رأسمالا اجتماعيا يمكنه من استثمار العلاقات الاجتماعية المتنوعة لزيادة الرأسمال الكلي الخاص به"**[79].

في هذا الإطار،نستفهم عن مدى قدرة الفاعل الاجتماعي على الموازنة بين عملياته الاتصالية في الشبكات المتعددة، أم هناك ترجيح لكفة الافتراضي على حساب المباشر، خاصة أمام الاستخدام المتزايد لشبكة الفايسبوك التي اقتحمت واقع الفرد لغاياتمتنوعة، من بينها الترسخ في عاداته الاتصالية والتفاعلية، وعرض عوالمه الذاتية ليكتشفها ويكشفها للأطراف المشاركة في العملية الاتصالية،لتأكيد مكانته الاجتماعية من خلال إنتاج مضامين ونشرها.

في هذا السياق، تطرح جملة من المسائل التي سيتم استعراضها **أولا**، والتعرف على خصائصها **ثانيا**، وتحليل مظاهرها ونتائجها الممكنة على المدى القريب والبعيد **ثالثا**، وذلك للوقوف عند صحة الفرضية التي تورد احتمال تسبب شبكة الفايسبوك، من ناحية، وأنماط استخدام الأفراد لأساليبها، من ناحية أخرى، في إحداث اختلال موازين التواصل، وذلك على ثلاثة مستويات مدرجة في الرسم البياني التالي:

[79]John Field, Social Capital, London, NewYork, Routeledge, 2003, p.17.



الرسم البياني عدد 9:مستويات اختلال موازين التواصل



3. 2. 1- اختلال موازين التواصل على مستوى الممارسات الاجتماعية:

سيتم تسليط الضوء على بعض ممارسات مستخدمي الفايسبوك،عبر تحليل المضامين التي يقومون بنشرها، أي القيام باستقراء فعل قصدي وليس خارج عن نطاق السيطرة لسبب من الأسباب، وذلك لمعرفة مدى التحكم في الممارسات الافتراضية أم أن هناك تغييب للمراقبة الذاتية بصفة جزئية أو كلية.

قد يبلغ المستخدم درجة "الانفلات التفاعلي"، لمجرد إثبات الحضور دون خوف من الرفض والإقصاء من تحميله مسؤولية ممارسته التي تخترق المبادئ المجتمعية، وتفسح المجال لعدم الالتزام بمستوى معين من الاحترام الذي يتطلبه النقاش في هذه الحلبة الاتصالية الافتراضية، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال الجملة الواردة في المنشورفي الوثيقة التالية، والتي عرف من خلالها القائم بالاتصال بنفسه في إطار ذكر المعلومات العامة:

الوثيقة عدد 34:اختلال موازين التواصل:التشجيععلى عدم احترام أدبيات الحوار والنقاش





يبدو محتوى المضمون عاديا سواء كان اللفظي على مستوى العنوان المرتكز على مقابلة بين تسميتين وزمنين، وهي لا تمثل تناقضا، إنماتأكيد على التكامل بين الماضي والحاضر، مع إدراج مقولة لمفكر تونسي (الطاهر الحداد) ذائع الصيت ومعروف بأفكاره التحررية الساعية للتغيير الذي يجب أن ينطلق من الذات،واكتشاف الحياة الكامنة فيها عوض البحث عنها والمطالبة بها من أطراف أخرى، مع بيان الاتجاه السياسي (أقصى اليسار)، لكن، ما يستدعي التوقف عنده هو الجملة التي أضافها القائم بالاتصال للتعريف بصفحته (صفحة تتداول كلام بذيء وعبارات نابية)، وفي ذلك تشجيع صريح على عدم احترام أدبيات الحوار والنقاش.

ينجر عن ذلك خلل في العملية الاتصالية، في شبكة الفايسبوك،إذا تم تطبيقه في هذه الصفحة، أو تعميمه في بقية الصفحات إلى درجة اعتبار ذلك ممارسة عادية، في السياق التواصلي التحرري، ولجوء مستخدمي الفايسبوك إلى العنف اللفظي للتعبير عن آرائهم ومواقفهم، عوض تبادل الحجج واستخدام البراهين لتأييد أو رفض فكرة معينة.

قد تتسبب هذه الممارسة في اختلال موازين التواصل لصاحب الصفحة بينه وبين ذاته **أولا**، باعتباره يحيد عمدا عن السلوك الذي يخول له توسيع دائرته الاتصالية، وبينه وبين الآخرين **ثانيا**، فهو بهذه الطريقة يضطر بعض المستخدمين أن ينفضّوا من حلقته التفاعلية التي لا تحترم الاختلاف، وهو ما يجعلها لا تستجيب إلى ما يحتاجه التبادل الاتصالي من تعددية وديمقراطية وغيرها من المبادئ الأساسية.

وهي ممارسة عشوائية ناتجة عن سوء فهم للحرية، والاكتفاء باستخدامها من منطلق انفعالي ضيق يغلب مصلحة الفردانية المتطرفة، عوض توجيه هذا المكسب لإيجاد حلول لتأزم المجتمع الذي يشهد جملة من المشاكل، لعل أبرز مظاهرها العنف الاجتماعي في تجليه الأكثر خطورة أي العمليات الإرهابية، لتضاف إليها أزمة اتصالية نتيجة عدم احترام أدبيات الحوار والتعبير عن الكراهية والتشفي.

تم رصد ذلك في الخطابات اللفظية التي أوردها بعض مستخدمي الفايسبوك كتعليق على حادثة دهس تسببت فيها حافلة وسط مدينة برشلونة في 17 أوت 2017[80]، باستثناء تعليق مستخدم واحد على إحدى ردود الفعل الذي عبر من خلال سؤاله (ربنا معينك تحط الناس بالجنة والنار ولا كيف؟)عن استنكاره

[80]انظر الوثيقة عدد 35 في الملاحق صفحة206



لوجهة نظر عدائية لم تقتصر على القائم بالفعل الإرهابي فحسب، إنما الضحية أيضا والدعاء عليهما (كله على جهنم الداعس والمدعوس الله لا يستر عليهم).

في هذا السياق، يمكن ملاحظة تغييب مستخدم الفايسبوك للتفكير العقلاني، قبل القيام بممارسته التفاعلية، وعدم التمحيص في هذه الظاهرة الاجتماعية التي تؤثر سلبا، في كافة المجتمعات، مهما كانت انتماءات وديانات أفرادها، وفي ذلك تعبير صريح عن رفض الآخر المختلف، وكشف عن الرغبة الدفينة في إقصائه، ما أكده الخطاب اللفظي الذي استعرض عدم الاكتراث (مالنا ومالهم خلينا بحالنا).

إن هذا الموقف، إلى جانب كونه سلبيا، يشي بعدم وعي صاحبه بأن هذه الأزمة ليست ضيقة النطاق ولا تخص مجتمعا بعينه، إنما هو مشكل يهدد الإنسانية الذي هو طرف فيها، وباعتباره فاعلا اجتماعيا، من المفترض أن يهتم بالقضايا التي تشكل تهديدا للذات البشرية، ويعبر عن رفضه لأي شكل من أشكال العنف.

تكرر الدعاء بالشر في أكثر من تعليق (الله لا يردهم - الله يزيدهم- ربنا ينتقم منهم كمان وكمان)، هناك من قرن دعاءه باعتبار أن هذه العمليات الإرهابية التي تحصل في مجتمع غربي عقاب إلهي وانتصار للإسلام (الله لا يرفع شدة عن الكفار كلهم الله يسمعنا الأخبار الطيبة).

ذهب البعض الآخر إلى أبعد من الحوادث الإرهابية أي المقارنة بين صنوين، إنما تطرق إلى أوضاع أخرى تشهدها المجتمعات العربية، واعتبار أن ما حدث لضحايا "عملية برشلونة" جزاء و"أخذا بثأر" أطفال العرب والمسلمين (اللهم اشغلهم بنفسهم وردّ كيدهم لنحرهم. يعني هم حرام وأطفال العرب والمسلمين قتلهم وتجويعهم حلال؟؟!!).

هناك من استحضر حادثة أخرى للمقارنة بين الضحايا حسب دينهم، لترجيح كفة المسلمين واعتبارهم شهداء على حساب غير المسلمين (ليش هم أحسن من الحجاج إلي توفوا بالتدافع وعددهم ألف شهيد)، بل وجردهم تعليق من إنسانيتهم لغاية التحقير (كلاب و فطسوو)، والتأكيد أن ضحايا العمل الإرهابي لا يشكل موتهم بهذه الطريقة حدثا ملفتا للانتباه ولا يستحق الاهتمام، إنما على العكس،فقد تم التخلص منهم لأنهم لا قيمة لهم، أو لأنه لا غرابة من أن يلقوا مصيرا مشابها (طز بستين داهية).



نرصد التخلي الكامل عن مبادئ التعايش السلمي بين مختلف الذوات البشرية، حيث يعتبر احترام هذه المبادئ ضرورة لا غنى عنها، فهي العماد الجوهري الذي يرتكز عليه النسيج العلائقي للمجتمعات، ودونه يتم الانتقال من السلم إلى الحرب ومن القانون إلى الفوضى.

يمكن اعتبار هذه المضامين شكلا من أشكال الإرهاب اللفظي، نظرا لما تحمله رموزها من تكفير وكراهية وتشفي وتمجيد للعنف وعدم استنكاره، وهي قضية على غاية من الأهمية، لأنها تحتمل قراءتين ممكنتين:

تدعم **القراءة الأولى** فكرة تحول الفايسبوك، نتيجة هذه الممارسات، إلى داعم لترويج الفكر الإرهابي كمجال مفتوح للتعبير الحر، عوض اتخاذه وسيلة لمواجهة العنف الاجتماعي، أي أن هذه الشبكة الافتراضية ساهمت في تعميق الأزمة التواصلية.

تؤكد **القراءة الثانية** أن هذا الخلل الاتصالي الذي كشفت عنه بعض ممارسات مستخدمي الفايسبوك،يمكن اعتباره أمرا عاديا ينبثق من الواقع الاجتماعي أي أن هذه "العشوائية" التفاعلية، وهذا التعبير عن الغضب وتوجيه التهم للأطراف الأخرى، وغيرها من ردود الفعل التي ينشرها المستخدمون بكل حرية دون خوف، قد تفسر الرغبة في استخدام الحق في التعبير، بعد سنين من الحرمان الذي نجم عنه تراكمات، ويريد الفرد التفريج عنها دون امتلاك الآليات الكفيلة الضامنة للاستخدام السليم لهذا الحق.

في هذا السياق، لا ننسى حداثة تمتع الفرد العربي بالحرية، وهو ما قد يعرضه للخطأ في توجيهها لمصلحته الذاتية والمجتمعية، فالأمر يتطلب دربة لاكتساب خبرة اتصالية من التجارب التفاعلية المختلفة التي سيقوم بها، ليستخلص جملة من الاستنتاجات التي قد يعتمدها لتجاوز هذا الخلل الذي يهدد العملية الاتصالية.

يمكن التعرف على وجهات النظر المتباينة عبر مضامين الفايسبوك التي ينشرها مستخدموه، ولكن الأهم تشخيص الخلل الاتصالي،عن طريق تحليل الممارسات التفاعلية التي قد يبقيها الفاعل الاجتماعي محجوبة في عملياته الاتصالية المباشرة، وهو نوع من التغييب المقصود الذي لا يعني عدم وجود خلل يستدعي الوقوف عنده ومحاولة معالجته.

بالتالي، يمكن تشبيه مستخدم الفايسبوك في هذا السياق ب"المريض النفسي" الذي يلجأ إلى الطبيب الذي يوفر له مساحة غير محدودة من حرية التعبير دون ضبط شروط للتقيد بها.يتولى الباحث مهمة متابعة "الحالات" المختلفة، واستقراء رسائلها الاتصالية ومعاينة رمزية دلالاتها، في محاولة لرصد مواطن الخلل الذي لم يقتصر على الممارسات فحسب، وإنما شمل أيضا العلاقات الاجتماعية.



3. 2. 2- اختلال موازين التواصل على مستوى العلاقات الاجتماعية:

تتعدد مظاهر ومستويات خلل موازين التواصل على مستوى العلاقات الاجتماعية نتيجة طرق استخدام شبكة الفايسبوك، خاصة مع التطور الذي تشهده تكنولوجيات الاتصال التي تجعل التواصل الافتراضي أمرا يسيرا، ويغدو في المتناول بمجرد تنزيل التطبيق على الهاتف الجوال أو اللوحة الرقمية، وهي أجهزة يمكن للفرد استخدامها متى وأين رغب في ذلك بكل سهولة،مزاوجا بين الافتراضي والمباشر.

3. 2. 2. 1-اختلال موازين التواصل والتفاعل مع الآخر:

منحت السهولة التي وفرها التطور التقني الفرصة لتلبية الحاجات الاتصالية الافتراضية دون عائق،إلا أن هناك أنماطا من الاستخدام تقلب هذا التوازن التفاعلي إلى اختلال على مستوى العلاقة المباشرة مع الآخر، ولتوضيح الفكرة، تم إدراج هذين المنشورين في الوثيقة التالية:

الوثيقة عدد36: اختلال موازين التواصل والتفاعل مع الآخر



ينقل **المضمون الأول** مشهدا مأخوذا من الشارع، حيث نرى عددا من المارة الذين يعبرون دون التوقف أمام العازف الجالس على الرصيف، لإعارته اهتماما ملموسا، باعتبار أنهم مشغولون بالتواصل عبر هواتفهم ولوحاتهم الرقمية، واكتفوا بالتفاعل مع العازف معتمدين أساليب الفايسبوك المعبرة عن الإعجاب والوجوه المبتسمة التي ينظر إليها العازف مستغربا وقد أحاطت به من كل اتجاه.

يمكن إدراج هذا المضمون في صلب الرسم الكاريكاتوري، حيث قام بتصوير المشهد بطريقة ساخرة لتبليغ جملة من الرسائل لعل أهمها: انجذاب الفاعل الاجتماعي للافتراضي على حساب الواقعي، واستبدال



التعبير المباشر بالتفاعل الافتراضي، أي أن هناك تغيرا طرأ على مستوى الفعل ورد الفعل،والتلقي والإرسال.

غدا استخدام الأساليب التفاعلية الافتراضية لشبكة الفايسبوك الغاية الأساسية التي تحتل دون سواها الأولوية، إلى درجة حصر العملية الاتصالية في اللجوء إليها فحسب، دون التمحيص في المضامين والعلاقات.

قصر الفرد دوره على التفاعل الافتراضي الذي لا يكلفه شيئا سوى ضغطة زر، دون سعي إلى توطيد علاقته مع الآخر من خلال إعارته الانتباه الذي يحتاجه، كالإصغاء إليه والتفاعل الملموس، بما أن العازفين المتجولين يقومون بهذا العمل لكسب المال الذي يقدمه لهم الناس الذين يتوقفون للاستماع والاستمتاع بالموسيقى، لكن، بهذه الطريقة، لا يمكن تحقيق نفع، لغياب التفاعل المطلوب، بما أن ما تم الحصول عليه من إعجاب ووجوه ضاحكة "عملة" لا يمكن صرفها في الواقع.

يمكن اعتبار اختيار العزف، كرمز في هذه الصورة، دون غيره من المهن اختيارا نجح في الوظيفة التي أراد القائم بالاتصال أن يضطلع بها، بما أن الصوت، سواء تم رصده في الحديث أو الإصغاء، من مرتكزات الاتصال المباشر، وهنا نستشف تأثير التفاعل الافتراضي في هذا النوع من الاتصال الذي غدا مهددا.

وهو ما يؤكده **المضمون الثاني** الذي خيم الصمت على شخصيتيه الرئيسيتين،رغم أنهما في علاقة اتصال مباشر، واختارا اللقاء لتبادل الحديث، لكن، رغم تواجدهما جالسين على نفس الطاولة في مطعم وجها لوجه، إلا أن أحدهما لا ينظر إلى الآخر ولا يكلمه، إلى درجة يمكن اعتبار هذا الطرف الآخر غير موجود، بما أن كل شخصية تمسك هاتفها الجوال ومستغرقة استغراقا تاما في عالمها الذاتي الذي يوفره لها المجال الافتراضي، وهو ما جعلهما يحيدان عن الغاية الاتصالية للقاء الذي أرادا أن يجمعهما، وحتى صحن الطعام الذي أمام كل منهما ما زال على حاله.

إذن، يمكن رصد اختلال في موازين التواصل، حيث لا يولي الفرد الطرف الآخر في العملية الاتصالية المباشرة اهتماما، وهو ما من شأنه التأثير في العلاقات الإنسانية بصفة عامة،إذ يرجح المستخدم كفة تواصله الافتراضي على حساب روابطه المباشرة وما تكتسيه من أهمية منبثقة من خصوصياتها المتعددة.

تدفع هاتان الوضعيتان في المضمونين إلى التساؤل عن التأثير على المدى البعيد، إذا تم الانسحاب شيئا فشيئا من الواقع الاجتماعي، وإن جمع الأفراد مكان واحد، إلا أنهم لا يتفاعلون مع بعضهم البعض،



وإنما يبقى كل منهم، في عالمه الافتراضي، منكبا على هاتفه، وهل يمكن أن يتسبب ذلك في التخلي عن الخطاب اللفظي المباشر، وما ينتجه من تبادل عن طريق الحوار والنقاش، ويتحول الفرد إلى كائن صامت، ولا يتعامل مع الآخرين إلا عن طريق الأساليب التفاعلية الافتراضية فحسب.

3 .2 .2 .2- تبني المستخدم مواقف مهددة للرأسمال العلائقي:

لا يقتصر تأثير استخدام شبكة الفايسبوك في اختلال موازين التواصل على مستوى العلاقات الاجتماعية المباشرة مع الآخر عند هذا الحد، وتستعرض هذه الوثيقة ثلاثة مضامين تم التعبير من خلالها عنرؤية فردانية تمنح الأولوية للمصلحة الذاتية الضيقة:



الوثيقة عدد 37: اختلال موازين التواصل على مستوى العلاقات الاجتماعية

قامت المنشورات على الخطاب اللفظي أساسا، مع اختيار خلفية قادرة على جعله بارزا للمحافظة على درجة ملائمة من المقروئية، مع إضافة شخصية في المضمون الثالث، لمزيد التوضيح عبر ملامح وجهه ووضعية أصابعه التي تتماشى مع الحالات المذكورة تباعا في خطابه.

ورد الخطاب اللفظي في هذه المضامين مباشرا، مع استخدام ضمير المتكلم المفرد في الأفعال (نحبو. نبيع. نشريه. نبيعو. نرميه)، أو ضمير "نحن" لتوسيع رقعة الرسالة من الخاص إلى العام، ومن الذاتي إلى الجماعي، (نعيشو. قدرنا. غدرنا)، كما أن هناك اعتماد على الأسلوب التقريري الذي يبين جملة من الوضعيات للخروج بعد ذلك باستنتاج معين.

اشتركت هذه المضامين في التصور الذي قدمته للعلاقات الاجتماعية، وهو تصور قائم على ثنائية "أنا" و "هو" - "نحن" و "هم"، وقد أدرج ذلك للفصل لا للوصل ولإبراز التناقضلا التكامل.



تم الاقتصار على هاتين الزاويتين في تقييم العلاقات، التي تتمثل في العلاقات الوطيدة التي تلبي حاجة صاحب الخطاب، وهي التي يمنحها اهتمامه دون حدود، وعلاقات لا تتسم بالوفاء،إنما على النقيض، قد تبلغ درجة الغدر، والتي يتم التعامل تجاهها إما بالتعبير العنيف (في أقرب زبلة نرميه)، أو بالتأكيد على عدم المبالاة بمن اختار تصرفا شبيها (طز فلي غدرنا)، مع تقديم العلاقة بالذات على بقية الروابط الاجتماعية الأخرى مهما كان نوعها (نعيشو بقدرنا)، والإقرار بعدم الاهتمام بخسارة العلاقة مع الآخر.

في هذا السياق، يمكن الإشارة أن في المضمونين الأول والثاني تقييم متطرف للعلاقات، من أقصى الإيجابية إلى أقصى السلبية، دون الأخذ بعين الاعتبار لوجود مستويات أخرى، إضافة إلى الغياب التام للمبادرة من طرف صاحب الخطاب اللفظي لمحاولة الإصلاح أو إرجاع العلاقة إلى ما كانت عليه أو فتح باب النقاش لمعرفة الدوافع.

في **المضمون الأول،** هناك قرار جازم لا يتسع لأكثر من احتمالين يؤديان إلى أفعال مجازية فيها مغالاة وإلغاء للمنطق، ليضيق إلى احتمال واحد، في **المضمون الثاني،** مع تعمد المغالطة بإيراد الخطاب اللفظي على لسان شخصية مشهورة في تاريخ الأدب (شكسبير)، وهو ما يمنح الخطاب اللفظي قيمة رمزية تتوزع بين الجدية لتنزيل هذا الخطاب مكانة الحكمة والقول المأثور، والسخرية كطريقة لشد انتباه متلقي الرسالة، ويغدو قول الحكم أمرا هينا في متناول الجميع، من خلال استقائها من الحياة الشخصية، وما يمر به الفرد من تجارب جعلته يؤمن بذاته كمركز للاهتمام، مقابل تجاهل كل علاقة لا ترتبط بهذا المركز ولا تدعمه.

تزداد الرؤية ضيقا، في **المضمون الثالث،** إلى درجة المقارنة والتفضيل، وترجيح كفة الاحتياجات الفيزيولوجية ومتطلبات الاتصال الافتراضي على حساب العلاقات الاجتماعية، وذلك للعب دور الضحية (البعض يرحلون بلا سبب)، وعدم الاجتهاد للبحث عن أسباب توتر العلاقة (البعض يكرهونك بلا سبب)، وفي ذلك تصريح بمزاجية الآخر وتصرفاته المفتقرة إلى المنطق، وهو ما يجعل صاحب الخطاب اللفظي لا يتكبد عناء الاستقصاء، لأن ذلك مجهود لا طائل منه، لا لغياب الأسباب فحسب، إنما لعدم حضور العلاقة مع الآخر ضمن الحاجات الضرورية التي تم التنصيص عليها.

نلاحظ، انطلاقا من هذا الإقرار، تحويرا على مستوى الأولويات وتغييرا في الترتيب الذي اقترحه أبراهام ماسلو (Abraham Maslow) في هرم الاحتياجات، ليغدو الاتصال الافتراضي والمتطلبات الفيزيولوجيةفي المرتبة الأولى،وتصبح هاتان الحاجتان ركيزتان كي يحافظ الإنسان على بقائه،على حساب المتطلبات التي تخول للمجتمع الاستمرار على أساس النسيج العلائقي الذي يرتبط فيه الأفراد بعضهم ببعض.



في هذا الإطار، يمكن القول أن احتياجات الكائن البشري تتجاوز الأكل والشرب هذا من جهة،ومن جهة أخرى، من المفترض أن يسخّر المستخدم الاتصال الافتراضي لتعزيز رأسماله الاجتماعي والرمزي، وليس التقوقع في فردانية متطرفة تكتفي بإصدار الأحكام أو الإقصاء المباشر، والحط من قيمة العلاقات، وهو ما قد يتسبب في الحياد عن الغاية الأساسية لتطور الاتصال والمتمثلة في توسيع الرقعة العلائقية للذات البشرية، وتعزيز طرق تفاعلها مع الآخر.

3. 2 . 2 .3- دور الأساليب التفاعلية في اختلال موازين التواصل على مستوى العلاقات:

تعتبر أنماط الاستخدام وطرق التعامل والتكيف لربط الصلات وحلهاالجانب الأول من جوانب اختلال موازين التواصل الذي يكون المتسبب فيه شبكة الفايسبوك، من خلال ما تعمد إلى تركيزه من آليات قادرة على رصد عملية الاتصال الافتراضي في جميع مراحلها، مند دخول الفرد إلى الشبكةحتى خروجه منها، وتحديد الوسيلة التي اعتمدها للتواصل، سواء كانت هاتفا جوالا أو جهاز كمبيوتر، وهو أمر تحتمل رمزيته قراءات عدة حسب زاويتي تحليل،وهما الفايسبوك والمستخدم.

أ- تقييم الإستراتيجية المعتمدة من زاوية الفايسبوك:

يمكن النظر إلى هذه الإستراتيجية التي تعتمدها الشبكة الافتراضية، على أنها تقدم خدمة للمستخدمين، حيث يتم منح معلومات حول الحضور أو الغياب للتمكن من اتخاذ القرار المناسب للتفاعل عبر المحادثة الفورية مثلا، أو الإعلام بتلقي الطرف الأخر للرسالة الموجهة إليه.

بالتالي،تسعى الإستراتيجية إلى مد المستخدم بالمعلومة بصفة فورية لمزيد تقريب العلاقات، وجعل خصوصياتها قريبة من تلك التي تتسم بها علاقات الاتصال المباشر.

لكن، هناك تفسير ثان، حيث **"يعتبر البحث على كيفية توثيق(documenter) الأفراد،إعلان حضورهم وجعل تصرفاتهم جلية نفيا للإنسان الرقمي من الأراضي الإنسانية. في نهاية المطاف، السؤال المطروح على الشبكات ليس هو الفاصل بين العام/ الخاص أي المفتوح/ المغلق أو المعروض/ الخفي، وإنما هو بالأساس الجدلية القائمة بين الحساب(calcul)والعلاقة"**[81].

وهو ما يجعل الهدف الجوهري للفايسبوك كموقع للتواصل الاجتماعي، المتمثل في إثراء العلاقات الإنسانية والبحث عن طرق تعزيزها عبر الأساليب التفاعلية،ينقلب إلى مجرد غاية معلنة، لتكشف هذه الإستراتيجية عما يسعى إليه القائمون على الفايسبوك في الواقع، واعتبارهم المستخدم مجرد

[81]Louise Merzeau, Les périmètres de la personne en hypersphère", ibid, p.225.



رقم في معادلة حيث يتم رصد الأساليب التفاعلية المعتمدة واحتساب المدة الزمنية المخصصة للاتصال مع الآخر.

في هذا السياق، يغدو الفايسبوك شبيها بالبورصة التي تضارب بالعلاقات الإنسانية، وكل علاقة هي سهم من الأسهم يجب أن لا تنخفض قيمته أو يتم خسارته، إذا ما قرر الفرد الانسحاب من الشبكة أو الانتقال إلى أخرى.

<u>**ب- تقييم المستخدم للإستراتيجية المعتمدة من طرف الفايسبوك:**</u>

يقدم المستخدم قراءته الخاصة لهذه الإستراتيجية، وهو ما يمكن ملاحظته في المضمون في الوثيقة التالية:

الوثيقة عدد 38: الاعتراف برغبة المستخدم في التستر وعدم كشف حضوره في الشبكة



تبرز الشخصية الجاثية على ركبتيها رافعة يديها ممسكة بهما رأسها، في الجانب الأيمن من الصورة، لتكون بذلك في حالة شبيهة بوضعية الندبة أو التويل، وهو ما تؤكده ملامح الوجه العابسة الدالة على الحزن أو عدم الرضى، وهي شخصية تم الكشف عن جنسيتها من خلال ما ترتديه من ملابس تحمل العلم التونسي، ما يجعل خطابها اللفظي باللهجة العامية، التي تمتزج فيها العربية بالفرنسية، عند إيراد العبارات الخاصة بضبط الفايسبوك لعملية الاتصال على مستويات مختلفة.

أُدرج الخطاب في قالب ساخر هزلي إلى درجة أورد صاحبه التعبير اللفظي الذي يمثله صوت الضحك (ههه) المصاحب عادة لحالة من الغبطة والفرح أو التهكم.



تم التصريح الضمني بعدم رغبة المستخدم في هذا العرض المفصل للبيانات، حيث يرى في ذلك تقييدا لحريته في "ادعاء" عدم حضوره أو عدم تواصله عبر الشبكة، وهو ما يجعله غير قادر على التملص من مواجهة الغير، عند عدم الاستعدادللتواصل معه لسبب من الأسباب، أو عدم الرد على رسالته التي قد يرغب في الاطلاع على فحواها فحسب دون أن يكون مطالبا بالإجابة، لكن هذه الطريقة الضمنية (vu) قد تدفعه إلى ممارسة تفاعلية معينة، وإذا غابت الإجابة يتم فتح باب التأويل من طرف الشخص الآخر وقد يعتبر ذلك تجاهلا مقصودا، وهو ما يؤثر سلبا في العلاقة.

من ناحية أخرى، نلاحظ رغبة من المستخدم في الاطلاع عن طريق تواصله عبر شبكة الفايسبوك على المستجدات، سواء تعلقت بالأخبار المحلية أو العالمية، أو المرتبطة بالأشخاص الموجودين في قائمة أصدقائه من خلال تصفح حساباتهم (حتى هذه الممارسة غدت مكشوفة حيث يمكن للمستخدم التعرف على من زار صفحته)، أو الاطلاع على مضامين منشوراتهم التي تظهر في حسابه، في حين أنه لا يريد أن يكتشف هذا الآخر، أي الطرف أو الأطراف المشتركة معه في العملية الاتصالية الافتراضية، حضوره وتواصله في الشبكة، ويرى في هذا الكشف سببا من أسباب "الخراب" الاتصالي والتفاعلي بالنسبة له (ناوي على خلاها السيد- يقصد مارك زوكربيرغ-).

في هذا الإطار، نرصد خللا في موازين التواصل، على المستويين الذاتي والاجتماعي، يكمن في التمثل المزدوج للعملية الاتصالية، والسعي إلى تبني ممارسة تتأرجح بين رغبتين متناقضتين،فالفرد، من جهة، يريد الاطلاع على عوالم المستخدمين، ومن جهة أخرى، يحبذ الإبقاء على حضوره خفيا كي لا يتواصل معه الآخرون.



3 .2. 3- اختلال موازين التواصل على مستوى تقييم المكانة الاجتماعية:

ينتمي مصطلح المكانة الاجتماعية إلى حقل علم اجتماع الاتصال، كما تم إدراجه في الدراسات السوسيولوجيةوالبسيكولوجية، خاصة منها تلك التي ترتكز على براديغم التفاعلية الرمزية وكيفية تقديمها للفاعل الاجتماعي، وتحليلها لطرق تشكل تمثلاته وسلوكياته وبلورته للعلاقات المختلفة مع ذاته ومع الغير، وتعلم لعب الأدوار حسب جملة من الانطباعات.

هناك تأكيد على أهمية التفاعل لبناء الذات، حيث**"نجد مصطلح النظر في مرآة النفس (looking-glass self) لعالم الاجتماع شارلز كولي (Charles Cooley) الذي يعتبر أن الذات تتكون عن طريق الانعكاس على الآخر تماما مثل انعكاس الصورة في المرآة"**[82]، وهو ما يجعل الفرد يتعمق في اكتشاف خصوصياته من خلال نظرة الآخرين له، وتوجيه الأفكار التي تتجمع عنده بطريقة تنسجم مع نظرته الخاصة لذاته.

إن المكانة الاجتماعية تتكون من بعدين يجب على الفاعل أخذهما بعين الاعتبار، أي أنه لا يكتفي بنظرته الخاصة حتى لا يقع في فردانية ضيقة، ويقتصر على رؤية أحادية قد تحيد به عن الموضوعية،إضافة إلى بقاء جوانب من شخصيته غامضة ومجهولة بالنسبة إليه.

في هذا السياق، تتنزل أهمية البعد الثاني للمكانة الاجتماعية الذي يرتكز على التفاعل مع الآخر،للتمكن بواسطة عمليات التبادل الرمزي المتنوعة من مزيد التعرف على خبايا الذات لمزيد بلورة تمثلاتها وتوجيه ممارساتها والتحكم في علاقاتها، فمنذ**"بدأ كل منا النظر إلى الآخرين وترافق هذا مع رغبته في أن ينظر إليه، ابتداء من هذه اللحظة اكتسى احترام الآخر أهمية بالغة"**[83].

إذن، تولد لدى الفاعل الاجتماعي حاجة جديدة لا يمكنه تلبيتها بنفسه لأنها مرتبطة بالآخرين الذين يشتركون معه في العملية الاتصالية، وهو ما يتطلب مجهودا من الفرد في تقديم صورة عن ذاته تكون قادرة على إثارة الانتباه والاهتمام فالاحترام، ليتمكن من الظفر بمكانة اجتماعية تنجح في منح الثقة في الذات، عبر التأكيد على كونها ذاتا فاعلة ومحبوبة.

دعم الفايسبوك بأساليبه التفاعلية هذه الحاجة التي يبحث من خلالها المستخدم على تقديم صورة مقبولة عن نفسه، ويرجو أن يتعرف عليه بقية المستخدمين ويتعاملون معه وفق هذه الصورةالتي نالت رضاهم بشكل

---

[82]Yves Winkin, Dictionnaire des idées, Encyclopaediauniversalis, France, S.A, 2012, Les services éditoriaux et techniques d'e.universalis, p.1083.

[83] جيلفيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، مصدر سابق، ص.108.



من الأشكال، والتعبير عن هذا الرضى من خلال اعتماد أساليب التفاعل الفايسبوكية المتنوعة، وخاصة منها إبهام الإعجاب،لتتدعم التعابير المقدمة من طرف هذه الشبكة الافتراضية، وتتغلغل في تصوير رموز للمشاعر، فنجد القلب والوجوه مختلفة الانفعالات.

قد يفسر المستخدم غياب التفاعل بضعف المكانة، وعجز ذاته بما قدمته من تمثلات على جذب الأطراف المشاركة في العملية الاتصالية الافتراضية.

في هذا الإطار، يتجلى اختلال موازين التواصل على مستوى تقييم المكانة الاجتماعية الذي ينبع من إشكاليتين أساسيتين، ألا وهما المعيار الافتراضي الجديد المعتمد في التقييم، وإكساب الفايسبوك التفاعلية الرمزية أبعادا أخرى قد تحيد عن السياق الذي يخدم الفرد، وتأثير ذلك في علاقة المستخدم مع ذاته ومع الآخر فيما يرتبط بالتمثلات والممارسات.

تم التوقف عند رمزية مضمونين حمّلهما منتج الصورة جملة من الرسائل حتى ينقل رؤيته لظاهرة معينة جديرة بالتحليل في الوثيقة في الصفحة الموالية:



الوثيقة عدد39: اختلاف معايير تقييم المكانة الاجتماعية

يبرز، في **المضمون الأول**، نفس الدواء الذي تم تعليبه بأسلوبين مختلفين، ويكشف الخطاب اللفظي،أنه هذا الأسلوب التعبيري استخدم على سبيل المقارنة أو التشبيه، فأقراص الدواء التي تتمثل في علامة الإعجاب في الفايسبوك، هي حسب ما هو منصوص عليه على ظهر القارورة موجه للأشخاص الذين يعانون



ضعفا مزمنا في التقدير الذاتي(for chroniclow self estimation) أما عن الجرعة، فيحددها المستخدم نفسه (take as needed)، وترتبط بمدى حاجته للتخفف من "الأوجاع" التي يتسبب فيها نقص الثقة في الذات.

قد لا يكتفي المستخدم ب"جرعة واحدة" من التقييم الإيجابي الذي يحصل عليه نتيجة مضمون نشره، ويغدو الأمر بمثابة الرغبة المتكررة في تلبية هذه الحاجة، إلى درجة الاقتصار على تقييم الآخرين لتحديد قيمته كذات بشرية، فينصب اهتمامه على الحصول على الإعجاب، وكلما ارتفع عدد هذه "الأقراص"، تمكن من التخلص مؤقتا من "ضغط الثقة المنخفض".

قد يسعى المستخدم لتقديم صورة لا تشبهه ولا تتطابق مع سماته في الواقع الاجتماعي، قصد الحصول على هذا "الرضى" الافتراضي للرفع من تقديره لذاته، أي أنه قد يلجأ إلى "تزييف" حقيقته وإنكار بعض خصوصياتها، و"التنكر" بقناعيعتقد أنه سيمكنه من تحقيق مراده في الإعلاء من مكانتهفي نظر نفسه، من خلال ما تحصلت عليه الصورة التي استعرضها من إعجاب، أي أن الفرد قد يقبل هذا "الانفصام" الاجتماعي والنفسي، ويتعايش معه متجاهلا آثاره الجانبية وما قد تسببه من مشاكل،مقابل كسب تقييم إيجابي لمكانته الاجتماعية في الشبكة الافتراضية.



في مضمون إحدى الصور، في الفايسبوك، تم رصد الخطاب اللفظي التالي(التوانسة الكل في الانستغرامزيانين وفي الفايسبوك كلهم مثقفين وواعين. نموت ونعرف الشعب إلي نرى فيه في الطريق شكونهم)،

عرض هذا التعبير الساخر مفارقة تشكلها شخصية الفرد بين اتصاله الافتراضي واتصاله المباشر وعدم تطابق الصورتين، حيث **"تتفاعل الذات الفردية مع الآخر ك"مرآة للأنا" لتعرف نفسها والتعرف إليهم في شبه لعبة وجوه وأقنعة تبحث عن الاعتراف والاعتبار(la reconnaissance)دون أن تكشف بالضرورة عن حقيقة الوجه الاجتماعي للهوية"**[84].

غدا الفرد موزعا بين عالمين، في كل منهما له ذاته المختلفة، وبما أنه لا يستطيع حجب خصوصياته بصفة كلية في الاتصال المباشر،فإنه يلجأ إلى الفايسبوك وغيره من مواقع التواصل لخلق صورة أخرى، يرمم فيها نقائصه باعتبار أنه يمكنه "ادعاء" ما يشاء.

يتخلى الفرد عن مسؤوليته في تقييم الذات للآخرين الذين قد لا يقومون بذلك على الوجه الذي يتماشى مع انتظارات المستخدم، وهو ما تم التأكيد عليه في الخطاب اللفظي المرافق **للمضمون الثاني** (من يعرف التملق يحسن الافتراء)، وهي مقولة لنابليون بونابرت (Napoléon Bonaparte)، وفي ذلك تأكيد على أن بعض الأفكار ما زالت صالحة لبعض ظواهر العصر الحديث، وتدل الجملةعلى فتح باب صناعة الأوهام والكذب، لتقديم صورة مثالية عن الذات.

لئن تم تصوير أسلوب الإعجاب الخاص بالفايسبوك، في **المضمون الأول**، على شكل دواء، واعتبار بعض المستخدمين "مرضى" وفي حاجة إليه بنسب متفاوتة،فإن رمزية**المضمون الثاني** تجاوزت هذا الحد الدلالي، باعتبار أن "المريض" يمكن أن يتماثل للشفاء ويدرك عدم حاجته لهذا "الدواء".

نلاحظ أن علامات الإعجاب التي يقوم شخص بصبها في وعاء شبيه بذلك الذي يقدم فيه الطعام للحيوان (قط. كلب) ويكتب عليه اسمه، وهنا نجد أن هذا الوعاء مخصص للذات (EGO) التي تحتاج إلى ملء هذا الوعاء لإسكات جوع ثقتها في النفس وإشباع حاجتها للاعتراف بها.

هذا تشبيه بالخطورة بمكان، حيث تم تجريد الذات البشرية من إنسانيتها، وما تتميز به من قدرة على التفكير لاتخاذ القرارات، فيما يتعلق بتلبية احتياجاتها، لتتحول رهينة ما يقدم إليها الآخرون عبر العملية الاتصالية الافتراضية، وإذا غاب التفاعل الإيجابي غدت الذات "وعاء فارغا" يعجز الفرد عن تعبئته بما يستحقه لاحتلال مكانة اجتماعية ولمنح وجوده قيمة.

[84] عادلبن الحاج رحومة، "تنشئة الهويات الفردية عند الشباب عبر الفضاءات الاتصالية والمعلوماتية"، مجلة إضافات، العدد التاسع، شتاء 2010، بيروت، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، ص.139.



إن هذه الحالة التي وضع فيها المستخدم نفسه بصفة طوعية، قد تكون واعية أو غير واعية، تشكل تهديدا على الحرية الفردية والقدرة على المبادرة الذاتية بسبب ضعف آليات عقلنة الممارسات، فهو يتخلى تلقائيا عن عجلة القيادة والتحكم في الذات للآخرين، فيجد نفسه، بصفة مباشرة أو غير مباشرة، معلنة أو ضمنية، مسيّرا في اختياراته التي يسعى جاهدا أن تتطابق مع توقعاتهم أو ما يثير رضاهم، وذلك لمنحه ما يسد به "رمقه" الوجودي والتخلص من "الجوع" للاهتمام.

في هذا الإطار، نتساءل عن تأثير غياب التعبير عن الإعجاب في المستخدم، وماذا إن اختار بقية الأطراف اعتماد سياسة "التجويع التفاعلي"، أو مجرد عدم وجود الرغبة في منح منشوره "ضغطة زر" وإن أعجبهم والاكتفاء بالاطلاع فحسب، وعدم إدراك حجم انتظاره لمفعول تلك الضغطة في إشباع ذاته، وهو ما قد يجعله يسعى إلى الرفع في عدد المنضمين إلى قائمة الأصدقاء "طمعا" في إعجاب إضافي؟

إذن،بلور استخدام الفايسبوك معايير جديدة لتقييم الفرد، لا لمكانته الاجتماعية فحسب، وإنما لقيمته الوجودية بشكل أعم، وغداأسلوب الإعجاب، على سبيل المثال لا الحصر، كعلامة تفاعلية، معيارا للتقييم وتحديد المستخدم لما يضطلع به من دور في عملياته الاتصالية، سواء كانت في واقعه الاجتماعي أو الافتراضي، والحصول على أكبر عدد من "أعجبني" كدليل على القبول الاجتماعي وإثبات الذات وتحقق عملية التواصل بشكل "ناجح".

إن هذا الأسلوب التفاعلي لا يحقق إلا إشباعا وقتيا، بما أن الحاجة إليه مستمرة، بل وقد يطلب المستخدم "كمية أكبر" لأن "جوعه" لتحقيق الثقة بالنفس وتعزيز المكانة يشتد، وهو ما قد يتولد عنه "نهم" اتصالي افتراضي، ويتشكل بذلك شيئا فشيئا وهم "الشبع والإشباع".

يُحتمل أن ي بلغ اختلال موازين التواصل، على مستوى تقييم المكانة الاجتماعية، درجة عدم القدرة على التمييز بين عدم التفاعل مع المحتوى المنشور ورفض شخص القائم بالاتصال،واعتبار عدم التفاعل رفضا للمحتوى ولصاحبه ولتمثلاته وحطا من قيمته الاجتماعية والوجودية،مما يجعله يخشى بصفة دائمة من الاستبعاد الاجتماعي (disqualification sociale) وهو ما يدفعه إلى الانصياع لتقييم الآخرين، فيدعم تمثلاته وممارساته في الاتجاه الذي نجح في استقطاب الاهتمام على حساب مبادئه وآرائه.



قد يتساءل المستخدم عن قيمته الوجودية، عندما لا يحصل على التفاعل المطلوب، ويقدم إجابة سلبية تدفعه إلى خيارات من بينها الانسحاب والتقوقع على ذاته وسجنها في العجز على التفاعل مع الآخرين، بل وقد يتجاوز الأمر ذلك إلى قرار التخلص من هذه الذات التي لا يعيرها الآخرون أدنى اهتمام افتراضي، فيعمد إلى الخروج بصفة نهائية من الدائرة الاتصالية عن طريق الانتحار.

يمكن من خلال ما تم استعراضه من مستويات اختلال موازين التواصل رصد استراتيجيات توظيف الأساليب التفاعلية الافتراضية، وتثمين اللحظة الراهنة وتهميش الحاجة إلى بناء صورة اتصالية واضحة، وهو ما يؤثر في المستخدم على مستوى تمثلاته وممارساته وعلاقاته، سواء في الواقع الاجتماعي أي محيطه العلائقي أو في واقعه الافتراضي، إلى درجة تتداخل فيها المفاهيم والأولويات، والتركيز على زاوية واحدة للنظر إلى متطلباته الذاتية والاجتماعية، وهو ما ينجم عنه تفقير العملية الاتصالية.



4-مساهمة منشورات مستخدمى الفايسبوك فى تفقير العملية الاتصالية الأسباب والنتائج

4. 0- تمهيد:

تعتبر الرسالة، في العملية الاتصالية، الدعامة الأساسية للتبادل، حيث يتم توجيهها لتحقيق هدف معين على مستوى المصلحة الشخصية للمستخدم وتلبية لمتطلباته، أو تعمل على تحقيق غاية ذات بعد أوسع يرتبط بالمجموعة التي ينتمي إليها، وقد يكون الهدف أشملوتتسع للأبعاد المجتمعية المحلية منها والعالمية.تحمل رموز الرسائل دلالات معينة، حيث**"يجب على الرسالة أن تحمل معنى ما وأن تقول شيئا"**[85]،وهي بذلك تستجيب لشرط من شروط إنجاح التبادل، وهو التفاعل.

بالتالي،إن المضامين التي يتم إنتاجها من طرف مستخدمي الفايسبوك تحدد نوع التأثير في العملية الاتصالية، فمثلما تم التوضيح أن بعضها يسعى عبر رسائله إلى تحقيق الإثراء وبعضها الآخر يشير إلى مواطن الخلل، فإنالأمر لا يتوقف عند هذا الحد، ويتجاوزه إلى مرحلة العقم (infécondité)التي لا تعني عدم الإنتاج والنشرأو إنتاج رسائللا يمكن فك رموزها من طرف الآخر باعتبار التفاعل المرصود مع المنشورات.

إن المقصودبالعقم الاتصالي، في هذا الإطار، هو إنتاج رسائل عاجزة عن إثراء العملية الاتصالية،ولا تمنحها ما تحتاجه من تنوع، وتقتصر على اعتماد نفس الرمز دون سعي إلى التجديد، وهو ما من شأنه تقديم صورة أحادية البعد لموضوع من المواضيع، أو أن يتم إنتاج مضامين لا ترصد أهدافا على المدى المتوسط أو البعيد، أو عرض منشورات لا تقدم دلالاتها إضافة نوعية.

[85]Lucien Sfez, La communication, Paris, PUF, Que sais-je ?, 2010, p.28.



يبرز الرسم البياني التالي أسباب تفقير العملية الاتصالية التي تؤدي إلى جملة من النتائج:





4. 1- قولبة الاتصال: التواصل السلبي:

إن رصد مظاهر القولبة في سياق الاتصال التفاعلي الافتراضي وما ينجم عنه مثير لجملة من التساؤلات لعل أبرزها:

- هل هناك محاولة لإقصاء المواقف الرافضة أو المعارضة أو المختلفة والعودة إلى نمط الاتصال الذي يقدم المجتمع بمختلف أفراده واتجاهاتهم في سياق قالب واحد؟

- هل يمكن اعتبار الفرد، في عصر توفرت له فرص التحكم والاختيار والتعبير، مجرد كائن سلبي يمكن التأثير فيه تأثيرا مباشرا بواسطة المضامين في شبكة الفايسبوك، وكل رسالة من الرسائلالتي تشتمل عليها هذه المنشورات تشكل منبها قويا يدفع المتلقي إلى الاستجابة لأهداف القائم بالاتصال، والانسياق في العملية الاتصالية تحت تأثير الجذب والاستقطاب؟

4. 1 .1- قولبة الاتصال:

تستخدم بعض الصفحات، في شبكة الفايسبوك، في عناوينها خاصة وكذلك في صورها، عبارة "كلنا"، وعند التساؤل من المقصود ب"كلنا..."، نجدها تشير إلى كل المستخدمين وبصفة أشمل كل الفاعلين الاجتماعيين.

من المنطقي أن الذي يبعث صفحة يتحدث عن ذاته وقناعاته ويعبر عن رأيه الشخصي، ويترك المجال للآخرين للانضمام إليه ومشاركته آرائه أو رفضها أو التعبير عن مواقفهم المغايرة، دون إدماجهم بطريقة مسبقة وفوقية، وجعلهم يعترفون بما لم يعترفوا به.

نستشف تجاوزا للموضوعية من خلال هذا الاستخدام لضمير الجمع، ففي هذه العبارة شكل من أشكال فرض اتجاه معين على الآخرين،وإلحاقهم به دون استشارتهم أو طرح أسئلة عليهم، لتبين وجهة نظرهم في قضية معينة، وهو ما يتيح فرصة لتفسير رمزية هذه العبارة بأنها قد تكون تمويها بأن الجميع متحدون ومجتمعون حول موقف واحد، إلى درجة إقناع المستخدم الذي لم يلتحق بعد أن يندمج ولا يبقى معزولا عن "كلنا".

نجد مثلا صفحة تحمل عنوان "كلنا ضد جمعية شمس للمثليين"، في حين، أن هناك فاعلين اجتماعيين ليسوا ضد هذه الجمعية، فمنهمن يؤيدها سواء على مستوى القناعات والممارسات التي اختارها أفرادها، وهناك من ليس ضدها انطلاقا من ضرورة الدفاع عن الحرية وحق الآخر في التصرف حسب ما يلبي



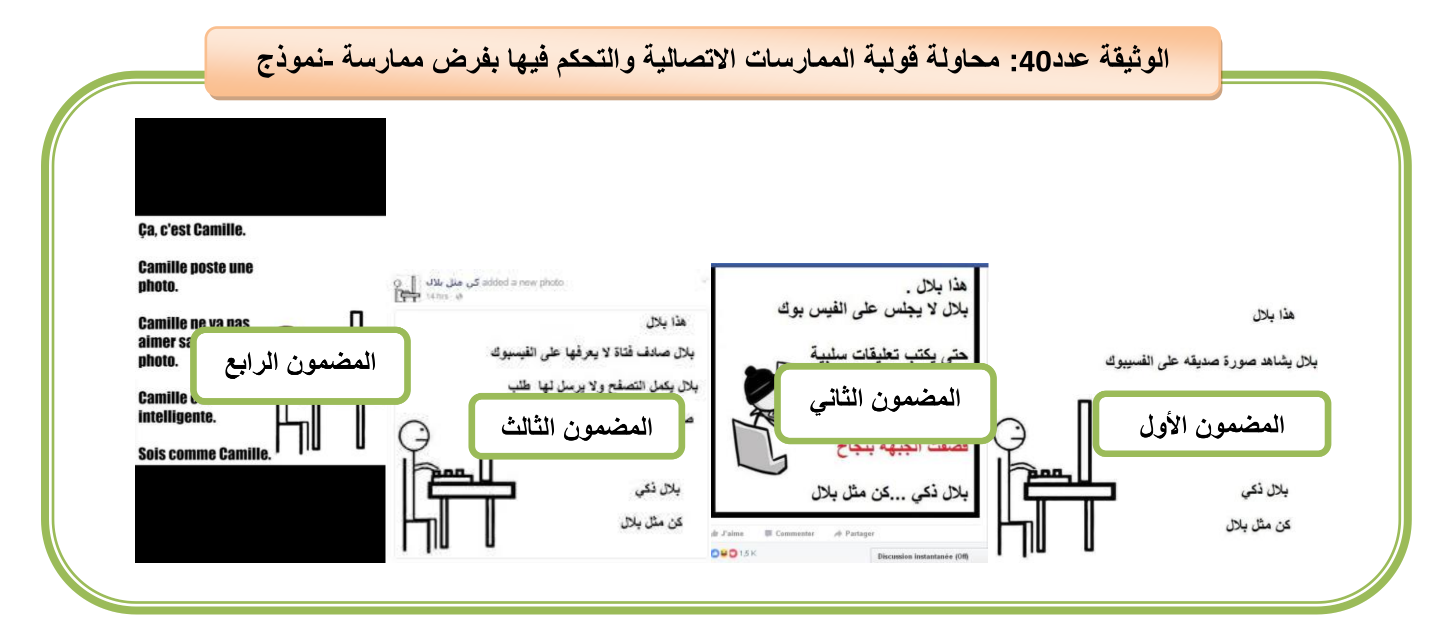
حاجياته الفيزيولوجية أو العاطفية، مادامت ممارسته لا تسبب ضررا للآخرين، ولا يشكل سلوكه "الخاص" خللا وظيفيا في المجتمع، طالما أن الجمعية معترف بها قانونيا.

هناك من يتخذ موقفا محايدا، وآخرون يرفضون هذه الممارسات، لكنهم، ببساطة لا يريدون الانخراط مع مجموعةأو في صفحة للتصريحباستنكارها "فايسبوكيا"، وقد يبقون على موقفهم الرافض دون اتخاذ إجراءات تطبيقيةوقد ينتهجون أساليبأخرى للتعبير.

نستعرض،في هذا السياق، مثالا آخر من الصفحات التي استخدمت عبارة "كلنا..."، وإن عبرت في المثال الأول عن الرفض،فهي، في هذا المثال، تدل على التأييد والذي يتمثل أساسا في "كلنا مع الباجي"[86]،والحقيقة التي يمكن تلمس معالمها باستقراء الواقع السياسي بتجاذباته أن هناكمن ليس معه، ولا يوافق على السياسة المنتهجة على مستوى الاختيارات والتوجهات مثلا.

يمكن ملاحظة جملة من المظاهر الأخرى لمحاولة قولبة الممارسات الاتصالية لمستخدمي الفايسبوك، والتحكم فيها بفرض ممارسة-نموذج من خلال بعض المضامين المدرجة في الوثيقة في الصفحة الموالية:

الوثيقة عدد40: محاولة قولبة الممارسات الاتصالية والتحكم فيها بفرض ممارسة -نموذج



4. 1. 1. 1- القولبة على مستوى الإخراج الفني للمضمون:

تتخذ جميع شخصيات المضامين نفس الوضعية، وهي الجلوس أمام شاشة الحاسوب، وذلك للدلالة على أن الشخصية في حالة تواصل في المجال الافتراضي.

في هذا السياق، يمكن أن نشير إلى أمرين هامين وهما:

---

[86] الرئيس السابق للجمهورية التونسية محمد الباجي قائد السبسي.



أولا، تعمد صاحب الصفحة الإبقاء على نفس القالب الاتصالي لخطابه اللفظي كنوع من أنواع تثبيت الرمز في ذهن مستخدمي الفايسبوك،عن طريق التكرار المقصود، وتجذير الدال ليترسخ المدلول في العقول.

بالتالي، يسعى القائم بالاتصال إلى "حصر" تفكير المستخدمين في إطار معين،كلما اعترضهم منشور من منشورات صفحته، كشكل من أشكال الاستقطاب الذي لا يعتمد على كسب التفاعلعبر ما يقدمه من إضافة، بليرتكز بالأساس على المخزون الانفعالي والردود الشرطية العكسية.

قد يتحقق هذا الهدف، لكن، قد تكون هذه القولبة سببا في عدم الاطلاع على الخطاب اللفظي الذي تشتمل عليه الصورة باعتبار أن المستخدم يراها نوعا من النسخ المتشابهة.

ثانيا، تأثير هذه القوالب في العملية الاتصالية من جهة وفي من اقترحها من جهة أخرى، فهي قد تنعكس سلبا في ثراء العملية الاتصالية التي تتطلب تنويعا أسلوبيا مستمرا، لتحافظ على النجاعةالتي تستمدها من البحث عن التغيير.

قد تؤثر أيضا في الروح الإبداعية للقائم بالاتصال، وحاجته للابتكار والتجديد اللذين يمنحانه القدرة على العطاء الاتصالي، والتحرر من قيد الموضوع الواحد والرسالة المعينة والأسلوب المحدد، ليستغل الإمكانيات المتاحة له لتقديم مضمونه في أشكال تعبيرية متنوعة، والخوض في المواضيع بطرق خلاقة.

4. 1 .1. 2- القولبة على مستوى صياغة الرسالة الاتصالية:

نلاحظ اعتماد أسلوب النفي في جميع الأمثلة الموجودة في الوثيقة(لا يجلس..حتى../ لا يكتب/ لا يرسل/ Ne va pas aimer sa propre photo)، للتنصيص على الممارسة التي يعتبرها منتجالمضامين مرفوضة، ويجبعلى المستخدم التخلي عنها والاقتداء بالشخصية النموذج ليتمتع مثله بسمة الذكاء.

حرص منتج المضامين على الإبقاء على التعريف (هذا بلال،ça c'est Camille)، والاستنتاج والدعوة التي تأتي في صيغة أمر للتحريض(بلال ذكي- كن مثل بلال،Camille est intelligente- sois comme Camille)، يحتلان نفس الموقع في القالب الذي يشتمل عليه المضمون، ليحافظ بذلك على ذات أسلوب العرض المتمثل أساسا في ربط السبب بنتيجته والحدث باستنتاجه، لرصد ردود فعل معينة والدعوة إلى الاقتداء بها وتجنب غيرها.



4. 1 . 1. 3- السعي إلى قولبة الخطاب اللفظي لمستخدمي الفايسبوك:

في المضمونين الأول والثاني، تم الإعلان عن الغاية منذ البداية (لا يجلس على الفايسبوك.. حتى يكتب -يشاهد تعليقا.. لا يكتب)،ليتعلق **الخطاب اللفظي** بالعملية الاتصالية، في شبكة الفايسبوك، ونستخلص من ذلك فرض نموذج فعل وردّ فعل أي سعي لقولبة الفعل الاتصالي الافتراضي.

تجدر الإشارة أن المستخدم له الحق في اختيار المضمون الذي يجد أنه يستجيب لحاجته التفاعلية بطريقة أفضل، فقد يضيف حروفا ويكررها لعبارة معينة، مثلما ورد، في **المضمون الأول**، لغاية ما، كالتأكيد وإكساب هذه العبارة قدرة على التعبير أكثر عن إحساسه،وانزياح اللفظ عن المعهود اللغوي على مستوى الرسم وكتابته حسب الطريقة التي يريد أن ينطقه بها.

اعتبر منتج الرسالة، في **المضمون الثاني**، أن الخطاب اللفظي المتمثل في(قصفت الجبهة بنجاح) من التعاليق "السلبية".

يعتمد المستخدم هذا الخطاب نتيجة التأثر بمجريات الواقع ومستجداته، أي مستمد من الحقل الرمزي الذي أصبح متداولا بصفة كبيرة في الحوارات المتبادلة بين الأفراد، إلى درجة صارت فيها هذه المصطلحات التابعة لمعجم معين دارجة وغير مستغربة لترسخها في اليومي، وهو ما يجعل الفاعل الاجتماعي يطوع رمزيتها للتعبير عن مدلولات تخرج عن سياقها الذي نجمت عنه وترتبط به،وهو الحرب ضد الجماعات الإرهابية.

يتمتع المستخدم بحرية التفاعل مع منشورات أصدقائه، وإذا كان هناك من يرفض تعليقه ويرى فيه إشكالا، فهوالمشارك في هذه العملية الاتصالية، والقادر على فتح باب النقاش معه، والتعبير عن عدم استحسانه لاستخداماته اللفظية مثلا.

إن القائم بالاتصال (منتج المضمون)، في هذا السياق، يريد الاضطلاع بدور "المشرّع التفاعلي" الذي يضبط ما يكتب في المنشور وما لا يكتب- ما ينشر وما لا ينشر، وعرض قائمة بالعباراتالتي يجب على المستخدم أن لا يستعملها (قصفت الجبهة بنجاح- منوووووررررررر)، حتى يُمنح سمة الذكاء (بلال ذكي- كن مثل بلال).نطرح، في هذا الإطار، استفهاما: هل من يكتب ذلك يتسم بالغباء؟

ومن الإجابات الممكنة أن الفايسبوك مساحة حرة للتعبير، وليست امتحانا للقدرات الذهنية أو المعارف أو المهارات في السلوك الاجتماعي والتصرف، والمستخدم ليس مطالبا بنشر ما يثبت ذكاءه أو ينفيه، فممارسته التفاعلية هي لحظة تعبير قد تكون واعية أو غير واعية، لكنها، في جميع الأحوال وليدة لحظة انفعالية إدراكية يتم ترجمتها بردود فعل متعددة.



4. 1. 1. 4- السعي إلى قولبة الممارسة الاتصالية لمستخدمي الفايسبوك:

في المضمونين الثالث والرابع، تم التمهيد للغاية بعرض الوضعية لإبراز تصرف الشخصية،في مرحلة لاحقة،عبر إدراج الحدث المقترن بنتيجة (الفعل ورد الفعل) أي رصد موقف تفاعلي معين ويليه الممارسة الاتصالية المطلوبة، ما يكشف عن محاولة للقولبة على **مستوى الممارسة الاتصالية التفاعلية**.

في **المضمون الثالث**، تم المطالبة بالتقيد بتصرف تفاعلي معين على المستوى العلائقي (صادف فتاة لا يعرفها.. لا يرسل لها طلب صداقة...)، في حين أن الفايسبوك هو أساسا موقع للتواصل الاجتماعي لربط صلات مع أشخاص يعرفهم المستخدم، أو يريد التعرف على آخرين لا تربطه بهم علاقة في واقعه، لإثراء رأسماله الاجتماعي والرمزي بربط أكثر ما يمكن من العلاقات من مختلف أنحاء العالم،وإضافتها إلى قائمة الأصدقاء.

ليست هناك حاجة لتوجيه تصرفات الفرد، أثناء استخدامه للفايسبوك، فهو يتصرف مثلما يشاء، ويختار الممارسة التي تلبي حاجياته، والفتاة التي يرسل لها طلب صداقة أو رسائل حب هي التي تقبل الطلب أو ترفضه، وهي التي تجيب عن رسائله أو تتجاهلها أو تطلب منه عدم مواصلة التفاعل معها أو تختار حظره (bloquer).

نلاحظ من خلال هذا الخطاب اللفظي تدخلا صريحا لقولبة الممارسة عن طريق السعي إلى تطبيق مرجعية نابعة من أفكار مجتمعية محددة، وهي تلك التي ترى أن على الذكر عدم ربط علاقات صداقة مع إناث لا يعرفهن، أي هناك سعي لتقييدالتفاعل ورصد ضوابط أخلاقية مستمدة من مخزون رمزي معين من جهة، والتقليل من قدرة الآخرين على إدارة العملية الاتصالية واختيار الممارسات "السليمة"من جهة أخرى.

في **المضمون الرابع**، نرصد محاولة لقولبة الممارسة الاتصالية، فما الذي يمنع المستخدم الذي ينشر صورة، أو غير ذلك من أشكال المضامين على حسابه في الفايسبوك، أن يتفاعل معها بالإعجاب أو التعليق.

إذن، يطلق القائم بالاتصال (admin) الأحكام، حسب المقياس المعتمد في التقييم (إيجابي- سلبي)، ويسعى إلى تضييق الدائرة التفاعلية (افعل- لا تفعل...)، وحصر التصرفات الذكية في تلك التي يحددها.

في هذا السياق، تجدر الإشارة إلى وجود فرق بين إنتاج مضامين تهدف رسائلها إلى رصد تصرف أو ممارسة أو خطاب لفظي أو رد تفاعلي يهدد العملية الاتصالية، فيحاول منتج الرسالة تشخيص الظاهرة،



والحث على الابتعاد عنها، وبين توجيه رسائل تتدخل بشكل مباشر في ممارسات المستخدم الاتصالية التي ترتبط باختياراته الشخصية على مستوى التفاعل مع الآخر.

بالتالي، وإن رصدت المضامين في هذه الوثيقة بعض المظاهر الاتصالية المنتشرة، وحثت على الابتعاد عنها والاقتداء بالشخصية النموذج، فقد تنزل ذلك في إطار السعي إلى القولبة وتضييق النطاق الاتصالي، وهو ما قد ينجر عنه إنتاج ونشر ذات المضامين، والتفاعل مع المستجدات في الواقع الاجتماعي بأحداثه المحلية والعالمية بنفس الطريقة والحصول على رد فعل موحد تقريبا، وهو ما يتولد عنه التواصل السلبي كنتيجة.

4. 1. 2- التواصل السلبي:

سنتخذ لتحليل هذا العنصر شعار (Je suis Charlie) مثالا، حيث**"تم استخدام العبارة بسرعة في فرنسا كلها، وبعد ذلك في المدن الكبرى في العالم وترجمت إلى العديد من اللغات. كما اختيرت كدليل على الاحترام والولاء من طرف بعض مستخدمي الشبكات الاجتماعية كصورة لصفحتهمأو لحسابهم"**[87].

في هذا السياق، نشير إلى جملة من النقاط:

أولا، اختلاف على مستوى استخدامات هذا الشعار من حيث درجة التضامن والتبني ونشر الصورة أو الشعار فحسب، وهناك من تجاوز ذلك إلى اعتمادها كصورة غلاف، وحتى صورة شخصية لحسابه، وهي الصورة التي تحمل أكبر بعد رمزي باعتبارها ترتبط بالهوية الافتراضية.

ثانيا، السياسة الاتصالية التسويقية لنشر الرسالة لتحظى بالعالمية من خلال ترجمة الشعارات إلى لغات مختلفة، وهو ما يدفع إلى الملاحظة أن الانتشار ليس عفويا بصفة مطلقة.

ثالثا، تبني متواتر لنفس ردة الفعل عبر استخدام الشعار، في فترات زمنية لاحقة، مع تغيير اسم المكان الذي وقعت فيه الحادثة الإرهابية (je suis Bardo, Je suis Sousse, Je suis Bruxelles…)،كما استعملهذا القالب الجاهز،**"بعد هجوم على حافلة مدنية في 13 جانفي 2015 في أوكرانيا، (...) وإطلاق حملة احتجاج من قبل مستخدمي الإنترنت الأوكرانية، معتمدين شعار(Je suis Volnovakha)"**[88]،أو تغيير اسم الشخص الذي تعرضإلى العنف بمختلف تجلياته،ف**"بعد الحكم على المدون رائف بدوي ب**

[87] « Je suis Charlie », Wikipédia, l'encyclopédie libre, https://fr.wikipedia.org/wiki/Je_suis_Charlie

[88] « Je suis Charlie », Wikipédia, l'encyclopédie libre, https://fr.wikipedia.org/wiki/Je_suis_Charlie



1000 جلدة و10 أعوام من السجن في المملكة العربية السعودية، انطلقت حملة دعم دولية تحت شعار "أنا رائف"[89].

إن هذا التبني للموقف بسرعة وتطبيقه على كل حدث (كثرة الأحداث المتواترة والمتشابهة) مع الاكتفاء بتحوير طفيف يتعلق بالتسمية فحسب، يطرح إشكالية "الاستخدام الآلي"، أي القيام بالدور المطلوب دون زيادة أو نقصان، والانقياد والتماهي إلى درجة التلاشي،بما أن المستخدم يكتفي بنفس الوسيلة الدفاعية متجاهلا ضرورة التنويع لتحقيق التغيير.

غدا الشعار مخزونا رمزيا، يتم إخراجه من الأرشيف الاحتجاجي للعملية الاتصالية الافتراضية، كلما استدعت الحاجة إليه، ونشره لفترة ثم سحبه، بالتالي، هناك بوادر تفقير للعملية الاتصالية، نظرا لتغييب الإبداع وانعدام الابتكار في مواجهة القضايا المجتمعية وعدم ارتكاز الاتصال على دعائم الاستمرارية التي تحدد أهدافا على المدى البعيد.ترسخ هذه النوعية من الممارسات الاتصالية، التي تستهلك وتقلد، نوعا من التبعية التفاعلية الافتراضية، وتكرس وهم التفاعل والاختيار والحضور الفاعل، ونستعرض من خلال المضمون المدرج، في الوثيقة التالية، إحدى التأثيرات الممكنة للتواصل السلبي:

الوثيقة عدد41: تأثير التواصل السلبي في التفاعل مع القضايا



ورد الخطاب اللفظي الذي يتصدر أعلى المنشور في أسلوب إخباري تقريري، ليقدم الموضوع في صيغة عنوان (Attentat à Bagdad)، وفي الجملة الثانية، تم مزج الخبر بالموقف من خلال التوضيح (ذكر

[89] Idem.

عدد ضحايا التفجير في بغداد Plus de 200 morts)، والتعليق على الحادثة عبر النقد الصريح(dans .(l’indifférence générale

يمثل المنشور رسما كاريكاتوريا لتصوير جثة تنزف دما، تخرج يديها من خلف الغطاء الذي ألقي عليها لتعلق وتعلن موقفها، أي تم اللجوء إلى السخرية السوداء بإيراد ردة فعل من طرف ميت،إذ تحمل الشخصية ـ الجثة لافتة للتعليق على ما جاء في الخطاب اللفظي (je suis habitué).

بالتالي، تم تحميلها قصدا نفس قالب الشعار للتعبير عن معنى مغاير تماما يتضمن نقدا لاذعا،خاصة أن رافعه من الضحايا- الموتى، للإشارة إلى فشل الشعارات المرفوعة في مواجهة العنف الاجتماعي، فهي لم تؤت أكلها من ناحية، ومن ناحية أخرى، الشعارات ليست معممة، أي أنها شعارات ترفع في قضية دون أخرى، رغم أن لهما نفس درجة الخطورة أو حتى أكثر (العراق- العنف المستمر وسقوط ضحايا التفجيرات والعمليات الانتحارية يوميا تقريبا).

4. 2- الإفراغ من الجدوى: اتصال عشوائي:

سيتم التوقف، في هذا المستوى من مستويات مساهمة منشورات مستخدمي الفايسبوك في تفقير العملية الاتصالية، عند السبب المتمثل في الإفراغ من الجدوى، للانتقال بعد ذلك إلى ما قد ينجم عنه من تكريس لاتصال عشوائي.

4. 2. 1- الإفراغ من الجدوى:

تم رصد مظهرين لهذا الإفراغ، ويتمثلان أساسا في نقد لا طائل منه **أولا**، وعجز الرسالة الاتصالية عن تحقيق التفاعل الهادف **ثانيا**.

4. 2. 1. 1- نقد لا طائل منه:

ننطلق بالمظهر الأول من مظاهر الإفراغ من الجدوى، من خلال إدراج بعض المضامين المنشورة على صفحات فايسبوكية مختلفة، في الوثيقة التالية:



الوثيقة عدد 42:الإفراغ من الجدوى: نقد لا طائل منه

اشرب نابك هاني جايك avec Ramzi Sabah et Mariem Mansour.

المضمون الأول

ما هو السلاح الذي تختاره للقضاء على هذا المخلوق ؟؟

المضمون الثالث

في أوروبا لو كان تقابل كريستيانو ولا ميسي تتصور معاهم ... بلاش و احنا في تونس تتصور مع جمل يقلك ب 10 الاف

@ochrob.teyek.hani.jeyek

المضمون الثاني

في تونس فقط تقول لواحد " كي وجهك ..." يتغشش

ينقسم **المضمون الأول** إلى ثلاثة أجزاء، على اليمين، صورة لآجرة ومسدس وغيرها من الأدوات، وفي الجهة اليسرى، صورة لشاب جالس على سرير، وفي الأسفل، نجد القسم الثالث من الرسالة الذي جاء في شكل خطاب لفظي (سؤال)، لتفسير الرابط بين العنصرين الأول والثاني، وإبراز موقف منتج الرسالة، ورغبته في إشراك متلقي الرسالة في نفس الموقف الذي لم يضعه محل جدل، وإنما أكدهفيالمرحلة اللاحقة عبر التساؤل (ماهو السلاح الذي تختاره للقضاء على هذا المخلوق؟؟).

إن منتج الرسالة، وإن اعترف بأن الشخص الموجود في الصورة (مخلوق)، على أنه قد لا يرتقي إلى المرتبة البشرية، وفي ذلك احتقار وحط من قيمة الآخر استنادا إلى هيئته (طريقة اختياره لتسريحة الشعر. الملابس . الجلسة...)،كما تضمن الخطاب اللفظي تحريضا على العنف، وإن كان من باب الدعابة، حيث يبدو أن الغاية الأساسية هي السخرية للمرور إلى إنتاج منشور تفاعلي آخر.

يمكن اعتبار نشر منتج الرسالة صورة لشخص دون إذنه للتعبير عن عدم رضاه أو قبوله بهيئته شكلا من أشكال تقييم الآخرين وإصدار الأحكام، وإن بصفة ضمنية، والابتعاد عن التعبير بصفة تفاعلية تحترم القواعد الاتصالية التبادلية.



نشير أن تحليل هذا المضمون لم يكن من منطلق أخلاقوي،لكن، لا يجب تجاهل أن الاتصال، كعلم وكفعل إنساني واجتماعي، له أدبياته وقواعده التي من الضروري احترامها.

احتل الخطاب الفظي، في **المضمون الثاني**،الجزء الأكبر، وأتى على لسان تلك الشخصية ذات الملامح الضاحكة[90].مع رصد أسلوب المقارنة بين وضعيتين متناقضتين في مكانين مختلفين (في أوروبا- في تونس)، كما تم استخدام اللهجة العامية، وهو ما يجعل المنشور موجه إلى فئة معينة من مستخدمي الفايسبوك.

تتمثل الغاية في الإضحاك عبر إبراز مفارقة، لكن،لا تستند ملاحظة منتج الرسالة إلى بنية حجاجية منطقية، وتكشف غياب التمحيص في الموضوع قبل طرحه:

أولا، الفاعل الاجتماعي مخير، ولم يفرض عليه أحد دفع مال مقابل أخذ صورة مع جمل، وإذا فعل، فهو مقتنع بأنه في عملية تجارية، وأنه بصدد شراء سلعة/خدمة عليه دفع ثمنها أي أنه قبل شروط التبادل.

ثانيا، من يأخذ صورة مع كريستيانو (Cristiano) أو ميسي (Messi)أو غيرهما، فإنه معجب بهؤلاء المشاهير الذين ليسوا بحاجة إلى المال، على عكس صاحب الجمل الذي يتكسب به، ليتمكن من الاستجابة لمتطلبات معيشته (مورد رزقه الوحيد ربما)، كما أن الشخصية الرياضية كلما أخذت صورة مع معجب، واستجابت لطلبه تدعم الإعجاب بها، و تحافظ على هذا الرصيد، وتضمن استمرارية التشجيع.

يندرج ذلك في الخطة التسويقية التي على اللاعب اتباعها، فهو يسعى إلى منح صورة جيدة تتميز بالتواضع واللباقة الاجتماعية،فلو فعل العكس، قد يهدد صورته، وينتشر الخبر ويكون له انعكاسات سلبية، خاصة أن هذه الشخصيات محل اهتمام إعلامي يرصد تحركاتها.

تم الاكتفاء بالخطاب اللفظي فحسب، في **المضمون الثالث**، بإدراج العبارات باللون الأسود مع خلفية بيضاء، ونستشف من خلال ذلك اللجوء إلى التبسيط لشد الانتباه، لكن، يمكن استقراء رمزية هذه البساطة من زاوية أخرى، وتتمثل أساسا في عدم بذل مجهود كبير والاكتفاء بالحد الأدنى لإنتاج مضمون ونشره حتى يوضع محل تفاعل.

قد يعود ذلك إلى عدم حاجة مضمون شبيه إلى إخراج فني معين ومميز لدعم دلالاته، لكن هناك استغلال واضح للصورة التي تعتبر من أهم المحامل الرمزية والتعبيرية لتمرير الخطاب اللفظي الذي قد لا يحظى

---

[90]وهي شخصية حقيقية للاعب كرة سلة صيني، التقطت له صورة فوتوغرافية وهو مغرق في الضحك، ثم تم اتخاذها بعد تحويلها إلى رسم، وانتشرت بسرعة في الفايسبوك، وأصبح استعمالها يشمل صفحات عدة بلغات مختلفة خاصة في المضامين التي يحمل خطابها اللفظي رسالة ساخرة مثيرة للضحك.



بنفس الاهتمام ولا يلفت الانتباه، إذا ما تم نشره على الصفحة كخطاب لفظي،بما أن حجم العبارات الذي سيكون أصغر، على عكس ما تسمح به الصورة من تكبير الكلمات وجعلها أكثر وضوحا وقدرة على الجذب للاطلاع عليها.

في هذا الخطاب اللفظي، إصدار حكم مطلق غير قائم على براهين (في تونس فقط)، إضافة إلى التعميم، وهو ما سيتدعم في سياق الجملة بعبارة (شعب)، أي أنه لم يستثنيأحدا، و ذلك غير موضوعي نظرا لضرورة التنسيب.

إن عبارة (كي وجهك) تحمل رموزا ذات دلالات معينة لدى التونسي، ومدلولها سلبي، ولا يقصد من يوجهها إلى الغير معنى إيجابيا، قد ينطقها في لحظة غضب أو دعابة.

بالتالي،وبما أن لكل عبارة معناها في المخزون الرمزي للفرد، فهو بشكل طبيعي وحسب الموقف والسياق، سيربطها بذاك المدلول، ويتصرف على أساسه أي أنه قد لا يغضب إذا قيلت له وأريد بها الهزل.

لا ننكر على منتج الرسالة حقه في نشر ما يشاء من المضامين، لكن، نتحدث من منطلق البحث عما تشهده العملية الاتصالية على مستوى الكم والكيف، وحاجة كل حقل من الحقول، وخاصة منها الاتصال،نظرالارتباطه بميادين عديدة، إلى لعب دور فعال سواء للفرد أو للمجموعة والمجتمع بصفة عامة.

تُطرح، في هذا الإطار، إشكالية عودة "الثقافة الجماهيرية" بشكل لافت للانتباه،ومدى إمكانية اعتبار ما يتم إنتاجه، بالنسبة لهذا النوع من المضامين، في شبكة الفايسبوك، انحدارا بالذوق العام، وتعويدا على إنتاج واستهلاك كل ما هو "سخيف"، خاصة مع الإقرار **"أن محتويات وسائل الإعلام الجديدة تساهم في تسطيح ثقافات الأفراد، وجعلهم يهتمون بالقضايا الهامشية التي لا تهمهم ولا تتعلق بمشاكل مجتمعهم الحقيقية"**[91].

[91] إبراهيم بعزيز، "وسائل الاتصال الجديدة وأثرها على ثقافة المستعملين، ورقة قدمت في الملتقى الوطني الأول " وسائل الإعلام والمجتمع"، جامعة محمد خيضر، بسكرة، يومي 28 و 29 نوفمبر 2010.
http://brahimsearch.r.b.f.unblog.fr/files/2012/05/1.pdf



4. 2. 1. 2- عجز الرسالة الاتصالية عن تحقيق التفاعل الهادف:

تم إدراج أمثلة من المنشورات، في الوثيقة التالية، لتوضيح المظهر الثاني من مظاهر الإفراغ من الجدوى:

الوثيقة عدد43:الإفراغ من الجدوى: عجز الرسالة الاتصالية عن تحقيق التفاعل الهادف

اشتمل **المضمون الأول** على خطاب لفظي، يتكون من سبع جمل باللون الأسود على خلفية بيضاء، وفي الأسفل يمينا، شخصية تمسك رأسها بيديها، وتبرز على ملامحها الحيرة، وفي الجهة اليسرى، صورة

لشخصية من شخصيات الأفلام المعروفة والتي يرتبط حضورها بالإضحاك (les minions) وهو ما يتم تأكيده من خلال العبارة المكتوبة بجانبها (rire).



يمكن تقسيم الخطاب اللفظي إلى قسمين: يتكون القسم الأول من ست جمل والقسم الثاني من الجملة الأخيرة.

في القسم الأول، جملة من الأسئلة التي طرحتها الشخصية واعتبرتها مثيرة للاستغراب، ما يلاحظ ملاحظته، في هذا السياق، توجيه الانتباه إلى مسائل هامشية، فما الفائدة التي ستحصل عند طرح استفهامات شبيهة (علاش أربعة عدد حروفها خمسة...)؟ما الداعي للاستنكار، وما العلاقة بين اسم ما وعدد حروفه؟

تتضح الغاية من هذا المضمون في القسم الثاني من الخطاب (وعلاشما ديروش جام)، حيث يصرح منتج الرسالة بالهدف الأساسي الذي دفعه إلى النشر، ليكشفبأن ما طرحه في شكل أسئلة ليست سوى ملاحظات لا تقدم فائدة،حيث ليست لها إجابات، وهدفه الوحيد كسب أكثر ما يمكن من التفاعل بضغط زر الإعجاب تحديدا.

إذن، لا يهتم صاحب المنشور بفحوى ما ينتجه، متجاهلا، عن قصد أو دون قصد، أهمية الاشتغال على المعنى عبر إدراج الملاحظات التي قد تشير إلى إشكاليات حقيقية ومواضيع مثيرة للتفكير والنقاش، وحتى وإن كان هدفه الترفيه والتسلية، فهو يحتاج إنتاج مضمون قادر على تحقيق ذلك عبر ما يشتمل عليه من مقاصد قادرة على إثارة الضحك.

تمثل **المضمون الثاني** في خطاب لفظي يشملجزءين: السؤال والإجابة، ونلاحظ علامة الاستفهام التي تعمد منتج الرسالة أن تكون ملفتة للانتباه، فهي ذات حجم كبير وبلون مختلف، وبالقرب من الشخصية لإبراز أنها هي التي توجه السؤال، الذي من المحتمل أن هناك عددامن المستخدمين الذين طرحوه، أو عدد منهم يريد الاستفادة بمعلومة جديدة، خاصة وأننا نجد أسفل المضمون عنوان الصفحة (كل يوم معلومة غريبة) ليأتي بعد ذلك الرد على الاستفهام.

يمكن اعتبار كتابة تعليق فارغ شكلا من أشكال التفاعل التي يعبر بها صاحبها أنه اطلع على منشور، دون تقديم رد فعل صريح، سواء كان بالإجابة المرقونة أو اختيار واحدة من أيقونات الوجوه المندهشة أو الغاضبة...أو الضغط على زر الإعجاب.

لكن، الأمر ليس مهما إلى درجة تخصيص منشور لتعليم الآخرين هذه الطريقة التفاعلية، فماهي الإضافة التي يمكن أن تقدمها هذه الطريقة للعملية الاتصالية بالنسبة للأطراف المشاركة فيها، بما أنه لا يمكن تحديد موقف صاحبها؟



تبلور هذه الطريقة التفاعلية انحيازا عن اللغة المكتوبة التي تسمح بالتعبير عن الموقف بصفة معلنة،للاقتصار على ردود مبهمة تفتح باب التأويل، الذي قد لا يكون له داع و لا طائل منه، كما أن صياغة رد الفعل في خطاب لفظي أمر مهم، لأنه يمنح المتلقي فرصة لصياغة أفكاره والتدرب المستمر على ذلك، لإثارة النقاش وضمان دينامية العملية الاتصالية وإثرائها.

ورد الخطاب اللفظي، في **المضمون الثالث**، على خلفية بيضاء، مرقونا باللون الأسود بخط غامق وحروف ذات حجم كبير، واختيار خط سهل المقروئية، وحضور شخصية بسيطة على مستوى الرسم فهي مجسدة ببعض الخطوط فحسب، وهي كثيرة الحضور، في العديد من المنشورات في صفحات مختلفة في الفايسبوك، سواء كانت تونسية وغيرها، قد يتم الاكتفاء بالرأس حينا أو إضافة بعض تفاصيل جسده أحيانا أخرى.

في هذا السياق، نشير إلى العودة إلى نفس القالب الاتصالي الجاهز الذي يتم استدعاؤه في سياق معين، ألا وهو التعرض إلى موقف ساخر بهدف التسلية أو الإضحاك أو النقد، سواء تعلق الأمر بمواضيع ترتبط باستخدامات الفايسبوك أو قضايا الواقع الاجتماعي، في جميع الشؤون والميادين، وتختلف بطبيعة الحال مستويات الجدية في العرض.

إن النقد الساخر لا يخلو من جدية، بل بالعكس، فهو يقدم القضية أو الموضوع بذلك الأسلوب لغايات عدة، لعل أهمها القدرة على الجذب والتأثير،لكن، عند الاطلاع على الخطاب اللفظي الذي يأتي على لسان تلك الشخصية ذات الوجه الضاحك، نستشف غياب الجدية، فهو مضمون تم إنتاجه من طرف صاحب الصفحة (وحدة كاتبة هل أستطيع الانتحار بطريقة إسلامية)، ليجيبها باستعراض جملة من الاقتراحات وتعمد اختيارها من حقل مفاهيمي يتلاءم مع فحوى السؤال.

في الأغلب، هذا الخطاب اللفظي تم تخيله من طرف صاحب الصفحة، فهو غير منطقي من حيث الاستفهام المطروح، فلو كان هذا المنشور موجودا فعلا، لعرضه صاحب الصفحة تعزيزا لخطابه،وحتى إذا تم الافتراض أن هناك من نشرت على حسابها الشخصي هذا السؤال الذي يخلو من الموضوعية، ولا يمكن معرفة هل نشرته جادة أم لمجرد السخرية والخروج عن المألوف،باعتبار أن الانتحار فعل محرم من منظور إسلامي، وهي تريد تطبيق الفعل بطريقة شرعية، فمن السخف مجاراتها وإجابتها إجابة شبيهة كالتي قدمها صاحب المنشور.



لا ننكر حق كل مستخدم أن ينشر على حسابه ما يعتبره جديرا بالطرح، مهما كانت غايته، حتى إن كان الهدف الوحيد إثبات الحضور في الشبكة مع انتظار التفاعل مع منشوره من طرف الأشخاص الموجودين في قائمة الأصدقاء، لكن،تعتبر المواصلة في إنتاج ونشر هذه المضامين، انسياقا وراء الإنتاج الكمي دون ترو،ودون البحث عن الإثراء الكيفي، وتغييبا، عمدا أو دون قصد، للإشكاليات الحقيقية، أي الهروب من مواجهة الواقع والانشغال والانغماس في ثقافة التسلية[92].

وردت، في القسم الثاني، من الخطاب اللفظي الإجابة (نعم. يمكنك الغرق في ماء زمزم أو القفز من جامع أو تخنقي روحك بسبحة)، في هذا السياق، نشير **أولا** أن الانتحار في المجتمع التونسي يعد إشكالية مطروحة بسبب ارتفاع نسب المنتحرين خاصة من الأطفال والشباب، والموضوع يحتل أهمية بالغة نظرا لخطورته على مستوى البنية المجتمعية وبالنسبة للفرد في علاقته بذاته وبالآخرين وبواقعه، بالتالي، الموضوع ليس موضع تندر،إلى حد الاستخفاف بخطورته، بما أنه يصنف ضمن المشكلات الاجتماعية الراهنة.

ثانيا، الإجابة المتضمنة لجملة من الاقتراحات، والتي تنطلق بكلمة (نعم) أي الإيجاب الذي يدل على الإمكان، وما فيه من تشجيع على الانتحار على سبيل السخرية، لكن هناك من الهزل ما قد يتحول إلى واقع، وهناك من قد يحاول تطبيق التنظير، كما تكشف الإجابة عن مواصلة تعميق العبث الذي انطلق من السؤال.

يمكن استقراء الرمزية الدلالية للاقتراحات أنها شكل من أشكال السخرية من المرجعية الدينية، فماء زمزم هو رمز للشفاء والتبرك به، والجامع للصلاة، والسبحة لذكر الله،إذن، هناك انحراف كامل عن هذه الرمزية وتحميلها وظائف مناقضة لما جعلت من أجله، وما تحمله من دلالات لدى مستخدمي الفايسبوك والفاعلين الاجتماعيين بصفة أعم.

نستشف من هذا الطرح بروزمشكل يتمثل في جعل كل المواضيع محل سخرية وتهكم، في حين أن الدين جزء من الهوية ومكون من مكوناتها وهو العنصر المقدس فيها، يقبل الاجتهاد والبحث والتساؤل،وليس التحقير والاستهزاء.

[92] مصطلح " ثقافة التسلية" من اقتراح المفكر الاستراتيجي الأمريكيZbigniewBrezinski) .)



في **المضمون الرابع**، تم إدراج وجه بملامح غاضبة، مع خطاب لفظي باللون الأسود وخط من الحجم الكبير الغامق، وعلى خلفية بيضاء لضمان المقروئية والوضوح لجذب انتباه، كما نرصد الاختصار، فأربعة أسطر لا تستهلك من وقت المستخدم الكثير للاطلاع عليها والانتقال إلى غيرها.

هذا الاستسهال في الإنتاج المتواتر ليست الغاية منه الاستيقاف وبعث الحيرة،نظرا لغيابقضايا تدعم إعمال الفكر، فهذه المضامين شبيهة بسلع استهلاكية تتكاثر استجابة لمتطلبات شريحة من المستخدمين، أو تعويد المتلقي بهذه الطريقة المتكررة على هذا النوع من الاستهلاك، أي أنها متنفس للترويح عن النفس لا تحتاج مجهودا ذهنيا، لكن، انتشارها الواسع قد يكون سببا في خمول فكري، فهذه المنشورات تجعل المستخدم يبحث عنها كمصدر للتسلية والضحك، وذلك منطقي، لكن،الإضحاك فن السخرية أي أن له قواعد، وإلا تحول إلى "تفاهة" إذا افتقد المضمون لفكرة تثري الاتصال نوعيا بطريقةأو بأخرى.

قد تتحقق الغاية وهي الحصول على التفاعل الافتراضي، لكن، في ذات الوقت، قد تساهم في تسطيح ثقافة الأفراد وتنحدر بالذوق العام، ما يتولد عنه "ازدحام كمي" و "فراغ كيفي"، وهو ما نستشفه عبر مدلول الخطاب اللفظي، في هذا المضمون، الذي يغضب صاحبه، فيعبر عن ذلك باستفهامه الإنكاري عن سبب اختلاف نسب التفاعل،(كل شيفهمتو كان نهبط ستاتي تجيب 70 جام تسرقها طفلة تجيب 500 جام علاه خطها خير)، مع تقديم إجابة ساخرة غير منطقية باعتبار أن في الفايسبوك يتم رقن الخطاب وليس كتابته بخط اليد.

نتبين من خلال هذا الاستفهام الذي يحمل تصريحا ضمنيا أن غاية منتج الرسالة في هذه الصفحات هي الحصول على أعلى نسب التفاعل بالإعجاب، فذلك محور الاهتمام والغايات الأخرى تحتل مرتبة ثانوية.

تم استخدام اللهجة العامية لغاية التبسيط والعفوية للخروج من الرسمية، هذا إضافة إلى أن اللهجة العامية التونسية تدمج كلمات باللغة الفرنسية (ستاتي- جام)، باعتبار أنها رسائل بغاية الترفيه، لكن، ما المانع إذا تم تبليغ رسالة ما باللغة العربية الفصحى مع السعي إلى اعتماد مصطلحات بسيطة مفهومة، ونطرح، في هذا السياق، تأثير الاستخدام المتواصل للعامية في اللغة كرمز هوية وثقافة وحضارة يجب المحافظة عليها ودعمها، وعدم استخدامها قد يهددها بالتقهقر والاندثار.

من زاوية نظر أخرى، يطرح **المضمون الرابع** مسألة تقييم المنشورات، في الفايسبوك، والآليات المعتمدة ومدى اتسامها بالموضوعية: هل ترتبط أساسا بالمستخدم ومدى تأثيره الرمزي بالعودة إلى رأسماله الاجتماعي (عدد الأصدقاء في الشبكة الافتراضية)؟



لا يعتبر ارتفاع عدد الأصدقاء في الشبكةمولدا حتميا لزيادةنسبة التفاعل، ولا يعدو أن يكون ذلك سوى احتمالا ممكنا من جملة احتمالات، فقد يكون لدى مستخدميْن مثلا 1000 صديق لكل منهما، وحين ينشران ذات المضمون،أحدهما يحصل على 500 إعجاب، والآخر لا يتجاوز العشرة.

قد يكون المنشور "فقيرا" على مستوى الرمز، أي لا يعالج قضية، مجرد ملاحظة لا تلعب وظيفة "فعلية"، وقد تشتمل أحيانا على تعدّ على الآخر بشتم أو تحقير، لكنه، يحظى بنسب تفاعل مرتفعة،على عكس مضمون آخر يكون ثريا، ويطرح إحدى القضايا التي تشغل الواقع الاجتماعي،على أنه يحظى بنسبة تفاعل ضعيفة.

يتفرع تأثيران عن هذه المسألة:

أولا، تأثير نسبة الإعجاب المرتفعة المتمثل في التشجيع على المواصلة في منهج، وإن كان لا يقدم إضافة على مستوى المبنى والمعنى.

ثانيا، تأثير نسبة التفاعل المنخفضة، المتمثل في التراجع عن الإنتاج والإبداع، لأن صاحبه لم يحظ بالاهتمام المرجو رغم بذل مجهود في إنتاج مضمون، سواء كان على مستوى الإخراج الفني أو البحث أو التحليل على مستوى المدلولات.

بالتالي، يمكن التأكيد على تحكم المستخدم في الشبكة الافتراضية وتوجيهها وتطويع أساليبها وآلياتها لخدمة مصالحه وتحقيق غاياته، ويبقى بذلك التوجه اختياريا، فكما يمكنه اللجوء إلى هذه الشبكة لإثراء العملية الاتصالية على المستوى الرمزي والعلائقي، قد يكتفي بجعلها مصدرا للنشر "العشوائي" فحسب، وإنتاج مضامين تستجيب لطموحه الاتصالي في الحصول على أعلى مستويات التفاعل إعجابا، وكلما حقق بغيته، ترسخ لديه يقين أن عليه المحافظة على هذا "النجاح" و "التفوق" التفاعلي وإنتاج مضامين شبيهة.

لا يتوقف الأمر عند منتج الرسالة فحسب، فالإنتاج المكثف يمكن تفسيره بوجود إقبال، وربما لولا هذا الإقبال التفاعلي، لنقص الإنتاج وتراجع أو غاب،إذن، يتحمل المتلقي مسؤولية الانسياق وراء استهلاك هذه المضامين التي قد تبلغ درجة "السخافة"، وعدم الاهتمام بتأثير ذلك في الذوق، والتعلق برسائلها كجرعات للاكتفاء بالسخرية من كل المواضيع، والابتعاد شيئا فشيئا عن طرح الأسئلة وعدم إعمال العقل قصد الارتقاء بالمخزون الرمزي الذي يحتاج بصفة مستمرة للتحيين والتعديل.

إن هذا المظهر من مظاهر الإفراغ من الجدوى قد ينجر عنه اتصال عشوائي.



4. 2. 2- اتصال عشوائي:

إن المقصود بالاتصال العشوائي هو عجز الرسالة عن تحقيق التفاعل الهادف، وإثراء العملية الاتصالية، سواء كانت الافتراضية أو في الواقع الاجتماعي، إضافة إلى تضييق الرؤية والزاوية واختيار منهج واحد لتحقيق غاية معينة نتيجة استسهال النشر والإنتاج باختيار الإخراج الفني الذي لا يكلف وقتا أو مجهودا، وبساطة التفاعل فضغطة زر لهذا المنشور أو ذاك لا تتطلب وقتا، وسرعة الاطلاع على منشور للمرور إلى ما يليه.

4. 2. 2. 1- استسهال إنشاء صفحات على الفايسبوك:

يمكن للمستخدم أن ينشئ عددا لا حصر له من الصفحات، قد تكون الغاية الأساسية من وراء ذلك مجرد التعبير عن انفعال مؤقت، وهو ما يتولد عن غياب الجدية في الممارسة الاتصالية، نظرا لأنه ليس هناك موضوع يطرح أصلا، كإنشاء صفحة ترتبط بلقطة في مسلسل(مسلسل رمضاني أولاد مفيدة- العرض في 2017 لا تعالج قضية (صفحة المنشفة إلي لبستها إناس - صفحة الكف إلي كلاه بدر ولد مفيدة).[93]

لا يمكن لهذه الصفحات مواصلة البقاء لأنها مفتقرة إلى مقومات الديمومة، حيث يتخلى عنها أصحابها غالبا لإنشاء أخرى ربما، أو إهمالها دون العودة إليها حتى لإغلاقها.بالتالي، قد يمثل إنشاؤها تصرفا عشوائيا، وما دام المستخدم مطمئناأنه لن ينجر عنه محاسبة أو مطالبته بتفسيرات،يستطيع إنشاء بعث ما يشاءمن الصفحات،في اليوم الواحد.تكشف هذه الممارسة الاتصالية عن تغييب لدور العقل،وما يجب أن يتمتع به الفعل الاتصالي من الحد الأدنى من المنطق،ومساهمة الفايسبوك بما أفسحه من إمكانيات في غياب الانضباط والمراقبة الذاتية.

نشير إلى نقطة أخرى، في هذا السياق، وهي وجود من يعبر عن إعجابه بهذه الصفحات 692 (personnes aiment ça)، ليتم التأكيد من جديد أن المسؤولية مشتركة في منح الاتصال العشوائي فرصة لينتشر أكثر، ويحتل حيزا يكبر تدريجيا، وقد يغدو ذلك مشكلا حقيقيا يهدد العملية الاتصالية، بسبب استنزاف الرمز من المعنى والقيمة والدور، وإدمان "تعاطي السخافة".

في هذا الإطار، لا يمكن أن ننكر أن كل مستخدم حر في تصرفه الاتصالي، سواء كان منتجا للمضامين أو متفاعلا معها ومستهلكا لرسائلها، لكن الحرية لا تتناقض مع المسؤولية الفردية والجماعية.

---

[93]انظر الوثيقة عدد 44في الملاحق صفحة 206



4. 2 . 2 .2- إرساء ثقافة السخافة:

يعتبر تكريس السخافة كفلسفة حياتية المظهر الثاني من مظاهر الاتصال العشوائي، وتم إدراج مضمونين في الوثيقة التالية لتوضيحه بشكل أكثر تفصيلا:

الوثيقة عدد 45: اتصال عشوائي : إرساء ثقافة السخافة



يمثل **المضمون الأول** صفحة عنوانها (خرطر) ومعناه هراء باللهجة العامية التونسية. تم الاكتفاء في صورة الغلاف بكلمة واحدة (تخلويض) تتوسط الفضاء بخلفيته السوداء بخط كبير وسهل المقروئية، وهو ما جعلها واضحة لجلب الانتباه دون عناء.

نلاحظ سرعة الإنتاج بأقل مجهود ممكن، مع اختيار صورة الحساب المتمثلة في امرأة مسنة تدخن سيجارا، وقد يرمز ذلك إلى الاستهزاء بكل ماهو جدي والاستهتار وعدم أخذ الأمور باعتناء،من خلال المفارقة ربما التي اعتقد باعث الصفحة أنها قادرة على إثارة الضحك حسب تقييم معين ومخزون رمزي محدد، باعتبار أن الأمر قد يكون عاديا وغير مثير للدهشة أو السخرية.

يؤكد العنوان نفس ما جاء في الخطاب اللفظي (خر طر= تخلويض)، وفي ذلك تصريح مبدئي باللامعنى أي اللاجدوى التي قد تتبلور عبر المنشورات، كما أن الفعل الذي تقوم به المرأة في الصورة فعل عبثي باعتبار أن التدخين هو نفث دخان في الهواء أي يذهب دون ترك أثر في جزء منه، وإن منح القائم به متعة، وهو ما قد ينطبق على الحديث الذي لا يثري، وإنما يتم التفوه به ترويحا عن النفس.

تجدر الإشارة إلى شيء مهم، وهو أن التدخين مضر بالصحة وقاتل، وإن كان ضرره غير مرئي،ولا يتزامن مع أوان القيام بالفعل، وإنما بالتراكم والاستمرار حد الإدمان، وإذا تم ربط ذلك بالسياق التحليلي، نجد أن الممارسة المتكررة لإنتاج واستهلاك تمثلات شبيهة قد تغدو إدمانا مهددا لسلامة مختلف عناصر



العملية الاتصالية بسبب التعود على نشر مضامين لا تعالج قضايا، وإنما مجرد تفريج عن الأفكار قبل عقلنتها وإخضاعها للمنطق.

إذن، كما يهدد الاستمرار في التدخين (سيجار) صحة الفرد والمحيطين به ويلحق الضرر بالبيئة عامة،فإن من ينشرون دون تمحيص يكرسون السخف في الخطاب اللفظي، ما قد يهدد المنتج والمتلقي في العملية الاتصالية في الفايسبوك.

يشتمل **المضمون الثاني** على خطاب لفظي يتكون من ست كلمات مع إدراج أيقونة القلب ونقطتان، ليشبه الخطاب رسالة في المحاورة الفورية على مستوى السرعة والبساطة وعدم الحاجة إلى نوع خاص من الابتكار.

ما يهم، في هذا المضمون، هو المدلول أي المعنى أو المعاني التي تحملها الرسالة عبر هذا الخطاب اللفظي المتمثل أساسا في (غدا سأحتل العالم والآن سأنام)، وهو ينقسم إلى جزءين هما فعلان كلاهما في المستقبل القريب وإن سبق أحدهما الآخر.

نرصد من خلال (غدا سأحتل العالم) خطابا تقريريا يؤكد صاحبه يقينه من إمكانية التحقيق، ونستفهم في هذا السياق: ما المقصود باحتلال العالم؟ هل هي أمنية والأماني مستحيلة التحقق؟ أم "احتلال" على سبيل المجاز وفي ذلك مغالاة، وما الغاية منها؟

لا يقدم الخطاب اللفظي توضيحا، بالتالي، هناك نوع من الغموض، وترك المتلقي حرا في التأويل: قد يرتبط احتلال العالم بسعي الإنسان إلى التحكم في الطبيعة وتسييرها حسب قوانينه الخاصة وإخضاعها لمشيئته، ويبقى نجاحه نسبيا لذلك يواصل المحاولة باستمرار، وتغيير الاستراتيجيات النظرية والتطبيقية حسب القوانين المجتمعية، وفي هذا السياق، يمكنه استغلال ما توفره التكنولوجيا.

لكن، هل يمكن اعتبار نشر مضامين شبيهة في الفايسبوك استراتيجية نظرية ناجعة، علما أن من بين المقومات التي يقاس بها نجاح الإستراتيجية الواقعية وقابلية التطبيق؟

يأتي بعد ذلك الفعل الثاني المسبوق بعبارة تدل على زمن الحاضر (الآن) ليليها فعل المستقبل القريب (سأنام)، وهو فعل يدل على حدث عادي روتيني يأتي بعد التعب أو رغبة صاحبه في الراحة، على عكس الفعل الأول.

يكشف الخطاب اللفظي عن سعي المستخدم لعرض نفسه بصورة الذات "الخارقة" القادرة على تنفيذ ما تريد دون ارتباك أو توتر (سينام)، ملفتة للانتباه بسلوكها وثقتها وتصرفاتها الافتراضية، وبما أن الخيال لا يمنع أو يعرقل، فلها أن تدعي ما تشاء وكأن الأمر عادي.



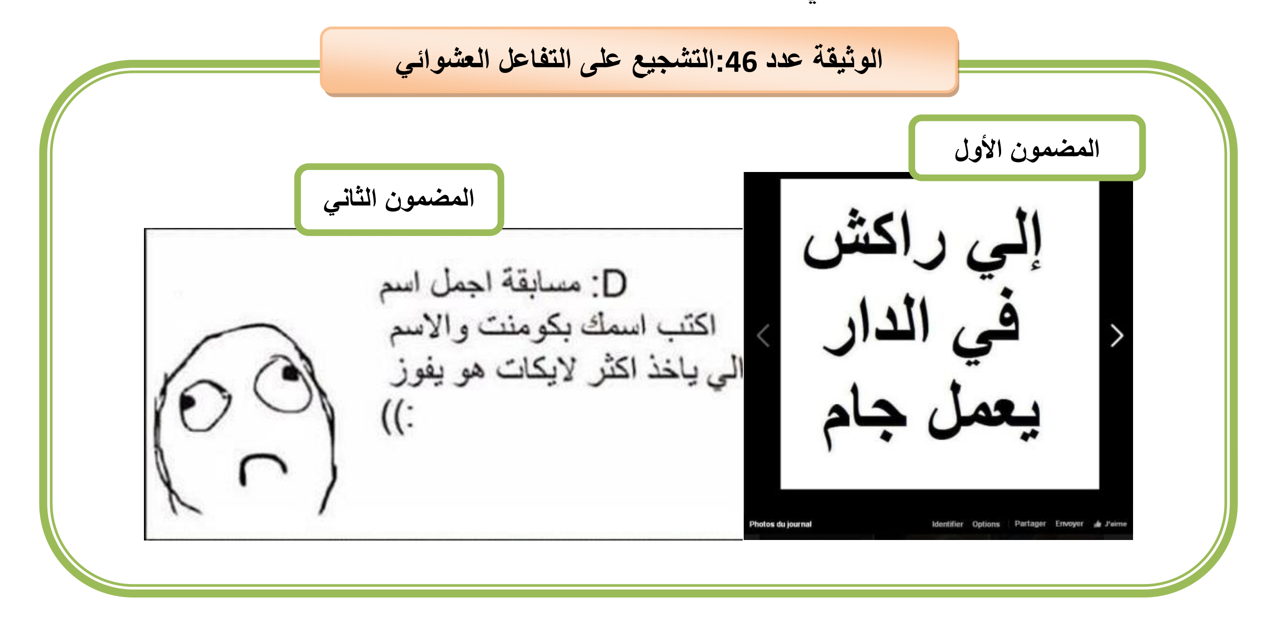
يمكن لمستخدم شبكة الفايسبوك أن يتخيل وينشر ما يريد، ويدعي القيام بأفعال قد تكون مستحيلة التحقق أو غير منطقية على سبيل المجاز دون حرج، ليدخل طواعية إلى مجال إيهام النفس بالقوة وتحويل المستحيل إلى ممكن، وهو ما يكشف عن عجزه الواعي أو اللاواعي عن تحقيق أحلامه وبلوغ أهدافه، فيضطر إلى ادعاء إقدامه على القيام بأفعال تتجاوز حدود المنطق.

إذن، لا تعدو أن تكون سوى ظاهرة كلامية وقوة وهمية، وفي ذلك شكل من أشكال السخافة عبر إرساء ثقافة وهمية يصول ويجول فيها المستخدم، قد تحقق له في البداية نوعا من الاكتفاء، لكن ليتسع الخواء في كل مرة، ويتعمق العجز.

قد يدرك المستخدم هذا المأزق التواصلي، ويحاول الخروج منه، وقد يقر بعدم قدرته على التدارك، فلا يجد وسيلة سوى المواصلة في هذا المنهج الذي يجعل المسافة بين الواقع والافتراض بعيدة، فيسقط في "هوة افتراضية"، وقد لا يكون واعيا بما تشكله تمثلاته من تهديد، وهو ما يمكن تبويبه في نطاق المشكل الأشد وطأة على العملية الاتصالية.

4 .2 .2 .3- التشجيع على الاتصال العشوائي:

تم رصد منشورات في الفايسبوك تقوم بالتشجيع على التفاعل مع مضامين تفتقر إلى الجدوى الاتصالية،ومنها المثالين المدرجين في الوثيقة التالية:





يتمثل **المضمون الأول** في خطاب لفظي باللون الأسود على خلفية بيضاء (إلي راكش في الدار يعمل جام)، وتم استخدام اللهجة العامية التونسية التي تعني (من هو موجود في المنزل)، للتعبير عن بالرغبة في الحصولعلى التفاعل فحسب (يعمل جام).

بالتالي،إن كانت المضامين السابقة تشتمل على رسالة،وإن كان فحواها يقتصر على السخرية لإثارة الضحك، وعدم توضيح الغاية الأساسية من وراء هذا النشر أو ذكر ذلك في النهاية،ففي هذا المضمون، دعوة صريحة للحصول على التفاعل بالإعجاب من كل مستخدم بصدد التواصل عبر شبكة الفايسبوك، وإن تم تحديد وضعية معينة لهؤلاء المستخدمين (راكش في الدار).

نستفهم: ماذا يهم صاحب المنشور مكان تواجد المستخدم(في المنزل- في العمل- في الشارع....)؟ما الفائدةمن إثبات الحضور ب"جام" بالنسبة لمن سيستجيب ويتفاعل مع هذا المضمون،إذا توقفت العملية الاتصالية عند هذا الحد:

(لن يخسر شيئا - مجرد ضغطة/لن يربح شيئا - مجرد ضغطة= الحاصل لاشيء ≈ اتصال عشوائي).

تم الاعتماد على الأيقونات البسيطة للدلالة على الوجه الضاحك في بداية ونهاية الخطاب اللفظي المرفق بصورة، في **المضمون الثاني**، المتمثل في رسم بسيط لا يتعدى بعض الخطوط والدوائر، ويمكن القول أن في ذلك استسهال إلى حد الاستهتار، وعدم العناية بما يُقدم للمتلقي من حيث الجمالية والتصور الفني.يرمز الرسم إلى وجه تدل ملامحه على الحمق من خلال شكل عينيه، ونظراته تبرز عدم الفهم وتشي بالغباء انطلاقا من وضعية فمه نصف الدائرية المقلوبة.

اشتمل المضمون أيضا على خطاب لفظي بلهجة عامية ممزوجة بلغات أجنبية مكتوبة بالعربية حسب طريقة نطقها(كومنتولايكات)، وهي مصطلحات ترتبط أساسا بالفايسبوك وأساليبه التفاعلية، للإعلان عن مسابقة (مسابقة أجمل اسم).

إن الاسم مسألة شخصية ترتبط أساسا بالذوق الذي يختلف من شخص لآخر، وما قد يعجب فردامن الأسماء قد لا يعجب آخر، وأحيانا الشخص نفسه لا يعجبه اسمه، ولا تجرى مسابقات لتقييم الأسماء وأكثرها جمالا، باعتبار أنها ليست من اختيار الشخص، ولا تعبر بصفة مطلقة عن صاحبها، إنما هي إثبات للهوية حسب القوانين المجتمعية.



تتمثل طريقة التقييم في الحصول على (أكثر لايكات)، إذن، الشخص مرهون في ردة الفعل التفاعلية الافتراضية، بما أن(الاسم إلي يأخذ أكثر لايكات هو يفوز).

نطرح، في هذا السياق، استفهاما : بماذا سيفوز؟ماذا يعني الفوز الافتراضي: هل هو كسب للثقة وإشباع نفسي لصاحب الاسم؟وفي جميع الحالات، يمكن الإقرار أن "الفائز" الوحيد هو صاحب المنشور لأنه سيحقق غايته في الحصول على التفاعل.

إن الحصول على أعلى قدر ممكن من التفاعل،ليس غاية في حد ذاته، إنما هو نتيجة وكل نتيجة تسبقها أسباب، وإذا أراد منتج الرسالة الحصول على نتيجة موجبة عليه تجهيز الأسباب الملائمة، وبغيابها،يغدو الاتصال عشوائيا وهو الاتصال الذي تغيب فيه الأهداف ويفتقر إلى الغايات.



4. 3- الابتزاز والاستغلال للتكسب التفاعلي: التنفير من المساهمة في العملية الاتصالية:

4. 3. 1- الابتزاز والاستغلال التفاعلي:

تقوم بعض المنشورات بتوجيه رسائل تحاول تقييد حرية مستخدمي الفايسبوك، عن طريق إطلاق الأحكام على ممارساتهم الاتصالية واختياراتهم التفاعلية (اعمل جام...و إلا /برطاجي...وإلا.../لا تنس فقد حلفت/ الله لا ترحم والدين إلي يشوف الصورة وما يعملش جام..ما تنساشراهم والديك...)

يمكن تسمية هذه الوضعية الاتصالية ب"الابتزاز" التفاعلي،عن طريق المتاجرة بالدين والاستدراج العاطفي **أولا** واستغلال المعاناة الإنسانية للتكسب التفاعلي **ثانيا**.

4. 3. 1. 1-الابتزاز التفاعلي من خلال المتاجرة بالدين:

ندرج في الوثيقة التالية أمثلة عن المنشورات التي تمارس الابتزاز التفاعلي عبر رسائلها:



ينقسم الخطاب اللفظي، في أغلب هذه المضامين،إلى قسمين،قسم لتوضيح الموضوع (رؤية الرسول في المنام- شرب ماء زمزم...)، ويأتي القسم الثاني فيشكل دعاء أو إقرار أو طلب أو استفهام.

ترتبط **المضامين الأربعة في الصف الأول** من الوثيقة بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم:

يلجأ منتج هذه المضامين إلى أسلوب تسويقي (ستبدأ دون توقف والدليل أمامكم)، حيث يتعمد إقراررد فعل معين تصرح به الرسالة التي أنتجها، على أساس الحصول على أعلى مستوى تفاعل، مع تحديد النتيجة دون ترك مجال للمتلقي للتفكير، فصاحب المنشور يفكر ويتخذ القرار بدلا عنه، ولا يترك له سوى الانصياع للتنفيذ.

تستبطن الرسالة معنى ضمنيا يتمثل في أن من لا يستجيب للطلب التفاعلي، فهو لا يحب الرسول،رغمأن منتجها يكتفي بذكر العبارة فحسب (عندما أقول سيدنا محمد)، ولم يذكر على الأقل صفة من صفاتهأو عملا للحث على الاقتداء به.

ارتكز الخطاب اللفظي (هل نستطيع أن نهدي 500 صلاة لسيدنا محمد) على أسلوب استفهامي طلبي ينتظر تعليقا مع تحديد العدد المطلوب من التعليقات، تم إيراد الحد الأدنى، وإذا زاد عنه، فذلك يصب في مصلحة منتج الرسالة، ونتساءل في هذا السياق: هل يمكن الجزم بأن المستخدمين الذين لا يضغطون على زر الإعجاب غير (عاشقين لسيدنا محمد)، خاصة وأن هناك "عشاقا" لا يريدون الإعلان افتراضيا ولا يجدون داعيا لفعل ذلك.

يرتبط **المضمونان الأول والثاني، في الصف الثاني**،بمواقع أو أماكن مقدسة، وهي مدخل المدينة المنورة(مدخل مدينة مكة المكرمة يا رب إلي ينزل جام إن شاء الله يزورها)،وماء زمزم (كم مسلم يتمنى يشرب من ماء زمزم ينزل جام)



يرتبط**المضمونان الثالث والرابع، في الصف الثاني**،بالقرآن وتحديدا المصحف في مجمله: في **المضمون الثالث**، نرى سيدة تبكي مخفية عينيها بكفها، وتحمل كتاب القرآن باليد الأخرى رافعة إياه (مين بيحب القرآن الكريم يعمل لايك)، وفي المضمون الرابع، تم إدراج رسم في صيغة معادلة (وجه عابس + كتاب قرآن = وجه باسم)،مع خطاب لفظي (إلي موافق ينزل جام).

تتعلق**المضامين الثلاثة في الصف الثالث** من الوثيقة بعبارات منها:

- **الآية القرآنية**:يمكن الإشارة فيما يرتبط بالخطاب اللفظي التالي (بربي شوف محلاها هل آية "ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام قداش تستحق من جام) :

أولا،تعمد اختيار قسم معين من الآية بهدف الطمأنة،أن هناك قوة تسيطرعلى العالم،ووحدها الذات الإلهية باقية وترث الأرض ومن عليها، وعدم إدراج بدايتها "كل من عليها فان".

ثانيا،القرآن كل لا يتجزأ، ولا يمكن،موضوعيا،القول آن هذه الآية"أحلى"من أخرى، لآن كل آية لها سبب تنزيلو غايته.

ثالثا،يمكن لصاحب هذه الصفحة، في كل مرة، اختيار آية ونشرها، معتمدا نفس الأسلوب في تقديمها أو أساليب أخرى، بهدف التفاعل، ما يمكن تنزيله في إطار "المتاجرة بالقرآن بالتفصيل/ بالتقسيط" عن طريقعرض الآيات بصفة مستمرة.

- **الشهادتان**:نلاحظ فيما يتعلق بالخطاب اللفظي (نريد جمع ألف محب لهذه الكلمة...)،أنها ليست كلمة وإنما جملتان (لا إله إلا الله/محمد رسول الله)، وأن كل مسلم بصفة منطقية محب لهما مادام آمن،وهما أول أركان الإسلام.

- **الله**:ماذا يحصل إذا تحققت الأمنية (أمنيتي نلقى 500 جام لكلمة الله)؟

إن الخطاب اللفظي الوارد، في هذه المضامين، يدفع إلى الاستفهام:هل هذه الأساليب قادرة على نصرة الإسلام كدين متهم بالإرهاب، بصفة مباشرة أو غير مباشرة؟ هل تساعد هذه المضامين على التعمقفي العقيدةوترسيخ أحكامها؟ماالفائدة من الأسئلة المطروحة،باستثناء تحقق غاية منتج الرسالة أو عدم تحققها، وما ينجر عن ذلك من ارتفاع مستوى التفاعل أو ضعفه؟



لا يمكن إدراج هذه الأسئلة في إطار سبر آراء، باعتبار أن كل سبر في أي مجال من المجالات له أهداف محددة يسعى إلى بلوغها،وليس مجرد أصوات وإجابات يتم جمعها، وتتمثل الإجابة في هذا السياق في ردود تفاعلية بالإعجاب أو التعليق حسب ما يطلبه منتج الرسالة.

يدفع منتج هذه المضامين إلى التصريح بالخبايا والمطامح العقائدية (من يتمنى أن يرى الرسول، من يحب القرآن...)، في حين، أن المستخدم ليس مطالبا بتقديم إثبات للآخر، فالتدين صلة بين الإنسان وخالقه، ومنطقيا الأمر أعمق من ضغطة زر (جام. جامات. لايك) أو تعليق، كدليل عشق أو حجة على الإيمان وبرهانا على التقوى.

تم الاشتغال، في هذه المنشورات، على جملة من "المواد الأولية" (الرسول والأماكن المقدسة والقرآن وكلمة الله والشهادتان)، و"تعليبها" في قالب "سلع" دينية ونشرها في انتظار الإقبال عليها. يمكن الحديث في هذا الإطار عن شكل من أشكال المتاجرة،عبر استغلال المرجعية الدينية، لتحقيق أغراض تفاعلية،حيث تم الاكتفاء بالجزء النظري وعدم التعمق في الأحكام والسنن والتعاليم مثلا، وهو ما يجعلها لا ترتقي إلى رتبة الدعوة الدينية، بالتالي،عاجزة عن تقديم الإضافة.

4. 3. 1. 2-الابتزاز التفاعلي من خلال الاستدراج العاطفي:

يوضح المضمونان المدرجان، في الوثيقة التالية، هذا المظهر من مظاهر الابتزاز:



الوثيقة عدد 48: الابتزاز التفاعلي من خلال الاستدراج العاطفي



في **المضمون الأول**،تم الاكتفاءبخطاب لفظي باللون الأسودعلى خلفية بيضاء بخط غامقوحجم كبير سهل المقروئية، ويشتملعلى قسمين: الاحتمالان (كان أمك موجودة/و بخير)ثم ما يتبعهمامن تصرفين افتراضيين مطلوبين، وهما فعلان في صيغة أمر (حط جام/قول الحمد لله).

تم تحديد طريقة التفاعل الافتراضي، حيث لا يمكن الاقتصار على تصرف واحد أو اختيار تصرف مغاير، ليمرر صاحب المضمون رسالة مفادها أن عدم التنفيذ يعبر عن "عقوق افتراضي"، وهو ما يحاول إبلاغه بهذه الطريقة إلى المتلقي الذي قد ينساق، خاصة وأن المطلوب ليس صعبا،سعيا للتخلص من الشعور بالذنب الذي يولده "التقصير" التفاعلي الافتراضي،فيتبع التعليمات الواردة في المنشور.

نستشف استدراج المتلقي عبر الاعتماد على حيلة اتصالية مضمنة في رسالة تتوجه إلى العاطفة، لتثيرها بمواضيعتتدرج في الحقل الشعوري وبوسائل من هذا النوع.

إن المتلقي يجد نفسه شبيها بالمحاصر، حتى إذا لم يكن عضوا منضما إلى إحدى هذه الصفحات، إلا أن هناك من بين قائمة أصدقائه من ينضم ويتقاسم المنشورات، وهو ما يجعله يتلقاها بصفة مباشرة عند تصفحه لحسابه الشخصي، ليشكل ذلك إلحاحا تفاعليا، قد يستجيب له المستخدم وقد يرفضه،حيث تم رصد ردود فعل يعبر من خلالها المستخدمون عن انزعاجهممن هذه المضامين، ويصرحون عبر الخطاب اللفظي التالي (كرهتونا في الفايسبوك وفي أرواحنا).

تحتل الصورة، في **المضمون الثاني**،القسم الأكبر، وهي عبارة عن رجل يقبل قدم سيدة مسنة، ويكشف الخطاب اللفظي العلاقة التي تربطهما، لنعرف أنهما ابن وأمه (إلي مستعد يبوس ساق أمو ينزل جام)،

ونستفهم في هذا السياق:هل تقبيل القدم برهان على البر والمحبة؟ هل الفرد مطالب بالبرهنة على ذلك افتراضيا؟هل يمكن اعتبار ضغطه على زر الإعجاب دليل قطعي على التأييد والاستعداد للقيام بالفعل، خاصة وأنه قد لا يكون المستخدم مستعدا للتقبيل، ويضغط على الزر ليكون إقراره مجرد ادعاء؟

كان من الممكن الاكتفاء بهذا الخطاب، لكن قصدا تم إيراد الصورة،باعتبار ما تتميز به من قدرة تعبيرية أبلغ وأكثر تأثيرا في النفس، رغم أن التقاط صورة شبيهة لنشرهافي الفايسبوك يطرح جملةمن الملاحظات، لعل أهمها مدى مصداقية هذه الحركة خاصة إذا تم تصويرها، أي أن القائم بالفعل لم يتصرف بصفة تلقائية لبلوغ هدف شخصي، وهو التعبيرعن تقديره لأمه، إنما تهيأ مسبقا،وكلف شخصا ليلتقط له صورة وهو بصدد القيام بهذا الفعل.



إنالتوثيق في شكل صورة ليست عفوية يقلل من قيمة المبادرة، ويجعلها أشبه بلقطةفي مسلسل تحتاج استعدادا مسبقا وتحضيرا، أي يحيد عن صدق التصرف بهذه المشهدية التمثيلية، فهو لا يقوم بذلك للتعبير عن احترامه لأمه فحسب، إنما استعراض أمام الآخرين للبرهنةعلى الملأ على إحساس،من المنطقي، أنه نابعن قناعة ولا يحتاج إثباته بالحجة للآخرين، ليكون الدافع الأساسي للفعل هو النشر على حسابه على الفايسبوك وانتظار التفاعل الافتراضي.

يحاول ناشر الصورة في هذه الحالة الابتزاز، فهو يتاجر بها ليتكسب تفاعليا بشكل صريح (انزل جام) لربح أعلى نسب التفاعل، معولا في كل مرة على استبطان رسالة أخرى غير معلنة،وهيأن من لا يستجيب لطلبه، فهو عاق وجاحد ولا يحمد الله على ما رزقه من نعم، وفي محاولة لاستبعاد هذه التهم،على المتلقي الاستجابة لطلب منتج الرسالة.

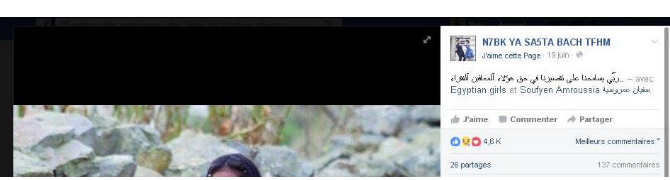
لكن، إذا تم إعمال العقل، سيجد المستخدم أن تعبيره بالإعجاب سيتحول إلى مجرد رقم يضاف في رصيد هذا المنشور، ومهما علا هذا العدد أو انخفض، فهو لا يحدث تغييرا على المستوى العلائقي الاجتماعي، إنما هو مجرد إرضاء نفسي مؤقت.

4. 3 .1. 3- استغلال المعاناة الإنسانية للتكسب التفاعلي:

يتم تسخير مضامين تشترك في نوعية المواضيع، التي تتطرق إلى ما يمكنأن يواجهه الفرد من مرض أو فقدان عزيز أو العجز الجسدي، وهو ما توضحه الأمثلة المدرجة في الوثيقة التالية:

الوثيقة عدد 49: استغلال المعاناة الإنسانية للتكسب التفاعلي







المضمون الرابع

المضمون الثالث

يشترك **المضمونان الأول والثاني** في الموضوع المتمثل في المرض، وإن اختلفت الأساليب.نلاحظفي **المضمون الأول**، تصدر الصورة واحتلالها الجزء الأكبر من المنشور، في حين تم تخصيص الجزء السفلي ذي المساحة الأصغر للخطاب اللفظي.

يمكن القول أن هذا التوزيع ليس عشوائيا، إنما يعود إلى إدراك أهمية ما تعرضه الصورة، بالتالي، تتمثل الخطوة الأولى في القدرة على نشر ما يستوقف مستخدم الفايسبوك الذي يتصفح بشكل سريع، لذلك وجب اختيار المضمون القادر على جذب اهتمامه، ليطلع كخطوة ثانية على الخطاب اللفظي الذي ينقسم إلى جزءين،وهما عرض الحالة وطلب التفاعل،وإن كان بأساليب مختلفة.

يستعرض**المضمون الأول** صورة طفل مريض، ونستشف ذلك من خلال السرير الذي يوجد عادة في المصحات، وفم الطفل المكمم، وكفه الموصولة بإبرة المصل، وهو بصدد التشهد على سجادة مفروشة.

تم توجيه خطاب مباشر عبر استخدام ضمير المخاطب المفرد(تشعر- تنزل- تدعيلو)، وهو ما يمكن اعتباره إقرار ممارسة معينة،بواسطة أسلوب لا يضع للمتلقي إمكانية الاختيار، مبرزا أن ردة الفعل التفاعلية ستتبلور آليا كتصرف لا إرادي ولا واع (من غير ما تشعر).

إن الهدف من تسويق الفكرة بهذه الطريقة هو "التكسب" التفاعلي عن طريق المطالبة بالإعجاب والتعليق (باش تنزل جام/تدعيلو الله يشفيه).

اقتصر **المضمون الثاني** على خطاب لفظي، وهو عبارة عن سؤال يستفهم من خلاله القائم بالاتصال عن العدد الذي يمكن أن يحققه الدعاء الذي اقترحه (كيف نقول الله يشفي كل مريض ضاق بيه الحال) من إعجاب (قداش نلقى من جام).



تخدم هذه المضامين أساسا صاحب المنشور لبلوغ غايته التفاعلية، مستخدما لتحقيقها العبارات الأكثر تداولا والتي يضمن أنها تجد تفاعلا لدى المتلقي، في حين أنها لا تقدم خدمة للمريض الذي يعرض صورته أو يدعو له افتراضيا.

قد يكون في ذلك دعوة للتفكير فيمن يتكبدون معاناة متنوع ما،لكن، هذا الإعلان الصريح بالتفاعل عبر الإعجاب أو التعليق يحيد بالمضامين عن غايات إنسانية محضة تطلب الشفاء للآخرين، وتحث المستخدمين على عدم تجاهلهم وتذكرهم بصفة مستمرة.

بالتالي، نستشف تعمد استدعاء هذه المواقف الإنسانية، وعرضها على صفحات الفايسبوك للتكسب تفاعليا بما يمكن أن تثيره من ردود فعل، باعتبار أنها رسائل تتوجه بشكل رئيسي العواطف والانفعالات، وتغيب المنطق والتفكير بعقلانية (ماذا سيستفيد المريض من الجام؟).

في **المضمون الثالث**، يسبق الصورة خطاب لفظي (لا تغلق الصفحة قبل أن تدعو لها بأن يصبرها الله على مصيبتها)، وهو خطاب مباشر يقوم على أسلوب النهي، يفرض عن طريقه منتج الرسالة على المستخدمينجملة من الأوامر التي عليهم التقيد بها، ولا يمكن تحديد ماهي ردة الفعل المطلوبة:هل هي دعاء يردده المستخدم بينه وبين نفسه سرا أو علانية أم يصرح به افتراضيا عن طريق التعليق؟

ستتوضح معالم الإجابة عن هذا الاستفهام عبر النص الذي يتضمنه المنشور، والذي يتناقض أسلوبيا مع الخطاب اللفظي الأول، ففيه احتمال (لو).

هناك تباين بين الخطابين أسلوبيا (التأكيد والاحتمال)، ويشتركان في الغاية التي تم التصريح بها (اضغط لايك وقول الله يصبرها)، وهي أفعال يأمر منتج الرسالة القيام بها، وهي ذاتها التي تتكرر في مضامين أخرى.

يدعم هذا التكرار فرضية أن هذه النوعية من المنشورات لا هدف لها إلا الحصول على التفاعل بأية طريقة ومهما كان الأسلوب، حتى إذا اضطر الأمر إلى المتاجرة بأحزان الناس، والبحث عن الصور الأكثر قدرة على تهييج المشاعر وكسب التعاطف، مثلما هو الشأن بالنسبة **للمضمون الثالث** الذي نجد فيه صورة انتشرت كثيرا على صفحات الفايبسبوك،ومن بينها صفحات القنوات التلفزية المختصة في الأخبار، وهي عبارة عن سيدة تفترش الأرض قرب قبروتشي ملامحها بالحزن وشديد التأثر حد البكاء.



رافق**المضمون الرابع** خطاب لفظي والمتمثل في (ربي سامحنا على تقصيرنا في حق هؤلاء المعاقين الفقراء)، وهو خطاب يسبق المنشور الذي يتضمن صورة لفتاة يبدو من ملامحها انتماءها إلى القارة الآسيوية، وهي فاقدة لرجليها، لكنها، تنجح بطريقتها التي ابتكرتها في التنقل.

يعبر الخطاب اللفظيعن موقف شخصي لصاحب الرسالة، لكنه استخدم ضمير الجمع(سامحنا-تقصيرنا)،أي أنه جمع نفسه (أنا المتكلم) مع من سيتلقى هذه الرسالة ويطلع عليها (أنتم)، بهدف التأكيد أنه ليس المقصر الوحيد، وإنما كل من سيقرأ رسالته، وهو ما يكشف عن الرغبةفي بث تأنيب الضمير لدى المتلقي بصفة صريحة وعدم ترك سبيل للإنكار، فالجملة وردت في صيغة تقريرية لا تدع مجالا لإيراد افتراض آخر.

يتعمد هذا النوع من الرسائل، عند عملية إنتاج المضمون اللفظي، عدم مخاطبة العقل، إنما يختار الأساليب الحاسمة التي يتوجه معناها إلى الانفعال واللاوعي، انطلاقا من فكرة امتلاك كل مستخدم مخزونا رمزيا يجعله يتعاطف مع هذه الحالات التي قد لا يمكنه مساعدتها، لكنه، يجد نفسه مدفوعا إنسانيا إلى مساندتها معنويا.

أصبح التعبير افتراضيا عن التضامن المعنوي بمثابة الإجبار، بل و يتجاوز الأمر إلى جعل المتلقي يقر بما لم يصرح به علانية، أو حتى لم يشعر به من تقصير تجاه حالات معينة.

نرصد أيضا، على مستوى الخطاب اللفظي، عدم احترام الذات البشرية باختيار ألفاظ من المستحسن عدم اللجوء إليها، والمتمثلة أساسا في (المعاقين)، فهي في حد ذاتها إهانة لهم، ما يجعل منتج الرسالة لا ينشر ثقافة رمزية ذات مدلولات تحترم الآخر ،مهما كانت وضعيته.

تجدر الإشارة إلى أن الصورة استخدمت في غير سياق نسختها الأصلية حيث عُرضت لإبراز قدرة الذات البشرية على التحدي وتجاوز العراقيل، فهذه الطفلة ولدت دون رجلين، لكنها، لم تستسلم وبحثت عن طريقة للتنقل لمواصلة حياتها بشكل أقرب ما يكون للعادي.

إذن، تم تحويل وجهة الصورة رمزيا للتكسب بمدلولاتها تفاعليا. في هذا السياق، تحققت غاية منتج الرسالة باعتبار العدد الكبير للمتفاعلين (6.5k)

تتماثل بعض التعليقات على الصورة رغم اختلاف المستخدمين، وهو ما يحيل إلى الاكتفاء بعمليتي (نسخ- لصق)،حتى أصبح الأمر شبيها بالتقليد لا غير، لغياب الإحساس الحقيقي الذي يدفع المشاركفي هذه



العملية الاتصالية أن يثريها بطريقته الخاصة، وإنتاج خطاب لفظي نابع من موقفه، وليس مجرد إعادة ذات التعليق، ليغدو بمثابة القالب الذي يلجأ إليه دون عناء التفكير والصياغة.

إن التعليق سيجعل العملية الاتصالية تدور بصفة متواصلة، وإذا كان المحتوى لا يرتقي إلى متطلبات الرسالة ويثريها، فإن التفاعل سيستمر في حركيته ظاهريا، ويستبطن فراغا رمزيا، وهو ما ينتج عنه اتصال أجوف.

4. 3. 2- التنفير من المساهمة في العملية الاتصالية:

يعتبر التنفير نتيجة محتملة من بين نتائج الابتزاز والتكسب التفاعليين عبر الاستدراج للتحريض على التعبير عن الإعجاب أو التعليق، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، إنما يتجاوزه للاتهام، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال الخطاب اللفظي في المضمون المدرج في الوثيقة التالية:



الوثيقة عدد 50: التنفير من عملية الاتصال الافتراضية عبر اتهام المستخدم بالقصور التفاعلي



قد يكتفي المستخدم بالتفاعل السلبي أي الاطلاع دون رد فعل أو تمرير هذه المنشورات عند التصفح وعدم التوقف عندها، لأنه يعرف فحواها الذي لا يثير اهتمامه، وتتكون لديه فكرة الرفض لها وتترسخ، وقد يعلن عن استيائه عبر التعليق على المنشور نفسه، أي توجيه الخطاب إلى منتج الرسالة بصفة مباشرة،وهو ما يمكن رصده من خلال هذا المضمون الذي تم فيه اتهام المستخدم صراحة بالعنصرية،ومن بين هذه التعليقات (هذا الأسلوب غير محترم...أسلوبكم مستفز جدا.. فكرو في أسلوب طرح اللايك بدون اتهامات حقيرة) وأيضا (نعم أنا عنصرية لا ضد اللون ولا العرق لكن ضد التكفير السلبي وقلة الأدب).

نستشف قدرة المستخدم على النقد والاحتجاج، فهو غير مجبر أو مسير للقيام بممارسة اتصالية معينة أو تصرف تفاعلي يفرضه صاحب المنشور، الذي له الحق في نشر ما يشاء والمطالبة بما يحقق غايته، واستخدام شتى الأساليب، وللمتلقي القدرة على توجيه سلوكه التفاعلي حسب ما يستجيب لمصالحه وقناعاته.



4.4- استنتاج:

بعد تحليلالمستويات الثلاثة لمساهمة المضامين في تفقير العملية الاتصالية، والمتمثلة بالأساس في قولبة الاتصال وما ينجم عنه من تواصل سلبي **أولا**، والإفراغ من الجدوى وما يتسبب فيه من تواصل عشوائي **ثانيا**، والابتزاز والاستغلال التفاعليين الذي قد ينجر عنهما تنفير المتلقي للرسائل من خلال الاستدراج واتهامه بالقصور **ثالثا**، نستنتج ضرورة التساؤل وإعمال العقل والتفكير.

إن من المهم توجيه النقد البناء القادر على الإشارة إلى مواطن الخلل لتقديم حلول، وهو ما من شأنه إبراز الفرد كذات واعية لا تنساق للانفعالي على أهميته، فهي لا تلغيه عندما لا تعبر عن إعجابها بمنشور أو تمتنع عن التعليق، إنما ترى من الضروري عدم المتاجرة التفاعلية بمواضيع معينة، كما أنه نقد يستعرض البديل ويؤكد على اهتمامه بسلامة العملية الاتصالية الافتراضية دون فرض قوالب على نفسه وعلى الآخرين.

يحتاج المستخدم لبلوغ ذلك إلى جهد ودربة وعدم الانسياق وعدم الركون إلى الاستسهال مبنى ومعنى، إلى درجة التسطيح، وليس ذلك فحسب، إنما قد يتجاوز الأمر إلى تحبيذ عدم الخوض في المسائل الحساسة وعدم التطرق إلى عناصرها الأساسية بجوانبها المختلفة، والاكتفاء بملاحظات ثانوية تتعلق ببعض التفاصيل، ما يتسبب في الحط من قيمة القضايا وتعميق الإحساس بالعجز ضمنيا وترسيخه كقاعدة.



5- الخاتمة العامة

1.5-تذكير بالسياق النظري والمنهجي:

تم استعراض المستويات المختلفة لتأثير استخدامات الفايسبوك في العملية الاتصالية من جهة وعملية التغيير الاجتماعي من جهة أخرى بعد طرح الإشكالية وتحديد الفرضيات واختيار المنهج الملائم واعتماد البراديغم الذي يتماشى مع متطلبات البحث.

1.5 .1- إشكالية البحث:

تضمنت ثلاثة محاور رئيسية وتمثلت أساسا في:

*** إلى أي مدى ساهم الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية من ناحية ومساندة التغيير الاجتماعي من ناحية أخرى في المجالين الافتراضي والعمومي؟**

*** إلى أي حدقد تتسبب أساليب الفايسبوك التفاعلية في إحداث خلل اتصالي؟**

*** إلى أي مدى يمكن تحميل مستخدمي الفايسبوك مسؤولية تفقير العملية الاتصالية؟**

2.1.5- فرضيات البحث:

تم ضبط ثلاث فرضيات كإجابات محتملة على الإشكالية وهي كالآتي:



أولا،مساهمة الأساليب التفاعلية للفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية في المجال الافتراضي وفي الواقع الاجتماعي من خلال دمقرطة الاتصال وعولمة القضايا الاجتماعية والسعي لعقلنة الممارسة الاتصالية.

ثانيا، تهديد استخدامات الفايسبوك للعملية الاتصالية متسببة في خلل اتصالي نتيجة تراكم أساليب التفاعل واختلال موازين التواصل.

ثالثا، مساهمة استخدامات الفايسبوك في تفقير العملية الاتصالية وهو ما قد ينجم عنه عرقلة عملية التغيير الاجتماعي على مستوى التمثلات والأدوار والممارسات.

3.1.5- المقاربة البحثية والمنهج المعتمد:

استوجبت متطلبات البحث الارتكاز على **المقاربة الوثائقية** واللجوء إلى **منهج تحاليل المضمون** لتناول أمثلة من المنشورات المأخوذة من صفحات فيسبوك تونسية وأجنبية في الفترة التي تلت الثورات العربية، استنادا إلى **عينة قصدية** يتماشى محتواها مع متطلبات الإشكالية، والقادرة على تقديم إجابات موضوعية على الفرضيات المقترحة لتأكيد صحتها أو نفيها أو تعديلها، مع الإشارة إلى السعي حتى تكون العينة متنوعة من حيث الرموز التي تشتمل عليها قدر الإمكان، للإحاطة بالظاهرة في أبعادها المتعددة.

تم استعراض مستويات تأثير الفايسبوك في العملية الاتصالية والواقع الاجتماعي بواسطة تحاليل المضمون **البسيطة** و**المقارنة**، عبر رصد العديد من المنشورات التي اختيرت الصورة محملا لها، سواء كانت مرفقة أو غير مرفقة بخطاب لفظي، والعمل على استقراء دلالات الأساليب التفاعلية والتمثلات الاتصالية والعلاقات والممارسات الاجتماعية، وذلك بطبيعة الحال حسب سياق محدد تميز بجملة من الأحداث والقضايا، وطرح مواضيع تستدعي الانتباه لها لما تثيره من تساؤلات وحاجة معطياتها للفهم.

4.1.5- الإطار النظري:

تم اعتماد التفاعلية الرمزية كنموذج للمساعدة على التدقيق في فهم ممارسات الفاعل الاجتماعي وأساليب تعامله مع القضايا المجتمعية والاستناد على الواقع الافتراضي مجالا للتغيير الاجتماعي.
تجدر الإشارة في هذا السياق،أهمية الابتعاد عن الحتميتين التكنولوجية والاجتماعية في الفهم والتحليل والاستنتاج، إنما على العكس محاولة تفصيل الكل نظرا لأهمية الجزئيات،إضافة إلى عدم الاقتصار على زاوية بحثية أحادية باعتبار العلاقة التكاملية بين ما هو تقني واجتماعي، على مستوى استخدامات الأفراد لهذه الشبكة الافتراضية من خلال تمثلاتهم وما يستجد في واقعهم الاجتماعي.



بالتالي، تم تحليل الفرضيات تباعا باستعراض كل مستوى من مستويات الإشكالية، ودعم الفكرة بتحليل مضمون أو أكثر من مضامين صفحات الفايسبوك، إضافة إلى إدراج آراء بعض الباحثين،وذلك لدعم ما ورد في التحليل أو وضعه محل تساؤل عن مدى صحة الإقرار بهذا الرأي أو ذاك، أي وضعه محل نقاش ولتنسيب الاستنتاج المستخلص ومنح رؤية علمية تعددية للموضوع بعرضه من زواياه المختلفة إلى حد التباين أحيانا.

2.5- الاستنتاجات الأساسية:

تم التوصل من خلال محاولة رصد المستويات المختلفة لتأثير استخدامات الفايسبوك في العملية الاتصالية وفي الواقع الاجتماعي إلى **جملة من الاستنتاجات** لعل أهمها ما يلي:

أولا، إن تحليل العوامل المساهمة في إثراء العملية الاتصالية والوقوف عند أبرز مظاهرها،يدفعإلى القول أن الفايسبوك، كفضاء للتواصل، يسعى بصفة مستمرة إلى إرساء رؤية تفاعلية تتميز بما تقترحه من أساليب تمنح الفرد فرصة بلورة تمثلاته والتعبير عنها لإثبات فردانيته من جهة، وتدعيم حضوره كذات فاعلة تضطلع بدور في النقاش العام الدائر في الواجهة الافتراضية العالمية حول القضايا المجتمعية على أوسع نطاق من جهة أخرى، مع الأخذ بعين الاعتبار المحافظة على سلامة العملية الاتصالية واحترام المبادئ الجوهرية للفعل التواصلي بأبعاده العلائقية التي ترتبط بالذات والآخر والمجتمع.

ثانيا، إن استعراض مظاهر وانعكاسات تراكم أساليب التفاعل في شبكة الفايسبوك،أبرز ترابط أبعادهبشكل ما، فالبعد الأول المتمثل في سلعنة الاتصال وتغليب العقل الوسائلي على العقل الإيجابيولد محاصرة المستخدم والسيطرة عليه، إلى حد بلوغ البعد الثالث، الذي قد يفقد فيه المستخدم السيطرة، ما ينجم عنه عدم التحكم في اتخاذ القرار.



من ناحية ثانية، كشفت مظاهر اختلال موازين التواصل عن استراتيجيات توظيف الأساليب التفاعلية الافتراضية، وتثمين اللحظة الراهنة وتهميش الحاجة إلى بناء صورة اتصالية قادرة على البقاء وقابلة للتطور، وهو ما قد يؤثرفي المستخدم على مستوى تمثلاته وممارساته وعلاقاته، سواء كانت في الواقع الاجتماعي أي محيطه العلائقي الضيق وشبكاته بصورة أشمل، أو في واقعه الافتراضي إلى درجة تتداخل فيها آليات تقييم المكانة الاجتماعية.

ثالثا، تساهم بعض استخدامات الفايسبوك في تفقير العملية الاتصالية عبر قولبة الاتصال وما ينجم عنه من تواصل سلبي، والإفراغ من الجدوى وما يتسبب فيه من تواصل عشوائي، والابتزاز والاستغلال التفاعليين الذي قد ينجر عنهما تنفير المتلقي للرسائل من خلال الاستدراج واتهامه بالقصور إذا لم يتقيد بالنمط التفاعلي المقترح.

3.5- علاقة الاستنتاجات بالتيارات الفكرية المرتبطة بمسألة البحث:

1.3.5- الاتصال الافتراضي والتيار النسقي السيبرنيتيقي:

يقوم الاتصال أساسا على التبادل، وهو ما كان محددا فيما يتعلق بالاتصال المباشر والاتصال الجماهيري، لكن الأمر غدا أكثر تعقيدا وتشعبا منذ ترسخ الاتصال الافتراضي الذي لا يعتمد على نموذج موحد، وتنبثق التمثلات من كل صوب وفي جميع الاتجاهات، وقد يتقاطع بعضها ويتوازى بعضها الآخر، وقد تتمكن من فرض وجودها للانضمام إلى رأس المال الرمزي وتنتشر ويتم مقاسمتها، فتتغلغل شيئا فشيئا في الممارسات، وتتحول من تمثل منفرد إلى ممارسة اتصالية متداولة بين عدد كبير من مستخدمي الفايسبوك، فيتحقق الهدف الأساسي للتفاعل المتمثل في إقامة علاقة متصالحة مع الذات ومع الآخر.

وهو ما دفع إلى الاستفسار حول مدى القدرة على التحكم في نسق الاتصال في هذه الشبكة الافتراضية، وهل هناك نسق موحد أم مجموعة من الأنساق، التي تؤمّن ترابط عناصر العملية الاتصالية لضمان تماسكها والحصول على التغذية المرتدة، حسب المصطلح السيبرنيتيقي، الذي اقترحه الباحث في علوم الرياضيات نوربير فينير (Norbert Wiener)، ونظريته منبثقة أساسا من بحوث سابقة لرياضيين وفيزيائيين من بينهم باسكال (Pascal) و ليبنيتز(Leibnitz).

لا يختلف التمثل السيبرنيتيقي عن نموذج شانون (Shannon) وويفر (Weaver) إلا بعنصر واحد، وهو إقرار رجع الصدى كمفهوم مركزي في التحليل النسقي، واكتملت السيبرنيتيقا بالنظرية العامة



للإنسان التي وضعها لودويغ فون برتلنفي (Ludwig Won Bertalanfy)، وتهدف هذه النظرية إلى تحديد المبادئ العامة التي تحكم عمل كل الأنساق إن كانت إيديولوجية أو ميكانيكية أو فيزيائية وحتى اتصالية.

إن العودة إلى الحديث عن النمط النسقي، في عصر الاتصال التفاعلي في الشبكات الاجتماعية الافتراضية، يعتبر في حد ذاته مسألة على درجة من الأهمية لما تثيره من تساؤلات تحتاج إلى وقفة تحليلية، بما أن العملية الاتصالية في شبكة الفايسبوك هي تدفق متواصل وليست مجرد تبادل ظرفي أو قصير المدى أو محدد النتائج، أي على عكس التعامل مع الآلة التي يتم برمجتها لتلقي رجع صدى معين عند عملية الاستقبال التي تلت الإرسال، فالموضوع في هذه الحالة ليس مجرد بيانات تحتاج للمراقبة والتعديل، إنما هو الذات البشرية التي يعسر ضبط ردود أفعالها بصفة نهائية بالنسبة لجميع الاحتمالات المتوفرة.

إن المقصود بالتعديل هو تمكين النسق من أداء مهمته، وتجاوز الصعوبات التي تعترضه وذلك بجعله قادرا على معرفة مساره، إن معرفة موقع الهدف بدقة وفي كل لحظة يمكن من تحديد ردة الفعل المحتملة التي تكون فيها الرسالة الإقناعية قادرة على الالتقاء بحاجة المستخدم وإصابتها.

هل يمكن تطبيق هذه الأحكام على الإنسان عامة والفاعل الاجتماعي بوصفه مستخدما للفايسبوك بصفة خاصة؟ هل من الموضوعي تطويع قوانين تم استنباطها انطلاقا من بحوث في العلوم الصحيحة كالرياضيات والفيزياء والميكانيك، التي ترتبط بمواضيع بحثية تختلف خصائصها عن خصوصيات الذات البشرية؟ هل تحتاج دراسة الفرد والواقع الاجتماعي والعملية الاتصالية إلى الضبط والقياس والتكميم والتقنين، أم إلى التفصيل والأخذ بعين الاعتبار للذاتي والانفعالي والفرداني للتفسير والفهم وتنسيب الاستنتاجات؟

هل تقدم لنا هذه النماذج، وليدة حقول علمية مختلفة تمام الاختلاف عن العلوم الإنسانية والاجتماعية، إمكانيات للفهم بشكل دقيق والتعمق في الرمز ودلالاته، أم أنها لا تسمح سوى بالنظر إلى الظاهرة في كليتها لتقديم جملة من المعادلات، فيغدو الأمر بمثابة إصدار نتائج لا استنتاجات، فهي وإن تطرقت إلى بعض الحالات الخاصة التي لا تستجيب للمعادلة، فإنها تقدم حلا لا يعترف بالذاتية والخصوصية، وإنما تؤكد على ضرورة تعديل المسار والتنبيه لضرورة انضمام هذه الحالات المتفردنة في الإطار المحدد؟



في ذات السياق، تم التأكيد على ضرورة التفكير في خطورة اليوتوبيا المقلوبة **utopie inversée**، حيث **"يمكن أن لا تقود آثار التغذية المرتدة إلى تحسينات هائلة وثابتة، وإنما على العكس تؤدي إلى حالات عرقلة (blocages)، وتتسبب في آثار التشبع (les effets de saturation). إن آثار التغذية المرتدة تتمثل في "تعزيز القوي" و " إضعاف الضعيف""**[94]، كما أن فيليبب بروتون (Philippe Breton) أستاذ صحافة في جامعة ستراسبورغ (Strasbourg) لم يكتف بالحديث عن **ظهور الإنسان دون أعماق**، وإنما رصد يوتوبيا الاتصال من زاوية أخرى، معلنا أن القرية الكونية ليست سوى وهما أو خرافة.

2.3.5- مسألة الهوية ومنطق السوق (الثقافة الجماهيرية):

إن ثراء الاتصال من ناحية أولى، وفرض الفايسبوك أساليبه التفاعلية كواجهة افتراضية من ناحية ثانية، والأحداث التي تجري في المجتمعات من ناحية ثالثة، واختلاف تمثلات الأفراد لواقع اجتماعي يشهد تطورات من جهة، واختلالات من جهة أخرى، إلى حد هزات قد تملك من القوة لزعزعة دعائمه الأشد ثباتا، ونعني بالأساس **الهوية** بما تتضمنه من ثقافة ومبادئ ومعايير لم يكن رسوخها محل شك ولم يتم التنبؤ بإمكانية "فردنتها" أو "عولمتها" أو إلغائها وتشكيل أخرى أو غير ذلك من الاحتمالات التي ما انفكت تتناسل في صلب العملية الاتصالية.

تختلف الإجابات المقدمة لهذا الطرح، فمنها من تصطف حججها البحثية لتدعم فكرة أن التعدد يولد الوفرة،ودليلا على خصوبة العملية الاتصالية الناتجة عن ديناميكية عناصرها، في حين يجزم البعض أن **تزاوج الفردانية والكلية** يشكل تهديدا حقيقيا للاتصال حيث لم يعد من الممكن تحديدالقائم بالاتصال،إضافةإلى الرسائل المتباينة التي يتم توجيهها دون احترام جملة من الضوابط، مما ينجم عنه تكاثرها بصفة مستمرة، وهو ما من شأنه حسب ما يتبنى هذه الفكرة التسبب في "انفجار اتصالي" يقضي على التفاعل،ف**"في عالم تقني حيث نتواجد نحن وفي هذا الكون دون هرمية أو تتداخل فيه الطبقات**

[94] Patrik Yves Badillo, "De l'euphorie de la société de l'information à l'utopieinversée ", Penser la société de l'information,Actes du colloque, 07 et 08 Avril 2005, Institut de Presse et des sciences de l'information et FondationKonorad Adenauer, Tunis, Université de la Manouba, p.66.



حيث القاعدة هي القمة، يموت الاتصال بفائض من الاتصال وينتهي به الحال إلى احتضار لا ينتهي لحلقاته"[95].

تمنح أساليب التفاعل في شبكة الفايسبوك لكل مستخدم فرصة إعادة بلورة هويته،عن طريق عمليتي مساءلة واختيار مستمرتين، باعتبار أنها ليست هوية ثابتة وإنما متحولة ومتطورة حسب ما تتطلبه الحاجات النفسية والاجتماعية والاتصالية لكل فرد، وتخول له هذه الأساليب إمكانية التجربة قبل القبول بالصورة النهائية التي سيقدمها عن ذاته في الشبكة الاجتماعية الافتراضية، كما أنها ليست هوية ضيقة،وإنما يمكن لصاحبها توسيعها بإنتاج الرموز ، والتعبير عن وجهات النظر استناداإلى الترسانة التفاعلية التي تسمح له اختيار موقعه التفاعلي (الاقتراح. الدفاع. التشجيع. النقد. الرفض...)،إضافة إلى استقبال رموز الآخرين وتفاعلاتهم، وإذا نالت إعجابهم يقومون بالاستفادة منها و"استهلاكها".

يرى البعض في استخدام مصطلحات " إنتاج- استهلاك"، وهي مصطلحات تنتمي أساسا إلى منطق السوق، بما فيه من عرض وطلب وبيع وشراء وغير ذلك من العمليات المتداولة في مجال التجارة، أمرا معززا للتبادل الذي يثري الهوية الفردية ويجعلها تمنح كما تأخذ، وتجذب وتستقطب كما تنجذب نحو الآخر، وتنهل من حقل دلالي شاسع الأبعاد، وتجذر خصوصيتها، وتتحرر من الجمود لتتسم بالحركية.

في حين تعتبر وجهة النظر الثانية أن استخدام هذه المصطلحات، وانسياق المستخدمين لتشكيل هوياتهم الذاتية بهذه الطريقة، والركون إلى ما يوفره الفايسبوك من أساليب تفاعل تدعم نظرية السوق، وتعتمد على استراتيجيات التسويق يشكل خطرا،حيث **"بدا كأنما تآكلت اليقينيات القديمة ونقاط الإحالة السابقة، ليحل محلها عالم سطحي جديد من اختيار المستهلك وخيارات الهوية الجاهزة، وبالنتيجة ينظر إلى العولمة بوصفها بشيرا بأزمة هوية"[96].**

تسعى هذه الرؤية إلى الإشارة إلى وجود تهديدللمخزون الرمزي الجماعي، وعلى الأسسالتي ترتكز عليها شخصية أفراد المجتمع الواحد التي تعتبر هامة، بما أنها تحدد ركائزهم ومرجعياتهمواتجاهاتهم، فالبحث عن الخصوصية الذاتية في تشكيل الهوية قد يجعل المستخدم يتخلى، عن وعي أو دون وعي،عن هويته الجمعية التي تمنحه الانتماء ودونها قد يغدو نكرة، أو يحتاج في كل مرة إلى البحث عن تعريف لهويته، فبلورة الهوية الذاتية لا يعني الانفصال فكما يعرف الفرد الكل، فالكل يعرف الفرد.

[95]Lucien Sfez, La communication, ibid, p.21.

[96]طونيبينيتولورانس غروسبيرغوميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة. معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، مصدر سابق، ص.704.



تتراوح المواقف بين التشبث بفردانية لا تعترف بالآخر الذي لا يخدم مصالحها، وإقصائه والاكتفاء بتأثيث عالم ذاتي تصدر فيه الأنا قراراتها دون إعارة الاهتمام للنقاش والتفاعل لتبادل وجهات النظر، واستسهال ربط العلاقات وفكها.

نجد أيضا موقفا لمستخدم يبحث بصفة دائبة عن الاعتراف عبر عرض تمثلاته وانتظار تفاعل الآخر معها لقياس درجة عمق مكانته، لينحصر تفكيره في كسب هذا الاهتمام الافتراضي، ما قد يدفعه إلى الحياد عن التفكير المنطقي كمنهج لتحقيق غاياته الوجودية التي تتجاوز مجرد الحصول على توثيق أسلوبي على مضمون معين، وهو بذلك يجعل ذاته وإرضاء أناه محور التفكير، فينزاح عن البحث الجدي والعقلاني لدعم ذاته الفاعلة وتعزيز قدراتها للارتقاء بها.

تم التنبيه أيضا إلى خطر آخر وهو "خطر الهوية الجاهزة"، أي أن المستخدم لا يقوم بتشكيل هويته والمحافظة على خصائصها ودعمها وإثرائها بالبحث والإنتاج والتساؤل والتغيير، وإنما يختار هوية من بين جملة من الخيارات الممكنة، على أساس تلبيتها لمتطلباته الآنية، وبذلك تغدو الهوية ذاتها شبيهة بسلعة، قد تصلح لاستعمال واحد ليتم استبدالها بأخرى حسب الطلب وحسب ما تقتضيه الوضعية وحاجة الفاعل الاجتماعي، وقد تكون لأكثر من استعمال ويتزود الفرد الواحد بهويتين أو أكثر.

في كلتا الحالتين، يكون المستخدم مستهلكا سلبيا وليس فاعلا، وهو ما يجعله يلجأ إلى المنطق النفعي السريع الذي يحقق له مصلحته في أسرع وقت ممكن دون التفكير في الانعكاسات، وينحصر الاهتمام في المصلحة الشخصية دون الأخذ بعين الاعتبار لمصلحة المجموعة، واللجوء إلى أساليب التفاعلالمحققةلمآربه التي قد تكون فردانية ضيقة ولا تقدم خدمة فعلية،وإنما مجرد استجابة لانفعالات،متنازلا بذلك عن دوره كذات فاعلة.

يمكن، في هذا الإطار،ذكر القوالب الجاهزة التي أصبح الفايسبوك يعدها للغرض، وينتج ويعرض الكثير منها لنفس الموضوع، والمستخدم عليه الاختيار فحسب، وليس مضطرا إلى حذف صورة حسابه وتغييرها، وإنما يخول له الموقع دمجها مع القالب - الصورة المحمل برسالة حول قضية ما (القدس- حقوق المرأة– السلام- قانون المصالحة...)، وهي استراتيجية أخرى للاستجابة لحاجيات المستخدمين الرمزية والتعبيرية: هناك مراقبة مستمرة وترسيخ للقولبة، بما أن الفايسبوك يعتبر المزود والمنتج والمسوق والموزع لهذه القوالب الاتصالية الجاهزة، حيث غدا لدينا الشعارات السريعة الشبيهة بالوجبات السريعة (fastfoods)، وفي ذات السياق، تحدث بيار بورديو عن نوع جديد من المفكرين (Fastthinkers).



إن اللجوء إلى "الهوية الجاهزة" قد يعوّد المستخدم على الانسياق والاستسهال إلى درجة يغدو فيها استخدام أساليب التفاعل في شبكة الفايسبوك عادة لا يمكن الاستغناء عنها، خاصة مع ما تقوم به هذه الشبكة الافتراضية لإرضاء جميع الأذواق عن طريق توفير الخدمات المتنوعة وسهلة الاستخدام، وتلك الاستمرارية المنبثقة منها تجذب الفرد إلى محاولة متابعة مستجدات التيار الافتراضي إلى درجة لا يستطيع الفكاك منه، وهو ما يدفع الى التساؤل إلى أي مدى يمكن الإقرار أن الذات البشرية انساقت وراء الرأسمالية المعلوماتية العالمية التي تحدث عنهمانيوالكاستيلز (Manuel Castells)، وانضمتإلى هذا النظام بإرادتها الواعية أو غير الواعية، فأصبحت المضامين والعلاقات في حد ذاتها "بضائع" محل بيع وشراء؟

يكمن المشكل في عدم وعي المستخدم بهذا التداخل أو قبوله به، بل ومساهمته في تعزيز الدور الذي يخول لهتقديم ذاته في الشبكة الافتراضية عبر المضامين التي ينشرها، حيث هناك من يتقاسم منتوجا اتصاليا ويحاول الظفر باستحسان المستخدمين وهناك من يقدم نفسه منتوجا بالاعتماد على الأساليب التفاعلية للفايسبوك التي مكنته من "عرض" نفسه على الملأ.

بالتالي، يحتاج الفرد إلى الاعتراف بقيمته: هل يمكن القول أن هناك بوادر أزمة ثقة في الذات خشية الإقصاء والاستبعاد؟ ما هو دور الفايسبوك بأساليبه التفاعلية في تعزيز هذه الثقة واسترجاعها أو تضخيمها أو إضعافها أو سلبها؟

3.3.5- الممارسات الاتصالية في الفايسبوك من منظور نفسي (نظرية المنبه-الاستجابة):

يجدر الأخذ بعين الاعتبار العوامل النفسية المرتبطة بزمن الإنتاج أو الاستقبال للرسائل، بما أنها ستؤثر بصفة مباشرة أو غير مباشرة في أسلوب التفاعل المختار ومضمونه الذي سيحمل جملة من الدلالات الواعية وربما غير الواعية المستبطنة في الذات الداخلية أو المخفية عن الآخرين (soi caché) والمجهولة من طرفهم، عكس الذات المكشوفة (soi dévoilé).

قد يجد المستخدم نفسه نتيجة تفاعلاته الافتراضية يكتشف ذواتا كامنة فيه كالذات العمياء (soi aveugle)، التي وإن كانت سماتها بالنسبة إليه غير معلومة، فالآخرون يدركونها عند التواصل معه، كما قد يصطدم بذاته المجهولة(soi inconnu) التي أفسح لها المجال للظهور والحضور.



بالتالي، الذوات الأربع التي تم تحديدها من خلال ما تم تسميته **"نافذة جو-هاري"**(La fenêtre1955 - de Johari) نسبة إلى جوزيف ليفت وهارينغتونانغهام(Joseph Luft et Harington Ingham) قد تتداخل وتتزاوج وتتكامل وتتنافر وقد يتحكم الفرد وقد يفلت الزمام في خضم التفاعل،في هذا الإطار،تطرح التساؤلات التالية:

- هل هناك اعتماد مدروس أو عشوائي، سواء من طرف الفايسبوك أو مستخدميه، للجوء إلى **"القانون النفسي للوحدة الذهنية للجماهير"**الذي تحدث عنه غوستاف لوبون(Gustave Lebon)؟،الذيأكد أن**"نفسية الجماهير (...)تبدو عاجزة عن تشكيل رأي شخصي، ما عدا الآراء التي لقنت لها أو أوحيت إليها من قبل الآخرين(...)، وحدها الانطباعات التي يمكن توليدها في روحها تستطيع أن تجذبها"**[97]؟

- إلىأي مدى يمكن العودة إلى تفسيرات علم النفس الفطري الغريزي (البسيكولوجيا البيهافيورية) الذي يرى أن طبيعة الأفراد طبيعة متجانسة تستجيب لنفس المنبه بنفس الكيفية، بمعنى أن كل رسالة في الفايسبوك هي منبه يؤدي إلى تحقيق استجابة مباشرة، فيتلقى "جمهور" الفايسبوك هذه الرسالة بنفس الكيفية ويستجيب لها بصفة مماثلة، بالتالي، سحب ملكة العقل والتفكير من الإنسان؟

إلى أي حدقد يتحول مستخدمي الفايسبوك نتيجة التبني الافتراضي لنفس ردة الفعل إلى كائنات سلبية يمكن التأثير فيها تأثيرا مباشرا، بما أن كل رسالة تشكل "منبها قويا" يدفعهم إلى الاستجابة لأهداف حددها قائم بالاتصال، بمعنى أن الرسالة أي "المنبه" تؤدي إلى تحقيق استجابة مباشرة، فيتلقاها "جمهور" هذه الشبكة بنفس الكيفية، و يستجيب لها بصفة مماثلة؟

هل يمكن القول أن الفايسبوك، بأساليبه التفاعلية واستراتيجياته الاتصالية، حوّل الفاعل الاجتماعي إلى ذات مسلوبة الإرادة، ليس لها القدرة على التحكم في الفعل أو رد الفعل، أي أنه يحتل دور المفعول به، في حين أن الفايسبوك لا يخدمه بقدر ما يسعى إلى تحقيق مصالحه النفعية والأهداف التي خطط لبلوغها؟

هل تسبب عدد من مستخدمي الفايسبوك في خلق نوع من الاستعباد التفاعلي عن طواعية، ولا يجدون في هذا الانقياد شكلا من أشكال الخلل الاتصالي الذي يؤثر فيهم وفي العملية الاتصالية وفي الواقع الاجتماعي؟

يمكن القول أن الكم الهائل والمتنوع من الأساليب التفاعلية والمضامين يعمل على إجبار المتلقي على الامتثال والخضوع،إنه ليس إجبارا عنيفا بواسطة القمع، بل هو إلزام عذب ومحبب للنفس.

---

[97] غوستاف لوبون، ترجمة وتقديم هاشم صالح، سيكولوجية الجماهير، مصدر سابق، ص ص.48-49.



نتحدث في هذا السياق بلوغ المستخدم حد الإدمان،فلا أحد يجبره على هذا الفعل أو يحدد له الوقت الذي يقضيه في الشبكة، لكنه، لا يستطيع أن يكبح جماح رغبة التواصل، وإن لإلقاء نظرة سريعة على حسابه وقد تطول هذه الزيارة الخاطفة، إذا وجد رسائل موجهة إليه وعليه أن يجيب أصحابها وقد تمتد المحاورة، ويستعرض المنشورات التي تجذبه للاطلاع على فحواها والتعليق عليها،وأخرى يتقاسمها وينتظر ردود فعل بقية المستخدمين الموجودين في قائمته، وغير ذلك من الممارسات التفاعلية في العملية الاتصالية الافتراضية.

في هذا السياق، وبالإشارة إلى هذه النقطة بالذات، نبدأ في التساؤل عن مدى نجاح هذا التطور التكنولوجي، وهذا التنوع والتعدد في المساحات المفتوحة والمشجعة على التعبير في ترسيخ جوهر الحرية، عن أي حرية نتحدث في واقع الاتصال الافتراضي؟

4.3.5- التأثيرات المختلفة لاستخدامات الفايسبوك والحرية (نظرية الاستخدامات والإشباعات):

أصبح الفاعل الاجتماعي سيد قراره، ويمكن اعتبار ذلك إحدى تبعات دمقرطة الاتصال التي أتاحها المجال الافتراضي عموما والميديا الاجتماعية بصفة خاصة، فهو الذي يستخدم ويتحكم في نمط استخدامه، هو الذي يوجه وينتج وينشر ويشارك على صعيد محلي وعالمي، له قناته الاتصالية الخاصة، وبإمكانه تحديد القنوات الاتصالية الافتراضية التي يريد متابعتها والاطلاع على مضامينها.

في هذا الإطار، نعود إلى **نظرية الاستخدامات والإشباعات** والتأثير المحدود لوسائل الاتصال، بما أن مستخدم الفايسبوك هو الذي يختار رأسماله الاجتماعي العلائقي، أي الأصدقاء والصفحات والمجموعات التي ينضم إليها، ويتفاعل مع منشورات تستجيب لقناعاته أو مواقفه، أو يعلق عليها رفضا ونقدا، بل يتجاوز الأمر ذلك، ما دام لديه الفرصة لنشر مضمونه الخاص على حسابه أو صفحته التي ينشئها،وينتج مضمونا حسب الخصائص التي تعبر بدقة عن فكرته مبنى ومعنى.

في ذات السياق، دعت مدرسة الاثنوميتودولوجيا (ethnométhodologie) التي أسسها هارولد غارفينكل(Harold Garfinkel) إلى مراجعة الفصل بين الثقافة العالمة – النخبوية والثقافة العاميةأي التخليعن النظرة المتعالية للعالم الاجتماعي والفرد والإقناع بكفاءة جميع الأطراف في فهم وإدراك قوانين الحياة الاجتماعية.



إذن، هناك اعتراف صريح بأن كل مستخدم يتمتع بقدرات تخول له طرح ما هو مميز من خلال تجاوز المتداول، بالانطلاق من رموز متفق عليها لتشكيل رسائل ذات أبعاد مختلفة وذلك لضمان التواصل، إضافة إلى اقتراح أخرى جديدة جزئيا أو كليا مع إيراد التوضيحات اللازمة أو الاكتفاء بعرضها، لمنح كل متلقي حرية التأويل وعدم تقييده بدلالات معينة وفرض رسائل محددة.
نرصد في المقابل، التأكيد على قوة تأثيرات تكنولوجيات الإعلام والاتصال عامة، ومواقع التواصل الافتراضيومن بينها الفايسبوك، وإدراج لإمكانية الانتصار التكنولوجي على حساب البعد الإنساني، بالتالي، الاعتراف بهيمنتها وسيطرتها على الفاعل الاجتماعي، الذي يغدو تابعا لها، ويقبل كل ما تقدمه له بانبهار، وينغمس في عوالمهاالتي تتحكم في تمثلاته وممارساته الاتصالية.

لا يمكن إنكار هذا الاحتمال، لكن ذلك لا يعتبر هزيمة أو اضمحلالاللاتصال البشري، بل يجب الاستفادة من خدمات الفايسبوك بما يثري المصلحة الإنسانية وليس العكس، وكما طوع الإنسان الطبيعة لبلوغ أهدافه، عليه أن يحسن تكييف التطور التقنيلفائدته سواء كان منتجا أو مستخدما، لتحقيق مطالبه وتوطيد علاقته بذاته وبالآخروتفاعلا مع واقعه الاجتماعي.

تحدث هابرماس عن الحرص على ضمان "المسافة التحررية"، وهي شبيهة بالاستخدامات والاشباعات، لكنها تتجاوزها، وتتمثل في قدرة الإنسان على حسن إدارة ممارساته الاتصالية وعدم الانقياد، لتجنب تداخل الحدود بين العالمين الافتراضي والواقعي،وهو ما تضمنه مسافة الأمان، باعتبار أن العالم الافتراضي بأساليبه التفاعلية قد يخطف الاهتمام والتركيز كله لصالحه، ويدفع إلى الاستخدام دون انقطاع تقريبا.

بالتالي، ضرورة استحضار الذات الفاعلة وإعادة بلورتها، لأن التأثير الافتراضيقد يكون أكثر حدة وتشعبا من وسائل الاتصال الجماهيري، ونقصد أساسا وسائل الاتصال الكلاسيكية، باعتبار أن مواقع التواصل الاجتماعي قد تعتبر في حد ذاتها وسيلة اتصالية جماهيرية، فهي تتضمن الحشود أي تكتلات اتصالية، لا يمكن فيها تحديد الهويات الفردية المنضمة إليها بصفة جازمة وموضوعية.

يسعى المستخدم إلى الظفربمكانة في الفايسبوك عبر الاضطلاع بدور فاعل فيه، وعدم الاقتصار على المشاركة في جميع الاتجاهات الممكنة، وإنما العمل على التحول إلى محور جاذب، ونتساءل عن مدى النجاح في تحقيق هذا الهدف المتمثل في التحرر من التبعية والانقياد وعدم الاكتفاء برتبة المشارك من بين عدد كبير من المشاركين، وهو ما يجعل ممارسته الاتصالية لا تلقى ما ينتظره من تأثير،



مع الإشارة في هذا السياق، أن هذا السعي المستمر يعني الاستخدام لفترة أطول، والانجذاب أكثر فأكثر إلى الشبكة الافتراضية والانغماس في أساليبها التفاعلية، وفي ذلك تهديد للحرية.

5.3.5- مسألة نشر المضامين في الفايسبوك وعلاقتها بنظرية ترتيب الأولويات:

في إطار العولمة الاجتماعية،يمكن ملاحظة أن القضايا لا تحظى جميعها بنفس التغطية "الإعلامية" الافتراضية، وهو ما يجعل نسب انتشارها في شبكة الفايسبوك متفاوتة، سواء على مستوى عدد الصفحات التي يتم إنشاؤها للغرض، أو كثافة المضامين التي تنتج وتنشر ويتم تقاسمها، وعدد المنضمين،وهو ما يحيل إلى **مسألة ترتيب الأولويات**، للتساؤل حول وجود أجندا معينة تفرض من طرف قائمين بالاتصال في الشبكة الافتراضية، تجعل بقية المستخدمين يولون اهتماما لحدث دون آخر، وإن تساوى الحدثان في الأهمية وما يكتسيانه من خطورة، مثلا إذا ارتبط بعملية إرهابيةوما ينبثق عنهما من إشكاليات في كافة المجالات.

هذه النقطة تطرح بدورها تساؤلات من بينها: "من يرتب الأولويات؟على أي أساس تجري هذه العملية، إذا أخذنا بعين الاعتبار تأكيد البعض على أهمية ما يشهده العالم من تحولات متواترة تسعى وسائل الإعلام إلى ترتيبها؟

هل يمكن الحديث عن ترتيب الأولويات، في عصر الاتصال التفاعلي الشبكي الذي تتوالى فيه الأحداث، وتتغير المشاغل بصفة يعسر ضبطها، والوقوف عندها بشكل تفصيلي والتدقيق في خصوصياتها، باعتبار أن هناك تلاحق للقضايا الفردية والاجتماعية،ويجد المستخدم نفسه في حالة تأهب مستمر للخبر التالي والصورة الأحدث ومقطع الفيديو الفوري، بالتالي، لا يطول اهتمامه بموضوع معين، ليواصل متابعة "السباق" التفاعلي الذي يجعله منضما وحاضرا ومشاركا في دائرة اتصالية مفتوحة لا يخرج منها إلا لبعض الوقت للعودة سريعا؟

نشيرأن التغييرات التي تحصل نتيجة التطور المستمر لتكنولوجيات الإعلام والاتصال على المستوى التقني من ناحية، وتأثيراتها المختلفة في تمثلات الأفراد وممارساتهم العلائقية من ناحية أخرى، كانت وما تزال من المسائل البحثية الأكثر تطلبا لمساءلة مظاهرها وظواهرها والوقوف عند مستوياتها المتعددة، وتحليل كل عنصر من عناصرها على حدة أولا ثم إيجاد الترابط المنطقي بينها للتعرف على خصائصها بشكل نسبي ثانيا، باعتبار أنها تشهد تحولات متواصلة.



تبقى نتائج البحث، التي تم التوصل إليها من خلال تحليل عناصره المختلفة، نسبية ومنقوصة، إذن، يجب التسلح برؤية نقدية، والقدرة على استنباط التفسير النظري الموضوعيالذييتيح فرصة التطبيق والتبلور كمقاربة تتماشى مع خصوصية الإشكالية وآنيتها، والإبقاء على استنتاجاتها مفتوحة لإلزامية تعديلها وتطويرها بصفة مستمرة حتى تتبوأ مكانة البراديغم الذي يتم التعويل عليه لدراسة ما يستجد من مواضيع ترتبط بالميديا الاجتماعية الرقمية.

4.5- تساؤلات جديدة:

من المهم الاعتراف بأن سؤال "عن أي دور للاتصال الافتراضي نتحدث في الواقع الراهن؟"، هو إشكالية معقدة ومتشعبة،إذ لا يكفي تقديم إجابات محددة لها، إنما هناك زوايا نظر عديدة ينجم عنها فرضيات مختلفة لتواكب التحولات التي يشهدها المجتمع على جميع الأصعدة،وليس على مستوى تطور التقنيات الاتصالية فحسب.

لا يمكن الاستمرار في دراسة إشكاليات الاتصال على أساس نقل المعلومات بين باث / مرسل/ منتج ومتلق فحسب، إنما من الضروري استعراض طرق استخدام الأساليب التفاعلية التي يوفرها الفايسبوك،عن طريق تحليل المضامين التي ينتجها وينشرها ويعلق عليها مستخدمو هذه الشبكة الافتراضية.

1.4.5- ازدواجية مواقف مستخدمي الفايسبوك من العملية الاتصالية:

يتسم السلوك الإنساني بالازدواجية الذي وإن غلب فيه الوعي والإدراك للأفعال التي يختار الفرد القيام بها في موقف معين حسب السياقات المختلفة،إلا أن بعض الممارسات قد تخرج عن نطاق المراقبة الذاتية خاصة منها تلك التي تتولد عن الانفعال أو يعبر اللاوعي عما تستبطنه الذات البشرية.

إلى أي حد نستشف هذه الازدواجية من خلال اختلاف مواقف مستخدمي الفايسبوك الموزعة بين الاستحسان والتفضيل على الواقعي **أولا** ووعي بتأزم الاتصال **ثانيا** ونقد لممارسات القائم بالاتصال والعملية الاتصالية الافتراضية **ثالثا**؟



قد يدفع التباين في المواقف إلى التشكيك في إمكانية ارتقاء الفايسبوك من مجرد موقع تواصل اجتماعي إلى منبر للتغيير الاجتماعي، خاصة وأن هناك نقد للشبكات الاجتماعية الرقمية عموما، واعتبار أن مستخدميها أصبحوا يلجؤون إليها لاستغلالها في سياق مناقض للغايات التي يرتكز عليها الفضاء الافتراضي بمواقعه ومدوناته وتطبيقاته الداعمة لحرية التعبير في مختلف المواضيع والشؤون المجتمعية المحلية والعالمية، حسب وجهة النظر المقابلة التي تذهب إلى اعتباره "فضاء عابرا للقوميات"، يفسح المجال لتبادل وجهات النظر، مع التأكيد على إمكانية التعايش بين الأفكار والإيديولوجيات المتناقضة، وهو ما من شأنه توسيع الدائرة الاتصالية وضمان تعدد زواياها التي تنبثق منها الأقطار التفاعلية التي تلتقي وتتقاطع دون إلغاء أحدها الآخر.

إلى أي مدى نجح الفضاء الافتراضي في تحويل العالم إلى "قرية كونية" حقا، لا تعترف بالحدود وتجمع بين مختلف الانتماءات والتوجهات في نسق تضامني، لتشكيل وحدة تعترف بالتعددية وتكرس الديمقراطية في آن، في نفس الإطار الذي يصرح فيه مستخدم الفايسبوك برفضه للآخر المختلف؟

في سياق الوعي بتأزم الاتصال بمستوياته المختلفة، ونقد استخدامات الفايسبوك والعملية الاتصالية الافتراضية بصفة عامة، هناك من شدد على ضرورة تحديد السبل الكفيلة بتوجيه التطور التكنولوجي لفائدة الإنسان، وتوجيه الإمكانيات التفاعلية لدعم ذاته الفاعلة، معتبرا أن**"السؤال الذي يطرح يتمحور حول معرفة كيف يمكن إنقاذ البعد الإنساني للاتصال عندما ينتصر الجانب الأداتي/ التقني"**[98]، وهو ما يولد استفهاما آخر: إلى أي مدى يمكن القول أن التطور التكنولوجي يعمل على إلغاء الأبعاد الإنسانية للاتصال؟

تستدعي هذه الإشكالية تشخيص الوضع الاتصالي الراهن، في علاقته بالفايسبوك بالأساس من زوايا مختلفة، لتحديد التهديدات المباشرة أو غير المباشرة للتفاعل الافتراضي، وهل هي ثابتة لا تتطور، أي قد تكون مؤقتة وتتقلص شيئا فشيئا، أم هي مستمرة وفي طريقها إلى التعمق واتخاذ أبعاد أخرى أكثر خطورة؟ وهل يمتلك المستخدم الوعي بهذا التهديد؟ هل لديه الكفاءة اللازمة لمواجهته وتحويله لصالحه؟

2.4.5- جدلية الاتصال الحر ووهم الحرية:

[98]Philippe Delacroix, "La communication de masse tue-t-elle la pensée ?", Cahiers sociale et politique, n° 79-80, France, Autres temps, 2003, p.124.



ما تزال الحرية في عصر تطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال و"عصر الشبكات" و"ثورة الاتصالات" محل استفهامات كثيرة، حيث لم يمنح التطور التكنولوجي هذا المفهوم استقرارا اصطلاحيا وتطبيقاعمليا، وتتناقض حوله الرؤى بين التحقق وعدمه، بين الوضوح والضبابية، بين الواقعي والافتراضي،بين الوصول إلى نتيجة، ونشأة معادلات أكثر تعقيدا.

يرى البعض في عولمة الاتصال دافعا للمجتمعات المعاصرة لمزيد الانفتاح وبلوغ الأفراد أهدافهم،مانحة لهم الحرية، التي لطالما تم السعي لنيلها، سواء كان على المستوى الشخصي أو على الصعيد المجتمعي، في محاولة لإثبات الذات من ناحية وتفعيل دورهم في المجتمع من ناحية أخرى، متجاوزينكل ما من شأنه تحديد تمثلاتهم وتقييد ممارساتهم.

تم التأكيد أن "شبكة الشبكات"، أي الانترنت حسب عبارة دومينيك كاردون (Dominique Cardon)، تمثل قناة اتصالية ناجعة حققت للفاعل الاجتماعي غايته الإنسانية الأسمى، وهي الحرية بفسح المجال له للتعبير والدفاع عن أفكاره بالأسلوب والمضمون الذين يتلاءمان مع رسالته، للتفاعل مع الآخر انطلاقا من الخبرة المشتركة في إطار السياقات المختلفة، حيث تم الإقرار **"أن المساهمة الأكثر وضوحا للأنترنت هي دون شك تكمن في حرية التعبير وقدرة أي شخص على الاتصال لممارسة هذا الحق بطريقة فعلية"**[99].

في حين، نجد وجهة نظر مناقضة لهذا الإقرار إلى درجة اعتبار الرموز، التي تمثل ركيزة العملية الاتصالية، والتي لا يستطيع الفاعل الاجتماعي الاستمرار دون فهم مدلولاتها وتبادلها وتقاسمها، لكونها وسيلة لتسهيل التواصل، غدت مصدرا للتقييد عوض التحرير، نتيجة التطور الشبكي الافتراضي الذي أصبح بمثابة "الرحى" الرمزية، التي من المفترض أن يتحكم فيها الفرد، لاستقبال وإنتاج رسائله الاتصالية حسب مخزونه الدلالي، لتتم بعد ذلك مرحلة التوزيع والتفاعل، إلا أنه قد يفقد السيطرة لتجذبه إليها، فيتحول إلى مجرد رمز.

اعتبر من يتبنى هذا الرأي **"أن الحياة التي نعيش فيها والكون الذي يحيط بنا مشبعان بالعلامات التي نقرؤها يوميا وتخترقنا، لكن دون التوقف عندها، إننا نعيش وسط أنظمة من العلامات نتواصل من خلالها ونمارس حياتنا وننجز أفعالنا، حتى أبسطها، بواسطتها كذلك. لقد تطور عالم العلامة وتعقد حتى صرنا أسرى الكون العلامي، بل تحولنا إلى علامة دون أن ندري"**[100].

---

[99]Mona Cholletet Philippe Rivière, "Internet, révolution culturelle, Manière de voir", Le monde diplomatique, n° 109, Février- Mars 2010, http://www.monde-diplomatique.fr/mav/109/

[100] محسنبوعزيزي، السيميولوجيا الاجتماعية، مصدر سابق، ص.72.



وهو ما يدفع إلى الاستفهام:إلى أي مدى نستطيع رصد **جدلية الاتصال الحر ووهم الحرية**:إلى أي حد تم تدعيم الاتصال الحر من ناحية وتقييد الحرية من ناحية أخرى من طرف الفايسبوك أولا والمجال العمومي ثانيا والأطراف المشاركة في العملية الاتصالية في هذه الشبكة الافتراضية **ثالثا** ومن طرف المستخدم نفسه **رابعا**؟

3.4.5- ضرورة مساءلة الموروث النظري والحاجة إلى قطيعة إبستيمولوجية:

نتساءل: هل ما زالت المقاربات التي ترتبط أساسا بوسائل الإعلام والاتصال الكلاسيكية، التي تختلف خصائصها عن المجال الافتراضي بمكوناته العديدة، ناجعة ومجدية لإيجاد تفسيرات والحصول على استنتاجات كفيلة بفهم الوضعية، لمعرفة أنسب الطرق للتعامل معها، وتطويع التطور التكنولوجي لخدمة العملية الاتصالية؟

إن العودة للنماذج والنظريات السابقة لاعتماد مصطلحاتها، أمر يحتاج إلى مراجعة،خاصة في البحوث العربية، التي تتخذ الإنسان موضوعا وهدفا، وهو ما يجعلها مطالبة بالمراجعة نقدا وتعديلا وتجاوزا،لاقتراح مقاربات جديدة تنسجم مع السياق المجتمعي الخاص من جهة، والعالمي من جهة أخرى، وتكثيف الدراسات حول استخدامات الفاعل الاجتماعي العربي للشبكات الاجتماعية للوقوف عند حقيقة الوضع، وهو ما يحتاج إلى جهود بحثية تعود بالفائدة على ميدان علم اجتماع الاتصال وعلى المستخدم والمجتمع بأكمله، وبذلك يستطيع الباحث المرور إلى الجانب التطبيقي من منطلق الاستنتاجات المتحصل عليها.

4.4.5- الحاجة إلى بلورة نظريات جديدة:

إن أغلب النظريات التي يلجأ إليها الباحثون في الوقت الراهن مرتبطة بسياقات تاريخية واجتماعية وسياسية واقتصادية مغايرة،حيث بدأت الدراسات حول الفايسبوك وغيره من مواقع التواصل الاجتماعي تنتشر،فالملاحظ هو اللجوء الدائم تقريبا إلى العدة النظرية الكلاسيكية، وحتى بعض البحوث التي حاول



أصحابها استنباط مقاربات جديدة، فهي ليست سوى محاولات تستمد نظريات من حقول أخرى كالرياضيات والفيزياء، وتعمد إلى تطويع جهازها المفاهيمي لدراسة الظواهر الاتصالية الإنسانية في واقع اجتماعي متحول،والمقصود بالأساس، في هذا السياق، هو نموذج تحليل الشبكات الاجتماعية الرقمية الذي بدأالاعتماد عليه ينتشر مع ظهور العديد من البرمجيات الخاصة به، فهو يهتم بجانب القياس والتكميم أكثر من سعيه للتعمق للفهم وتفسير خصوصيات المستخدمين لهذه الشبكات في الفضاء الافتراضي، وهو ما يجعل الاستنتاجات منقوصة لتجاهلها جانب البحث الكيفي وأهميته.

إذن، نحتاج إلى اقتراح نظرية متولدة عن الإشكاليات، التي ما تنفك تطرح في الوقت الراهن بصفة متواترة، لتحليلها انطلاقا من طبيعتها الخاصة وسياقها المعين، وعدم الاكتفاء بالعدة المعرفية الكلاسيكية ونظرياتها المرتبطة أساسا بظرفيات مختلفة عن السياق الحالي الذي تتصدره تكنولوجيات الإعلام والاتصال، وما تثيره قضاياها من حيرة علمية وجدل على مستوى الفهم والتقنين.

6- تلاخيص البحث

1.6-تلخيص باللغة العربية:

يتنزل البحث في ميدان علم اجتماع الاتصال، ويحمل عنوان "الفايسبوك من فضاء للتواصل إلى مجال للتغيير الاجتماعي. ازدواجية التأثير"، وتضمن سبع محاور رئيسية تتمثل في:

أولا، مدخل إلى البحث،**ثانيا**،مساهمة استخدام الفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية الذي اشتمل على ثلاثة عناصر وهي دمقرطة الاتصال وعولمة القضايا الاجتماعية ودور المضامين التي ينشرها المستخدمون في عقلنة الاتصال،**ثالثا**، توضيح مساهمة الأساليب التفاعلية للفايسبوك في إحداث خلل اتصالي، وتم توضيح ذلك عبر استعراض مظاهر ونتائج تراكم أساليب التفاعل واختلال موازين التواصل على مستوى العلاقات والممارسات وتقييم المكانة الاجتماعية،**رابعا**،تحليل أسباب ونتائج مساهمة منشورات مستخدمي الفايسبوك في تفقير العملية الاتصالية،**خامسا**، الخاتمة العامة،**سادسا**، تلاخيص البحث و**سابعا**، الهوامش.

تتمثل المصطلحات المفتاحية للبحث في:**الشبكات الاجتماعية الافتراضية - مواقع التواصل الاجتماعي- العملية الاتصالية- التفاعلية- التفاعل الاجتماعي-التأثير-التغيير الاجتماعي.**



تطلبت الإشكالية السعي إلى توضيح مختلف الأدوار التي اضطلع بها مستخدمو الفايسبوك،بتوظيفهم للأساليب التفاعلية التي وفرتها هذه الشبكة الاجتماعية الافتراضية، التي أثرت في تمثلاتهم وممارساتهم الاتصالية من ناحية، وعلاقتهم بواقعهم الاجتماعي وتعاملهم مع القضايا المطروحة في المجال العمومي من ناحية ثانية،إضافة إلىرصد مظاهر ومستويات مساهمة الفاعل الاجتماعي في عملية التغيير الاجتماعيعن طريق استخدامه لشبكة الفايسبوك،لذلك تم طرح الفرضيات التالية:**أولا،** مساهمة الأساليب التفاعلية للفايسبوك في إثراء العملية الاتصالية، في المجال الافتراضي وفي الواقع الاجتماعي،**ثانيا**،تسبب استخدامات الفايسبوك في خلل اتصالي، **ثالثا،** مساهمةبعض المضامين الفايسبوكيةفي تفقير العملية الاتصالية نشرا وتفاعلا،وهو ما قد ينجم عنه عرقلة عملية التغيير الاجتماعي فيما يتعلقبالتمثلات والأدوار والممارسات.

يمكن الاستنتاج من خلال استعراض مستويات التأثير المختلفة للفايسبوك في العملية الاتصالية الافتراضية والواقع الاجتماعي،مساهمة الأنماط المتباينة للاستخدام في تحقيق نقلة تثري العملية الاتصالية،أو ما تتسبب فيه من تهديد لها، قد يبلغ درجة الخلل والتفقير، وهو ما يحيل إلى ازدواجية هذا التأثير.



2.6- تلخيص باللغة الفرنسية:

La recherche appartient à la sociologie de la communication, intitulée " Le Facebook d'un espace de communication à un champ de changement social: Dualité d'influence", elle comprend sept axes principaux:

Premièrement, une introduction à la recherche, **deuxièmement**, la contribution de l'utilisation de Facebook à l'enrichissement du processus de communication, cet axe comprenait trois éléments, à savoir la démocratisation de la communication, la mondialisation des enjeux sociaux et la rationalisation de la communication, **troisièmement**, la rôle des méthodes interactives de Facebook à provoquer une défaillance communicationnelle, en raison de l'accumulation des méthodes d'interaction d'une part et le déséquilibre au niveau des relations et des pratiques et de l'évaluation de la position sociale d'autre part. **Quatrièmement**, l'analyse des causes et des résultats de l'apport des publications des utilisateurs de Facebook à l'appauvrissement du processus de communication. **Cinquièmement**, la conclusion générale, **sixièmement**, les résumés de recherche et **septièmement**, les marges.

Les termes - clés de la recherche sont: **les réseaux sociaux virtuels - le processus de communication– l'interaction sociale – l'influence – le changement social.**

La problématiquecherche à clarifier les différents rôles joués par les utilisateurs de Facebook, en employant les méthodes interactives fournies par ce réseau social virtuel, qui à leur tour



affectent les représentations et les pratiques de communication d'une part, et leur rapport aux enjeux de la sphère publique d'autre part. Cela permet de suivre les niveaux de contribution de l'acteur social à travers son utilisation du Facebook dans le processus de changement social.

Les hypothèses suivantes ont été proposées :

Premièrement, l'apport des méthodes interactives de Facebook à enrichir le processus de communication, à travers la démocratisation et la mondialisation des enjeux sociauxet les efforts de rationalisation des pratiques communicationnelles.

Deuxièmement, la probabilité de provoquer un dysfonctionnement communicationnel, à cause de l'accumulation de méthodes d'interaction et la perturbation des équilibres de communication.

Troisièmement, certaines utilisations du Facebook sont capables d'appauvrir la communication, ce qui puisse avoir pour effet d'entraver le processus de changement social au niveau des représentations, des rôles et des pratiques.

En examinant les différents niveaux d'influence de Facebook, nous discernons que les différents modes d'utilisation puissent contribuer à l'enrichissement de communication et le développement du changement social, ou participer à la création des différentes menaces, qui atteindraient le degré de déséquilibre et l'appauvrissement, ce qui assure la dualitéde cette influence.



7- هوامش الدراسة

7. 1- البيبليوغرافيا:

7. 1. 1-الكتب:

أ-باللغة العربية:

- بينيت(طوني) وغروسبيرغ(لورانس) وموريس(ميغان)، مفاتيح اصطلاحية جديدة. معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع(New keywords. A RevisedVocabulary of Culture and Society)، ترجمة سعيد الغانمي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، سبتمبر 2010، 816 صفحة.

- حجازي(مصطفى)، الإنسان المهدور، الدار البيضاء. المغرب،المركز الثقافي العربي، 2005، 352 صفحة.

- حرب(علي)، ثورات القوة الناعمة في العالم العربي. من المنظومة إلى الشبكة،لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2012، 242 صفحة.

- خلف عبد الجواد(مصطفى)، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، القاهرة، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 2002، 450 صفحة.

- طلعت محمود(منال)، مدخل إلى علم الاتصال، الإسكندرية، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، 2002، 254 صفحة.

- عبد الجواد رأفت(أحمد)،مبادئ علم الاجتماع، القاهرة،مكتبة نهضة الشرق، 1983، 176 صفحة.



- عبد المعطي(عبد الباسط)، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، الكويت، المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب،1981، 221 صفحة.

- عبد الغني مسعودي(محمد) و أحمد الخضيري(محسن)، الأسس العلمية لكتابة رسائل الماجستير والدكتوراه، القاهرة،مكتبة الانجلو المصرية، 1992، 154 صفحة.

- عودة(محمود)، أسس علم الاجتماع، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،1995، 259 صفحة.

-لوبون(غوستاف)، سيكولوجية الجماهير(Psychologie des foules)، ترجمة وتقديم هاشم صالح، بيروت، دار الساقي،1991، 228 صفحة.

- مجموعة من المؤلفين، إعداد وتقديم وتحرير محمود حيدر، ثورات قلقة، مقاربات سوسيو-استراتيجية للحراك العربي، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2012، 394 صفحة.

ب-بغير اللغة العربية:

- Aktouf(Omar), Méthodologie des sciences sociales et approche qualitative des organisations: Une introduction à la démarche classique et une critique, Montréal, Les presses de l'Université du Québec, 1987, 213 pages.

- Bertho(Alain), Nous autres.Nous-mêmes. Ethnographie politique du présent, Broissieux, Editions du croquant, 2008, 144 pages.

- Berthelot(Jean-Michel), La construction de la sociologie, Paris, PUF, Que sais-je ?, 2001, 127 pages.

- Corno(Christian), Une approche multidisciplinaire de la recherche en sciences humaines, Montréal, Chenelière Education, 2010, 208 pages.

-Dictionnaire des idées, Encyclopaediauniversalis, France, Les services éditoriaux et techniques d'e.universalis, 2012, 2435 pages.

- Field(John), Social Capital, London, Routeledge, 2003 , 193 pages.

- Gauthier(Benoît), Recherche sociale. De la problématique à la collecte des données, Québec, Canada, Presses de l'université, 2009, 780 pages.



-M'Rad(Hatem), l'opinion publique mondiale, Tunis, Centre de publication universitaire, 2006, 214 pages.

- Paugam(Serge), les 100 mots de la sociologie, Paris, PUF, Que sais-je ?, 2010, 128 pages.

- Rummel (J.Francis), in Introduction to research procedure, New York, Harper and Row, 1964,379 pages.

- Rebillard(Frank), Le web 2.0 en perspective, une analyse socio-économique de l'internet, Paris, L'Harmattan, 2007, 160 pages.

- Sfez(Lucien), La communication, Paris, PUF, Que sais-je ?, 2010, 128 pages.

7. 1. 2-المقالات:

أ-باللغة العربية:

- الحمامي(صادق)، "كيف نفكر في مواقع الشبكات الاجتماعية؟ إحدى عشرة مسألة أساسية"، أكاديميا، العدد السادس، جوان 2012، تونس، المنشورات الجامعية بمنوبة، ص ص: 18-22.

- الحمامي(صادق)، "المجال العمومي والفايسبوك وحرية الصحافة"،

http://www.essahafa.info.tn/index.php?id=76&tx_ttnews[tt_news]=15027&tx_ttnews[backPid]=37&cHash=3Quijano(Yves bb0ed75b8

- الحيدري(عبد الله الزين)، "الميديا الاجتماعية: المصانع الجديدة للرأي العام"، مركز الجزيرة للدراسات، دراسات إعلامية، 25 جانفي 2017.

http://studies.aljazeera.net/ar/mediastudies/2017/01/170125101407970.html

- العياضي(نصر الدين)، "الرهانات الابستمولوجية والفلسفية للبحث الكيفي: نحو آفاق جديدة لبحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية"، مجلة شؤون اجتماعية، عدد 107، 2010،الإمارات، الجامعة الأمريكية بالشارقة وجمعية الاجتماعيين والاقتصاديين، ص ص:111- 137.



- بعزيز(إبراهيم)، "وسائل الاتصال الجديدة وأثرها على ثقافة المستعملين"، ورقة قدمت في الملتقى الوطني الأول "وسائل الإعلام و المجتمع"، بسكرة، جامعة محمد خيضر، يومي 28 و 29 نوفمبر 2010.
http://brahimsearch.r.b.f.unblog.fr/files/2012/05/1.pdf

- بعزيز (إبراهيم)، "دور وسائل الإعلام الجديدة في تحول المتلقي إلى مرسل وظهور صحافة المواطن"، مجلة الإذاعات العربية، العدد 3، 2011، تونس، اتحاد إذاعات الدول العربية، ص ص:45-56.

- بن الحاج رحومة(عادل)، "تنشئة الهويات الفردية عند الشباب عبر الفضاءات الاتصالية والمعلوماتية"، مجلة إضافات العدد التاسع، شتاء 2010، بيروت، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، ص ص: 133-146.

- بوعزيزي(محسن)، "السيميولوجيا الاجتماعية"، مجلة إضافات، العدد التاسع، شتاء 2010، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، ص ص:71-87.

- جميل الراوي(بشرى)، "دور مواقع التواصل الاجتماعي في التغيير. مدخل نظري"، تاريخ الزيارة 27 فيفري 2014، 16.00، الرابط:http://www.mmascom.com/?p=615

- حمدوش(رشيد)، "مسألة الرابط الاجتماعي وسوسيولوجيا الحياة اليومية أو المعاش"، مجلة إضافات، العددان 17 و 18، شتاء وربيع 2012، بيروت، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، ص ص: 111-125.

- عبد الله(محمود أحمد)، "تأويل الفعل الاجتماعي عند بول ريكور. قراءة نقدية"، مجلة إضافات، العدد الثامنَ خريف 2009، بيروت،الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، ص ص: 24-34.

- علوش(نور الدين)، "تحولات الفضاء العمومي في الفلسفة السياسية المعاصرة : من هابرماس إلى نانسي فرايزر"، مجلة إضافات، العددان 26- 27، ربيع- صيف 2014، بيروت، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، ص ص: 77-90.

- ناشف(إسماعيل)، "صمت الظواهر. مقاربات في سؤال المنهج"، مجلة إضافات، العدد العاشر، ربيع 2010، بيروت، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، ص ص: 118-144.



-وناس(المنصف)، "عناصر أساسية لبناء علم اجتماع الاتصال(محاولة فهم في ثنائية الاتصال والهيمنة)"، المجلة التونسية لعلوم الاتصال، عدد 47⁄48، جويلية 2006⁄جوان 2007، تونس،جامعة منوبة، ص ص:11- 36.

ب-بغير اللغة العربية :

-Badillo(Patrik Yves) , "De l'euphorie de la société de l'information à l'utopie inversée ", Penser la société de l'information,Actes du colloque, 07 et 08 Avril 2005, Institut de Presse et des sciences de l'information et Fondation Konorad Adenauer, Tunis, Université de la Manouba, pp:53-68.

- Ben Romdhane(Youssef), "Médias, communication et sociétés actuelles: paradoxes, désordres collectifs et représentation inédite de la société et de la culture ", Penser la société de l'information, Actes du colloque 07 et 08 Avril 2005, Institut de Presse et des sciences de l'information et Fondation Konrad Adenauer, Tunis, Université de la Manouba,pp.33-38.

- Bouldoires (Alain), "Du monde virtuel au monde réel", Communication et langages, N°123, 1er trimestre 2000, p. 115.http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/colan_0336-1500_2000_num_123_1_2994

-Bui(Doan), "Sur Facebook, les morts continuent d'exister", le nouvel observateur, publié le 02-11-2013 à 17h21, http://tempsreel.nouvelobs.com/societe/20131030.OBS3270/sur-facebook-les-morts-continuent-d-exister.html

- Cardon(Dominique), "Réseaux sociaux de l'Internet", Communication, N°88, 2011,Paris, Le seuil, pp. 141-148.

- Delacroix(Philippe), "La communication de masse tue-t-elle la pensée ? ", Cahiers sociale et politique, n° 79-80, France, Autres temps, 2003, pp 123-131.



-Ferjani(Riadh), "la révolution Facebook n'a pas eu lieu", Akademia, n.1, Janvier 2012, Tunis, Université de la Manouba,pp:10-12.

- Gavard-Perret (Jean-Paul), "Multimédia : l'ère du simulacre", Communication et langages. N°124, 2ème trimestre 2000. pp. 90-96.

http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/colan_0336-1500_2000_num_124_1_3008

- Gueguen(Claude), "Une société de l'information par la technologie, entre inquiétude et espoir ",Communication et langages, n°107, 1er trimestre, 1996, France, Armand Colin, pp:33-46.

-Hubert(Guillaud), "Refaire société : comment s'engager aujourd'hui ?", http://www.internetactu.net/2011/11/23/refaire-societe-comment-sengager-aujourdhui/

- Ignasse(Joel), "Un logiciel pour adapter Facebook aux non-voyants", sciences et avenir, publié le 23-01-2013 à 12h26, http://www.sciencesetavenir.fr/high-tech/20130122.OBS6251/un-logiciel-pour-adapter-facebook-aux-non-voyants.html

- Klein(Annabelle) et Proulx(Serge), "La sociologie de la communication au prisme des études sur la science et la technologie",2012, Namur, Presses universitairesde Namur, pp.17-37.

- Laulan(Anne-Marie), "La sociologie de la communication ", Communication et langages. N°41-42, 1er-2ème trimestre, 1979, France, Armand Colin, pp.147-163

- Lellouche(Serge), "L'ère des réseaux", Entretien avec Manuel Castells, publié le 01/06/2000, lien : http://www.scienceshumaines.com/l-ere-des-reseaux-entretien-avec-manuel-castells_fr_12093.html



-Le Marec (Joëlle), "Dialogue interdisciplinaire sur "l'interactivité", Communication et langages, N°128, 2ème trimestre 2001, France, Armand Colin, pp. 97-110. http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/colan_0336-1500_2001_num_128_1_3079

- Le Nouvel observateur avec AFP, "Facebook et Twitter seraient plus tentants que le sexe", 08/10/12, http://obsession.nouvelobs.com/facebook/20121008.OBS4882/facebook-et-twitter-seraient-plus-tentants-que-le-sexe.html

- Merzeau(Louise), "Les périmètres de la personne en hypersphère ", Médium, n24-25, Juin 2010, France, Gallimard, pp: 218-236.

- Miège (Bernard), "Tics et société de l'information, état de l'art de la recherche", Penser la société de l'information,Actes du colloque 07 et 08 Avril 2005Institut de Presse et des sciences de l'information et Fondation Konrad Adenauer, Tunis,Université de la Manouba,, pp.23-31.

- Papilloud(Christin), " Interactivité et lien social. L'interactivité", https://ticetsociete.revues.org/769

- Pène(Sophie), "Facebook mort ou vif . Deuils intimes et causes communes", Questions de communication, 2011, 19, 91- 112, revues.org, https://questionsdecommunication.revues.org/2617

- Quéau (Philippe), "Le virtuel: une utopie réalisée", Quaderni, N. 28, Hiver 1996, France, La maison des sciences de l'homme, p.119.

-Triki(Fethi), "Etiques et communication", Penser la société de l'information,Actes du colloque, 07 et 08 Avril 2005, Institut de Presse et des sciences de l'information et Fondation Konrad Adenauer, Tunis, Université de la Manouba, pp: 39-46.



-Vieira(Lise), Pinède (Nathalie W.), "Internet et les théories du chaos", Communication et langages. N°124, 2ème trimestre, 2000, France, Armand Colin, pp: 58-74,http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/colan_0336-1500_2000_num_124_1_3006

- Viers(Aurélien), "Vous allez passer encore plus de temps sur Facebook", interview avec Sandrine Plassereaud (directrice générale de l'agence "We are social",Le nouvel observateur, 04/02/2014,http://obsession.nouvelobs.com/high-tech/20140203.OBS4898/vous-allez-passer-encore-plus-de-temps-sur-facebook.html

- "Je suis Charlie",Wikipédia, l'encyclopédie libre,https://fr.wikipedia.org/wiki/Je_suis_Charlie



7. 2 -الفهارست:

7. 2. 1- فهرست الرسوم البيانية:

7. 2. 2-فهرست الوثائق:







7. 3- الملاحق:

الوثيقة عدد 1: سهولة الانضمام إلى شبكة الفايسبوك: المرافقة بخطوات توضيحية

Ajouter des contacts personnels à votre liste d'amis sur Facebook

Choisissez comment communiquer avec vos amis. Découvrez comment faire ou gérez les contacts importés.

Étape 1 Retrouver des amis | Étape 2 Ajouter des ami(e)s | Étape 3 Inviter des amis

Yahoo!

Votre adresse : rajaammar20@yahoo.fr

Retrouver des amis

Windows Live Hotmail	Retrouver des amis
Skype	Retrouver des amis
Windows Live Messenger	Retrouver des amis
mail.ru	Retrouver des amis
Autre service de courrier électronique	Retrouver des amis
Autres outils	Retrouver des amis

Super ! Vos publications futures seront partagées avec l'audience que vous avez choisie jusqu'à ce que vous la changiez. Vous pouvez la changer lors de chaque publication ou sur votre page Paramètres de confidentialité.

Bravo ! Vous pouvez consulter les applications auxquelles vous êtes connecté(e) à tout moment sur votre page Paramètres des applications.

Parfait ! Vos changements ont été effectués. Pour effectuer des mises à jour supplémentaires, allez dans votre page À propos.



الوثيقة عدد 3: توفير الفايسبوك لأساليب التحكم في المضمون

Que voulez-vous faire ?

communication a téléchargé cette vidéo et a indiqué que vous y apparaissez. Si vous n'aimez pas cette vidéo, vous pouvez :

Retirer l'identification créée par communication
Cela retire identification et la vidéo de votre journal. La vidéo même pourra subsister à d'autres endroits tant que communication ne la retire pas.

Bloquer communication
Le fait de bloquer communication l'empêchera de vous contacter et de voir ce que vous publiez sur votre journal mais ne l'empêchera pas de voir et de commenter ce que vous publiez dans des groupes, des applications ou d'autres espaces communs.

Continuer Annuler

Cette vidéo est-elle à votre propos ou à propos d'un(e) ami(e) ?

Oui, cette vidéo est à propos de moi ou d'un(e) ami(e) :
Je souhaite retirer cette identification
Ceci est un harcèlement envers moi
Ceci est un harcèlement envers un(e) ami(e)

Non, c'est une vidéo d'autre chose :
Contenu sexuellement explicite
Discours incitant à la haine
Spam ou arnaque
Violence ou comportement dangereux

S'agit-il de votre propriété intellectuelle ? Continuer Annuler

L'identification a été retirée

Vous n'êtes plus identifié(e) dans cette photo.
N'oubliez pas – Cette photo apparaît encore dans le fil d'actualité, dans les résultats de recherche et à d'autres endroits sur Facebook.

OK

Nous voulons que les pubs que vous voyez soient utiles et pertinentes. Dites-nous si ces sujets vous intéressent.

Shopping en ligne Gérer les préférences publicitaires

الوثيقة عدد 13: تواتر الاستخدام الموحد لنفس الشعار في أحداث متشابهة في مناطق مختلفة من العالم

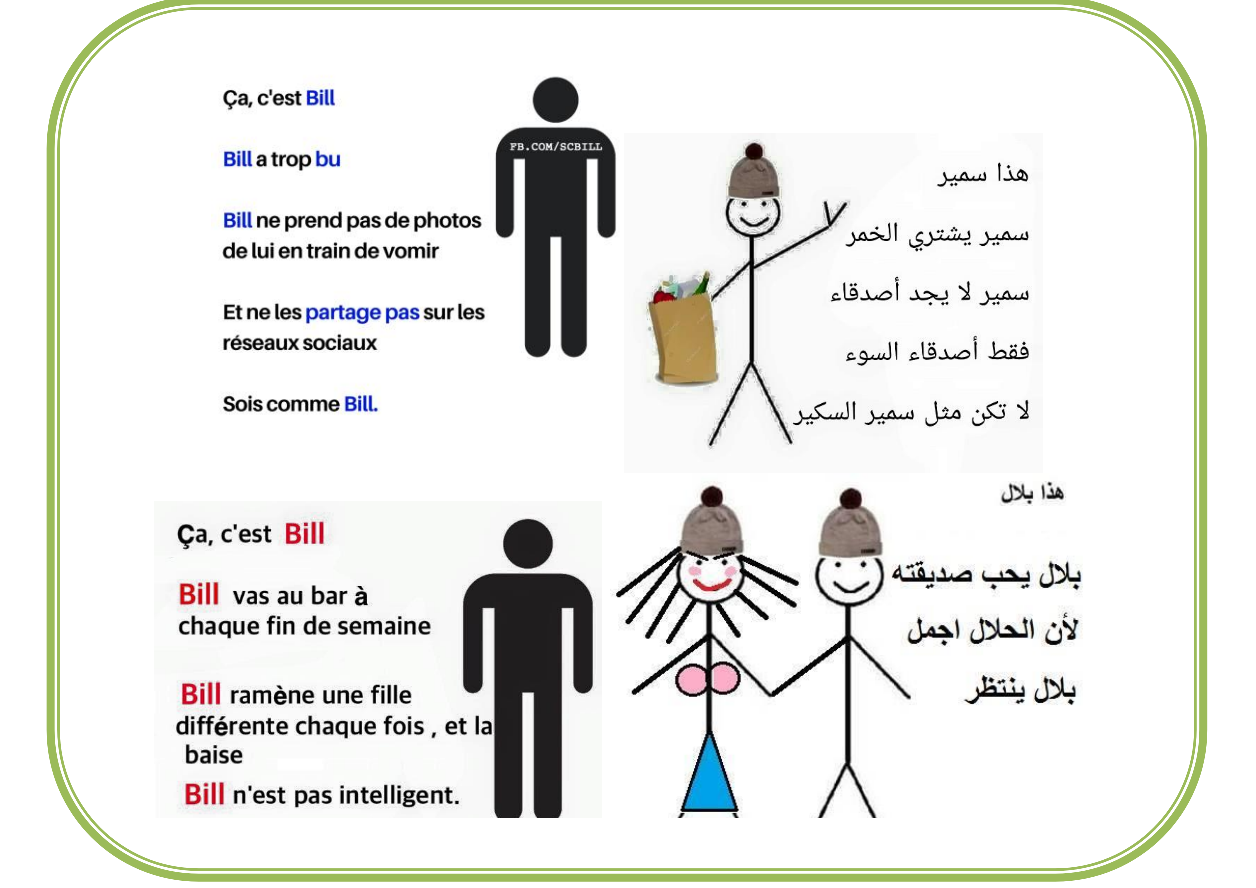




الوثيقة عدد19:عقلنة الاتصال: الإشارة إلى السلوك غير المقبول أثناء العملية الاتصالية



الوثيقة عدد20:التشابه والفروق بين الرسائل في الصفحات الفرنسية والعربية





الوثيقة عدد22: نقد الاستخدام المفرط للصورة كأسلوب تفاعل في الفايسبوك

ça, c'est Camille.

Camille va au gym.

Camille fait des exercices au lieu de prendre des selfies.

Camille est intelligente.

Sois comme Camille.

Ça, c'est Bill

Bill vas au gym

Bill prend des selfies et les partage sur les résaux sociaux.

Bill n'est pas intelligent.

Sois pas comme Bill.

Ça, c'est Camille. fb.com/soiscommecamille

Camille viens d'avoir un enfant.

Camille ne met pas des photos de son bébé toutes les 5 minutes sur Facebook.

Camille est intelligente.

Sois comme Camille.

بلال ذهب ليحتفل ولم ينشر 50 صورة فى الدقيقة

بلال يعلم ان من يستمتع لن يكون عنده وقت للصور

بلال ذكي

كن مثل بلال

J'aime Commenter Partager

Ça, c'est Bill

Bill sais qu'ils est beau.

Bill ne partage pas des selfies de lui tous le temps.

Bill est intelligent.

Sois comme Bill.

FB.COM/SCBILL

Ça, c'est Camille.

Camille poste une photo sur Facebook.

Camille n'identifie pas 1000 personnes pour avoir assez de like.

Camille est intelligente.

Sois comme Camille.



الوثيقة عدد28:سلعنة الاتصال: عرض المضامين كسلعة على واجهة الفايسبوك





الوثيقة عدد 35:عدم احترام أدبيات الحوار والتعبير عن الكراهية والتشفي

الله لا يرفع شده عن الكفار كلهم اللهم سمعنا الأخبار الطيبة

2 hours ago · Like · 1 · Reply

انا طفلة مسراره

هنّو

انا عبير

انا اسّومة

انا سمّورة

انا زينوبة

انا فتّونة

انا مروة

انا ميسونة

كون كيفي كون ذكية

Photos du journal

J'aime · Commenter

Discussion instant

الله لايردهم

2 hours ago · Like · 1 · Reply

الوثيقة عدد 44: اتصال عشوائي من خلال الإفراغ من الجدوى





بسم الله الرحمان الرحيم

"وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا"

الإسراء. الآية 85



الـنـــــــــاشـــــــر:

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

ألمانيا/برلين

Democratic Arab Center

For Strategic, Political & Economic Studies

Berlin / Germany

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسيةوالاقتصاديةألمانيا/برلين

البريدالإلكتروني book@democraticac.d





كتاب : الفايسبوك من فضاء للتواصل إلى مجال للتغيير الاجتماعي: ازدواجيّة التأثير

(تحليل مضمون صفحات فايسبوك تونسيّة وأجنبيّة في الفترة التي تلت "الثّورات" العربيّة)

تأليف : د.رجاء عمار إشراف : د. يوسف بن رمضان

رئيس المركز الديمقراطي العربي: أ. عمار شرعان

مديرة النشر: د. احمد بوهكو

رقم تسجيل الكتاب:VR . 3383 - 6839 B

الطبعة الأولى2023 م

